المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الحادي عشر بعد المئة

١ نوفمبر سنة ١٩٤٧ — ١٨ ذي الحجة سنة ١٣٦٦

الكوليرا[1]

أو الهواء الأصفر

هذا العابر الأثيم مرّ بنا منذ ٤٥ سنة مرور المذنب . وكنا نظن انه عبر ولم يعد . فاذا هو يشتاقه جوُّ النيل الجميل وهواؤه العليل وماؤه السلسبيل وخضرته المخضلة فعاد يبتغي أن يتمتع بشتاء خصيب لضر . ولكنه لن ينال من خيراتنا وطراً أن شاء الله ما دامت حكومتنا السلمية وعلى رأسها جلالة فاروقنا المعظم يقظة ساهرة .

إن موطن هذا الطاغية الخبيث أرض الهند السفلى منذ أزل لا يعرف أوله . والظاهر أن سكان ذلك الاقليم أصبحوا في مناعة قوية منه . وربما كان لقشائهم منه عقاقير علمهم تعوّدته أمزجتهم ، فوقتهم من الانقراض به .

ولم يعلم انه سرى من هناك الى البلاد الأخرى قبل سنة ١٨١٧ اذ طغى الوبا الجنجس في الهند ثم الى أفريقيا فآسيا فأوربا . ثم أبحر الى الولايات المتحدة في سنة ١٨٣٢ —

---

(١) هذا المقال مستمد من دائرة المعارف البريطانية آخر طبعة (٢) بكتيريولوجيا ادوين جوردان أستاذ في جامعة شيكاغو (٣) Practice of medicine تأليف ا. ا. ستيفن استاذ في جامعة فيلادلفيا

١٨٣٦ وتردد اليها بعد ذلك ٤ مرات كانت الأخيرة منها سنة ١٨٧٣ . وقد تردد الى مصر بضع مرات كانت الأخيرة منها ١٩٠٢

ينتقل هذا الوباء الفظيع بين الأقطار بواسطة القوافل التجارية والحجاج حيث يحدث الاختلاط بين عناصر الأمم المختلفة .

مع أن ميكروب الكوليرا نفسه ضعيف تقتله أخف مضادات الجراثيم المهلكة حتى الضعيفة منها فهو سريع النمو والتكاثر والانتشار شديد الفتك بالبشر يستعصي لدى كل علاج ويعز عنده الشفاء .

قبل سنة ١٨٨٣ لم يكن سبب هذا الوباء الفظيع معروفاً . فكان بعض المعالجين يظنون أن سببه الفائض في الهواء ، فكانوا يحرقون الكبريت لكي ينتشر بخاره في الهواء فيطهر من الوباء . ولعله سمي بالهواء الأصفر لأن الكبريت الذي يطهره أصفر اللون والله أعلم .

ما هو الميكروب

وقد سمي بالكوليرا لأن الكلمة منحوتة من أصل يوناني هو Cholera ومعناه المرارة التي تحتوي على عصير الصفراء . وكانوا قديماً يعتقدون أن هذه الصفراء هي سبب غضب الانسان وهيجه . وربما جاءت تسميته بالأصفر من صفراء المرارة ، أو المزاج الصفراوي . ولكن ما علاقتها بالهواء ؟

بقي سبب الكوليرا سراً غامضاً إلى أن كشف جرثومته كوخ الطبيب الألماني المشهور مكتشف ميكروب السل أيضاً . رآه في امعاء المصابين بالكوليرا وسماه Coma Bacillus أي الباسلوس الضمي لأنه يشبه حركة الضمة (ُ) العربية أو الواوي لأنه يشبه حرف (و) الهجائي ومعنى باسيلوس « عصا صغيرة » أو عود صغير وكان في كوليرا سنة ١٩٠٢ يسمونه الميكروب المصري الضمي لأن شكله يشبه عوداً منحنياً كالهلال . وكان أحرى أن يسمى الميكروب الهلالي . وكان في بعض زرعاته يظهر بشكل حرف S اللاتيني

وأخيراً رأوا انه ليس من الأسرة العصوية Bacillus بل هو من الأسرة الزغبية Flagillate المبترة فسموه Vibrio cholerae لأنه ذيلاً يهتز وبواسطته يتحرك ويزحف . ويرى

بعضهم انه نسيب بالبلرس الدوسنطاريا، ولهذا ينجح به العلاج بالسلفاجوانيدين الذي يعالج به الدوسنطاريا أيضاً.

طوله نحو ١ — ٢ من الآلاف من المليمتر، سريع النمو في القلويات نشيط الحركة فيها ويموت في الحامض. لا يعيش في الماء أكثر من أسبوع. يعيش على سطوح الخضرة والفاكهة الرطبة أياماً قليلة. يموت في الجو القائظ وفي الجو الجاف في بضع ساعات. يعيش في القائط البشري من ٢ الى ٧ أيام. الغريب انه يموت في ضوء الشمس. وفي الدم البشري يموت في حرارة ٦٥ سنتيغراد وفي برودة ١٥ سنتيغراد فوق الصفر. فدلا يموت في هذه البرودة بل يقف نموه حتى اذا دفئ يعود فيعيش. عند الصفر يموت بتاتاً. جميع المطهرات كالفنيك والكريولين والرمنجنات البوتاس الخ.. حتى الخفيفة منها تقتله. الماء الغالي يقطع دابره بتاتاً.

لهذا يفرض على الجمهور أن يستعملوا المطهرات المختلفة بكثافة. ولأنه يموت في الحوامض ينصح الأطباء الجمهور أن يقطروا في كأس ماء الشرب قطرات من حامض الليمون او الخل قبل الشرب ولا سيما إذا كان الماء آتياً من مصدر غير معقم. وليس ذلك ضرورياً اذا كان ماء الشرب من موارد ماء المنازل لأن شركة الماء تعقمه. وقد أضيف اليه في هذه الأثناء غاز الكلور، وهو ضد الفساد والعفونة.

مصل الدم البشري يقتل جراثيم الكوليرا حالاً، ولذلك لا تتطرق من الأمعاء الى سائر أعضاء الجسم بدليل أنها لا توجد في البول ولا في سائر الافرازات كالعرق ولا يرى إلا في القائط والقيء.

بعد تجارب متعددة في خنازير غينيا لم يثبت ثبوتاً قطعياً وجود سم في حاصلات ميكروب الكوليرا كما يوجد في حاصلات جراثيم الدفتريا والدوسنطاريا وغيرها. وإنما يلاحظ أن في داخل جسمه نفسه سماً لا يفرزه وإنما يبرز منه في حالة انفلاقه وموته، ولهذا يشك في فاعلية اللقاح المستخرج منه، ويظن البعض أن الحصانة بلقاحه لا تتجاوز الستين بالمئة على الكثير وبعضهم لا يعتقد بأكثر من عشرين بالمئة. ومهما كان اللقاح ضعيف الفاعلية فخير أن يستعمل إذ لا بدّ أن يفيد ولو بتخفيف تأثير الاصابة.

العدوى

تنتقل العدوى من إنسان الى إنسان ، من غير واسطة حشرة أو حيوان عن طريق الجهاز الهضمي فيجب أن لا يدخل الى الفم شيء إلاّ اذا كان معقماً وبأصابع نظيفة وأدوات المائدة المعقمة بمحلول الكريولين أو برمنجنات البوتاس .

ومن أردإ وسائل العدوى الذباب الخبيث وهو أعدى أعداء الانسان وأصدق أصدقاء الميكروبات ، ينقلها من القاذورات والبراز وسائر الفضلات ثم يقع على جميع أصناف الطعام ويلوّثها وبذلك تجب إبادته برشاش د . د . ت

تأثيره في الجسم

متى دخل الميكروب الى المعدة التقى بالعصارة المعدية . وهذه تحتوي على الحامض الهيدروكلوريك . والحامض يقتله فيسلم الانسان . ولكن « ليس كل مرة تسلم الجرة » . فلا يندر أن تفلت جرثومة واحدة أو بعض الجراثيم من الحامض فتبقى طافقة مع الطعام الذي لم يتم هضمه فتخرج من المعدة الى الأمعاء . وهناك هنّئها بالسلامة إذ تجد حقلاً صالحاً لمعيشتها فتنمو فيها وتتكاثر بسرعة وتترعرع .

ومتى استقبل الميكروب في الأمعاء كحت زغب الغشاء الحاطي . Epithelium فيهيج هذا الغشاء . والتهيج يحرج الأمعاء أن تطرد المواد التي فيها لكي تتخلّص من السبب الذي أوجب تهيجها . فتطرد بعضها الى أسفل الى المستقيم فتندفع منه الى الخارج بشكل إسهال متعاقب . وقد عاد الأطباء في كوليرا ١٩٠٢ ذرباً ، وتطرد البعض الآخر الى فوق فيخرج من الفم قيئاً . وقد يكون القيء تهيماً أي بصيرة ولا يخفى أنّ هذا التهيج والطرد الذي ينجم عنه يزعج المعدة والأمعاء جميعاً فيحدث المغص والتشنّج

كل ذلك يستوجب أن ترتد سوائل الدم الى المعدة والأمعاء لكي تخفف منها محتويات المعدة . فالاسهال والقيء الطاردين للمحتويات بما فيها من الجراثيم المسببة كل هذه المعضة . وكلما نضح الدم السائل الذي فيه دهنيات وطيفة الدّم وتركيزه وضعفت دورته . ولهذا لابدّ من

تعويض نقص سوائل الدم بحقن الوريد بمحلول الملح الطبيعي وبمحلول الجلوكوز لكي يبقى الدم قائماً بوظيفته . اذا لم يتجدد قوام الدم بالحقن يحدث الانهيار فالاحتضار فالموت .

لا تصاب الحيوانات بالكوليرا ، ليس لها هذا الشرف الخاص بالانسان .

قد يكمن الميكروب أحياناً في الامعاء من عشرة أيام الى ٢٠ يوماً قبل أن يظهر فعله . ولوحظ أنه بقي في بعض الاحوال ٦٩ يوماً .

الاعراض

متى تزرع الميكروب في الامعاء وبدأ الاسهال فالتهوع يتوجع المريض مغصاً وتشنجاً بحيث لا يتمالك نفسه . وتهبط الحرارة الى ٣٦ بمقياس سنتيغراد أو أقل ثم يقل البول تدريجاً الى أن ينقطع تماماً إلا إذا حقن وريد المصاب بالمحلول الملحي ومحلول الجليكوز . وأخيراً يقف الاسهال ويستمر الألم والتشنج . يبقى العقل منتبهاً الى ساعة الاحتضار أو الانهيار Collapse . يستمر الانهيار بضع ساعات . وقد يمتد الى يوم أو يومين الى أن ينتهي بالموت

لا يندر أن تتحسن الحال قبل موعد الموت . فاذا بدأ التحسن يُشعر المصاب بأريحية السلامة . يعود النبض وترتفع حرارة الجلد وأحياناً ترتفع الى الحد الطبيعي أو ما فوق الطبيعي . وينقطع الاسهال بتاتاً ويعود التبول . ولكن يكون البول معتكراً برجة محتوياً على زلال وترتد القوة العضلية وتنشط الحركة الى أن يتم الشفاء في نحو أسبوعين

مع ذلك يبقى المصاب عرضة للخطر إما بنكسة أو بظهور مرض آخر كالتيفوئيد مثلاً بحرارة خفيفة وقد لا يحتمل الجسم المنهوك بالكوليرا . ويصحبه هذيان يبتدىء بالتسمم وبالغيبوبة Coma وينتهي بالموت

وقد تظهر في مدة انتشار الكوليرا أمراض تشبهها . ولدى الفحص البكتيريولوجي تظهر الحقيقة . فان لم تكن كوليرا حادة تكون أعراض تسمم من اكل أو غيره أو دوسنطاريا . وانذ تمكن المعالجة ويؤمل الشفاء .

يبتدىء مرض الكوليرا حاداً . ثم تنخفض حدته وإنما تنذر بالخطر الشديد . ومعدل

الوفيات بالكوليرا نحو ٥٠ بالمئة اذا كان تحت العلاج . ويندر ان يشفى المصاب من غير علاج . وشفاؤه بلا علاج يكون أعجوبة .

الكوليرا مرض خطير للجنسين وللاطفال وللمتمدين والمدمني الخمرة ولضعاف الاجسام وللمسنين .

الوقاية العامة

حالما يشتبه بظهور هذا المرض الخطر يجب الحجر الصحي على مكان الاصابة أو منطقتها اذا تكررت فيها الشبهات الى أن يثبت الفحص البكتيريولوجي وجود الوباء ، ثم السيطرة التامة على موارد مياه الشرب وبقاؤها طاهرة ، وحمل المريض الى مخدع محجور عليه ومنع الاختلاط به إلاّ للممرض أو الممرضة المختصة المدققة في فنها . طرح المطهرات أي مضادات الفساد على القيء والبراز على الفور وتطهير كل ما كان على المريض من ملابس وفراشه وملاّته الخ... وجميع أدوات مطبخه ومائدته ثم مراقبة هديدة للاجتماعات العمومية وكل مكان يكتظ بالجمهور . والأفضل منع الاجتماعات والتجمهر ولاسيما اذا توالت الحوادث في المنطقة الواحدة . ثم اذاعة نشرات على الجمهور مشتملة على النصائح الوقائية والعلاجية والتعليمات اللازمة لسلوك الافراد في مدة الوباء .

* * *

نصائح للافراد — ١ً — لا تشرب الماء من الموارد العمومية التي ليست تحت المراقبة كالقرع والآفية والمصارف والآبار والأزيار والطلبات إلاّ مضطرًا بعد ان تعقمه بالغلي أو تضيف عصير الليمون أو نقط من الخل الى الكأس التي تشربها . ولا تأكل الجبن والزبدة إلاّ مطبوخين .

٢ً — اغل اللبن قبل أكله .

٣ً — انبذ الخمور بتاتاً . لأنها خطرة في مدة الوباء .

٤ً — لا تأكل الخضرة إلاّ مطبوخة . واغمس الفاكهة في الماء الغالي مدة دقيقة أو دقيقتين .

٥ — دع المآكل المملحة والتوابل وكل فاكهة مجففة معرضة للهواء وللذباب كالبلح والعجوة الخ

٦ — احرص على النظافة لكل شيء في جسمك وملابسك وغرفتك وأدوات المائدة والمطبخ

٧ — حاذر من الذباب فانه شر أعداء الانسان لأنه متطوع بنقل العدوى يقع على براز المصاب وقيئه ثم على الطعام ، اقتله حيثما عثرت عليه بواسطة د . د . ت

العلاج

في وافدات الكوليرا السابقة كانت المعالجة مقصورة على عزل المصاب الى فراش المرض حالما تظهر عليه الأعراض ، ثم يوضع الى جنبه زجاجات ملأى بالماء الساخن لكيلا تهبط حرارته كثيراً . ولا يغذى إلا بماء الشعير ومصل اللبن اذا قل القيء لما في اللبن من الحامض اللبني الذي هو عدو الجراثيم التي تعيش في القناة الهضمية

* * *

لا يعطى مسهلات بقصد تنظيف القناة مثل الزئبق الحلو Calomel ولا الأفيون الذي يعطى في بعض الأحوال ضد الاسهال . ولا بأس أن يحقن بالمورفين ولتسكين الألم . ولا خطر فيه ، لم يكن للكوليرا دواء خاص ولم ينجح بها دواء . وقد استعمل مثل الكوليرا للعلاج ولكن بلا فائدة

وكان لقاح الكوليرا يعطى للوقاية والحصانة فقط . وكان بعضهم يشير بتعاطي الأتروبين صباحاً ومساء بقدر ربع من القمحة أي نحو سُدُس الملليغرام وبرمنجنات البوتاس يعطى بقدر قمحتين في حبوب تصنع من الكاولين والبارفين الجامد وتغلف بالسالول أو السكيراتين لكي تمر في المعدة الى الأمعاء من غير أن تنحل في المعدة بل في الأمعاء حيث هناك الجراثيم مترعرعة . تعطى جمعة كل ربع ساعة لمدة ساعتين الى ٤ ساعات حسب حدة الحالة . وبعد ذلك تعطى كل نصف ساعة الى أن يتغير لون البراز الى أخضر أو أصفر وتقل قذوره

مع ذلك لم يكن هذا العلاج ناجعاً تماماً النجح ولم يكتشف للكوليرا دواء خاص به

إلاّ أخيراً وهو السلفاجوناذين والسلفاديازين حين جرّبا في الهند ، اذ كانا يعطيان للدوستطاريا فتحا نجماً تامًّا اذ انخفضت الوفيات الى ١ أو ٢ بالمائة من الاصابات كما روت إحدى المجلات الانكليزية أخيراً ، ووزارة الصحة العمومية المصرية تعالج به المصابين المحجوزين في المستشفيات الآن .

في حالة الانهيار Collapse يحقن المصاب في الوريد بالمصل الطبيعي الفسيولوجي وهو ٧ بالآلف من محلول الملح النقي . وهو يشبه مصل الدم الطبيعي . يعطى كل بضع ساعات لكي يعوض عن مصل الدم المتناقص بسبب شدة الاسهال والقيء . ويتفاوت مقدار المصل المعطى بين لتر ونصف لتر على درجة حرارة ٣٠ سنتغراد .

* * *

وكانوا سابقاً يلفون المريض بحرام أو دثار ساخن أو بوضع زجاجات ماء ساخن الى جنبيه كيلا تنهار درجة حرارته . ويحقن بالعضل بهرمونات الصوديوم والكافايين وبالكافور وبخلاصة الغدة النخامية Pituitary . وكان روجرس يفضل أن يكون المصل الملحي مركزاً وفي بعض الأحوال يضيف اليه كلورور الكلسيوم . وعلاوة على الحقن بالوريد كان يعطى المصل الطبيعي في المستقيم الى القولون الغليظ

كذا كانت المعالجة قبل هذا الزمن

والآن يضاف اليها الحقن بمصل الدم البشري Plasma علاوة على المصل الطبيعي الملحي والجلكوز والسلفاجوادين والسلفاديازين كما تقدم القول

تبتدىء الكوليرا في البلد حادة فتنتاب جماهير اذا كانوا لا يعرفون أو يهملون الوقاية فتفتك بالعشرات والمئات كما كان يحدث في سنة ١٩٠٢ ثم تخف حدتها تدريجاً الى أن تنقطع من نفسها كأنها زالت بأعجوبة . ولعلماء الطب تكهنات مختلفة في سر هذه الظاهرة . ويظن بعضهم ان ميكروباً مجهولاً لا يرى ولا تحفظه المصفاة Filter يعيش مع مكروب الكوليرا حالة عليه فذاك ينمو وهذا يضعف الى أن يهلك الاثنان معاً والله أعلم

نقولا الحداد

للوقاية من الكوليرا

تعليمات وزارة الصحة العمومية

أعراض المرض

تظهر أعراض هذا المرض في شكل إسهال وقيء شديدين ومستمرين تصحبهما تقلصات وآلام في المعدة وقد تبلغ شدة المرض درجة دخول المريض في حالة هبوط عام في ظرف بضع ساعات. وقد تكون أعراض المرض في بعض الحالات قاصرة على الاسهال ومثل هذه الحالات الخفيفة الأعراض هي الحالات الخطرة التي قد لا تلفت النظر اليها لخفة أعراضها.

وتود الوزارة أن تطمئن الجمهور الى أن رجالها ساهرون على مراقبة الحال إلاّ أن جهودهم في المكافحة لن تكلل بالنجاح إلاّ بمساعدة الجمهور لهم وذلك بالاسراع بابلاغ رجال الصحة عن الاصابات المشتبه فيها بمجرد ظهورها، حتى يتمكنوا من حصر الداء في موطنه قبل انتشاره واستفحال أمره، وليس ذلك فقط، بل يجب على كل من يعلم بوجود إصابة مشتبه فيها بين أقربائه أو كذلك جيرانه أو معارفه أن يبادر بالابلاغ عنها، كما لو كانت هذه الحالة في منزله. وبهذه الوصلة يمكن وضع حد لسير هذا المرض واتقاء شر خطره الشديد.

طرق انتشار العدوى

تنتشر العدوى بوساطة الماء أو الطعام الملوّث بافرازات المريض التي تحمل ميكروب المرض كالبراز والقيء.

وتنتقل العدوى اما مباشرة عن طريق أيدي القائمين بخدمة المريض وبالمفروشات والأقمشة والملابس التي استعملها أثناء مرضه أو بوساطة ماء الشرب أو اللبن أو المواد الغذائية التي تلوثت بافرازات المصاب وكذا الخضراوات التي تكون غسلت في ماء ملوّث والأطباق وغيرها من أوانى الطعام التي تغسل بماء ملوث وتنتقل العدوى أيضاً إلى أصناف الطعام بوساطة الذباب.

الاحتياطات التي يجب اتباعها

يجب الامتناع عن شرب الماء من غير الموارد العمومية من مثل مياه الترع والقنوات والمصارف أو الآبار والطلمبات الموجودة داخل المساكن وإن تعذر الحصول على مياه الموارد العمومية فيجب أن تغلى مياه الشرب قبل استعمالها.

ويجب الامتناع عن شرب السوائل والمشروبات وتناول المثلجات التي تباع في الأسواق أو مع الباعة المتجولين. كما يجب غلي الألبان قبل تناولها مباشرة

أما الخضروات فيجب ألاّ تؤكل بأي حال إلا مطبوخة كما يجب أن تغسل خضر السلطات والفواكه في ماء ساخن بدرجة الغليان لمدة دقيقة على الأقل. كما يجب أن يسخن الخبز قبل تناوله (أي تقميره).

ويحذر الجمهور من شراء المأكولات بوجهٍ عام من الباعة المتجولين أو من المحلات التي لا تراعى فيها النظافة أو لا تتوفر فيها الشروط الصحية الخاصة بحفظ هذه المأكولات أو التي تترك المأكولات معرضة للذباب، إذ أن الذباب يعتبر بصفة خاصة من أخطر الوسائل لتلويث المأكولات بميكروبات هذا المرض كما يجب دائماً أن تراعى نظافة الأماكن التي تطهى أو تجهز أو تحفظ فيها المأكولات بالمنازل ووقايتها من الذباب. ويجب أن يراعى في القرى عدم تلوث مجاري المياه بالفضلات الآدمية أو التبول أو التبرز في مجاري المياه هذه أو على مقربة منها.

وتوجه نظر الجمهور الى وجوب مراعاة أصول النظافة الشخصية في كل ما يتعلق بحياتهم اليومية وخاصة تطهير الأيدي أو غسلها جيداً بالماء والصابون قبل تناول أي طعام أو شراب، وكذلك بعد قضاء حاجاتهم اليومية (أي التبرز والتبول) كما يجب دائماً أن تغسل أدوات الطعام كالأطباق والملاعق وغيرها بالماء في درجة الغليان

وتوجه النظر إلى أنه لما كان من المعتاد في مثل هذه الظروف أن تروج الاشاعات بين الجمهور فإن وزارة الصحة تنصح الجمهور بعدم الإصغاء الى تلك الاشاعات وتطمئن الجمهور الى أن وزارة الصحة ساهرة على مراقبة الحالة وأنها تتخذ من الاحتياطات السريعة دائماً ما تستدعيه الظروف

المقتطف: حفظ الله الكنانة من شر هذا الوباء

سيكولوجية النمو

وعلاقتها بالتربية

يمر الطفل بأربع مراحل يتطوّر فيها سلوكه من المستوى الغريزي الشهواني حتى يستقر ويخضع للعقل . ويسمي الدكتور إرنست جونز المرحلة الأولى بالطفولة المبكرة ، وتبدأ من الميلاد حتى العام الخامس ، ويسمي المرحلة الثانية بالطفولة المتأخرة ، وتنتهي في العام الثاني عشر ، أما المرحلة الثالثة ، وهي مرحلة المراهقة فتنتهي في العام الثامن عشر تقريباً ، وتلي ذلك مرحلة النضوج

ويرى الدكتور ارنست جونز أننا نتطوّر دفعتين في حياتنا ، فرحلة الطفولة الأولى تتكرر بصورة أخرى في مرحلة المراهقة ، وتتخللهما فترتا الاستقرار . وكأنما تقضي الطبيعة على ما بلته في المرحلتين الأخريين لتبني من جديد أسس الشخصية . وفي المراهقة استعادة نسبية لمرحلة الطفولة الأولى ، وفيها يحيا الفرد حياة تشبه حياة الطفل من وجوه عدّة ، ويبني جونز آراءه على التحليل النفسي ، ومظاهر النمو الجسمي والعقلي .

ويختلف الطفل في مراحله الأولى عن البالغ في تركيب عقله ، وتدل اختبارات الذكاء على أن قواه الذاتية تنمو بالتدريج حتى سن البلوغ . وسلوك الطفل في هذه المرحلة غريزي ، وتسعى غرائزه لإشباع ذاتها ، وبذلك يتعلم الطفل بالتدريج كيف يؤخر الزمن بين المؤثر والاستجابة . ويخضع سلوك الطفل في هذه المرحلة لقاعدة اللذة والألم ، وكما يقول مكدوجل من يمس النار يحترق فيما بعد . ثم يتصل الطفل بالمجتمع ، فيعدل سلوكه الخاص تبعاً للثواب والعقاب ، والمدح والذم . ومن ميزات الطفولة الأولى التواكل والاعتماد على الغير جسمياً ووجدانياً ، فالطفل يريد أن يستأثر بعطف من حوله ، ثم يستقل بنفسه بالتدريج . وخيال الطفل في هذه المرحلة متسع جامح ، يكسو الجماد بالحياة ، ويخلق لنفسه طالما عالمه أبطالاً خياليين ، وتعوض أبطاله فيه عما يشعر به من نقص ، كما يجد فيها منفساً عما لا يستطيع أن يسيطر عليه من حقائق . وفي هذه الفترة يحب الطفل التكرار ، ويشعر بلذة نتيجة الشعور بالسيطرة ، وهي نتيجة سلبية قوية ، أو خوف وألم ، وبكي يحدث في نفسه الاتزان ويشعر بالأمن يلعب دور مبعث هذا الانقلاب . فقد يرى الطفل خاماً وينفر منه ، ثم

يتخذ من المساند المنزلية قطعاً من القصم ، وقد يرى حيوانات مفزعة في حديقة الحيوان ، ثم يستعيد تمثيل ما رآه بشغف بعد حين .

وقبل أن تظهر نتائج التحليل النفسي ظنّ الناس ان الغريزة الجنسية لا تظهر في الطفولة الأولى ، ثمّ أظهر التحليل النفسي أنّ حياة الطفل الجنسية غنية متنوعة في نواحيها الجسمية والعقلية ، وإنما هي ضمنية كامنة لا تتجلى وتحتل الناحية العقلية إلاّ في سنّ الزواج . والطفولة مرحلة حب الطفل لذاته ، ولذته فيها مادية حسيّة ، وفي فمه تتركز معظم خبراته ، وتنتقل عاطفة حبه لذاته فتمتد منه الى أمه ، دون أن يكون غيريّاً كاملاً ، فالأم مصدر غذائه وراحته . وكثيراً ما يحدث توقف في حياة إنسان عند هذه المرحلة فيظل المرء معلقاً بأمه . على ان التطوّر الطبيعي يجعل من الأبوين نواة لعواطف الطفل ، ويرى فرويد أن عاطفة الطفل لأمه عاطفة حب ، بينما هي كراهية نحو أبيه ، ويسمي ذلك بعقدة أوديب ، وإنما تظل هذه العقدة مكبوتة لتنافيها مع المعايير الخلقية الاجتماعية ، وتظهر اذا ظهرت قسوة الأب . أما الطفلة فتحب أباها وتكره أمها ، ويطلق فرويد على تلك العقدة عقدة الكترا . على انه بالرغم من ذلك قد تكون الصلة بين الأب وابنه والأم وابنتها قوية ، ولا يوضح فرويد علة كراهية الابنة لأمها .

وتظهر معالم الطفولة الأولى في حركات الطفل العشوائية ، وهي حركات لازمة لاتصاله بالعالم الخارجي ، فتتكوّن لديه مبادىء الخبرة ، وفي عامه الثاني تعتمد عملياته الحيوية من تناول وتبرز وغذاء على حواسه ، والفم أهم مراكز خبراته ، يليه البصر فالسمع والشم ، ومن طريق هذه الحواس تتصل الخبرات وتندمج ، وتنمو حياة الطفل العقلية بنموها . ويرى فرويد أنّ الفم مصدر لذّة حسيّة ومركز انفعالات حتى الشهر السادس ، وهو مصدر الشعور بالقوة والقبض على الأشياء حتى العام الثاني . ويمر الطفل في العامين الأولين بمراحل انتقال قد تحدث بها أزمات ، كالفطام . ولذا يجب أن يكون تدريبها لا فجائيّاً . أما القدرة على السير ، فتهب الطفل شعوراً بالقوة ، وتساعده على كسب المهارة ، وتمنحه لذّة التكرار ، وتمكنه من فهم العالم والسيطرة عليه والشعور بالأمن فيه . أما القدرة على الكلام فتتدرّج من الصراخ والضحك والمناغاة العشوائية الى الاتصال الاجتماعي ، وتشعر الطفل بقدره وباستقلاله ، وتتكوّن فكرته عن نفسه ، أساسها اسمه ، وجسمه وقدرته على المقاومة فهو كائن حي يشعر بذاته ، انتقل من دور السلبية الى الايجابية الاجتماعية .

أما بين العام الثاني والخامس ، فتكثر أسئلة الطفل عن العالم المادي والاجتماعي وعن خبراته الجنسية ، ويميل الى اللعب والتكرار ، إذ يريد الشعور بالأمن في بيئته . ويهتم الطفل

معرفة مصدر الأطفال ، وهو لا يطلب المعرفة والمهارة لذاتهما ، وإنهما كوسائل للتعامل الاجتماعي ، وفهم العلاقات بالتقليد أو المساعدة التحدي أو الاغتصاب . ويميل الطفل في هذه الفترة للهدم والتركيب ، فالهدم سريع النتيجة ، سهل المأخذ ، ولذا يفضله على البناء . ويبذل الطفل جهداً ليركز انتباهه ويزيد انتاجه في اللعب وتدق حركاته بالتدريج . ومن الضروري لتكوين ذاتية الطفل ما يظهر من غضب وصياح وغيرة وخوف واغتصاب وندم نتيجة تدخل السلطة الاجتماعية إذ تتكوّن فكرته عن ذاته تبعاً لها . ويستقبل الطفل أحكام السلطة أولاً ثم يطبقها على غيره — وبين ذلك ينمو الضمير ، ويخشى الطفل في هذه المرحلة الموت الظلام وكل ما هو غامض مبهم .

وينمو الطفل بين الخامسة والثامنة نمواً حركياً ولغوياً واجتماعياً ، وتزيد خبرته ومهارته عن طريق اللعب والتجريب ، وتقوى ارادته وقدرته على الانتباه ، ويساير عمره العقلي عمره الزمني تقريباً . وينتقل الطفل من الفردية إلى الجمعية ، دون أن يكون شعوراً اجتماعياً ناضجاً ، وإنما هو فرد في قطيع ، يحتاج للقطيع ليشبع حاجات نفسه . وينسب الحياة لمظاهر الطبيعية كما تفعل الشعوب البدائية ، بغض النظر عن الذكاء والتعليم .

وتبدأ بعض صفاته الاجتماعية من تعاون وحكم وحنان في الظهور ، ويميز بين ذاته وبين العالم الخارجي ، وفي نهاية هذه المرحلة ينتقل إلى الحقيقة والواقع ، حتى إذا ما جاوز الثامنة من عمره ازداد تعامله الاجتماعي ، وانتقل من الذاتية إلى الموضوعية ، وتحرر من التواكل ، وبدء يندمج في مجتمع ، وأخذ تفكيره في القوة والتحسن .

أما في مرحلة الطفولة المتأخرة أي ما بين الثامنة والثانية عشر ، فيستقر نمو الطفل الجسمي والعقلي . فالنمو الجسمي والعقلي للطفل كالموجة ، وكأنما تتبادل الطبيعة التقدم والاستقرار فيزداد نمو الطفل في عامه الثالث ، ثم يستقر حتى السادس أو السابع . وهذا الاستقرار من مميزات الطفولة المتأخرة . فالطفل مستقر هادئ يعرف كيف يسلك في هذه الفترة .

ويطل ستانلي هول هذا الاستقرار والاستطراد في النمو تبعاً لنظريته التلخيصية فيرى ان الطفولة استعادة لمرحلة من الحياة كان عمر الناس فيها قصيراً فاثروا قبل النضوج . ويتكيف الطفل في هذه المرحلة تبعاً لمطالب الموقف ، ويفقد هذه القدرة في المراهقة ويستعيدها بعدها .

وتتسم الطفولة المتأخرة باكتمال نمو الغريزة الاجتماعية . فالطفل في سنواته الأولى لا يحب الكبار إلا كوسائل لإشباع حاجاته ومطالبه ، ويكره الوحدة لحاجته إلى غيره .

أما في هذه الفترة ، فيبدأ الطفل حياة الجماعة ، وتصير الجماعة وسيلته للتنفيس عن غريزة السيطرة ، وهو عضو في الهيئة ، ويساهم في مشروعاتها وألعابها . ويجب أن تحول الأم إذا ما انصرف الغلام عن المنزل فلا يراه إلا مكاناً للطعام والنوم ، وذلك مع التربية الضبطة إلى المراهقة . على ان الغريزة الاجتماعية لم تظهر في أرقى صورها السلوك الاجتماعي فهو لم يتم بعد معنى الايثار ، وإنما تظهر غرائز السيطرة والخضوع حين يقود ويقاد ويتضح سلوكه في هذه الآونة للتراب والعقاب الاجتماعي ، وفي هذه المرحلة بداية العادات الاجتماعية من أخلاق ودين ، ويشعر الطفل بدينه للعصابة ووجوب طاعة قائدها ، والخضوع لرأيها العام . وكثيراً ما يكذب الطفل في المدرسة طاعة للعصابة ، وإنما علينا أن نحول نشاط العصابة لخدمة المجتمع الأكبر ، وفي جماعات الكشافة والتوادي خير حل لعلاج مشكلات هذه المرحلة بما فيها من مبادىء سامية وجماعات راقية .

وتمتاز الطفولة المتأخرة بالاهتمام بالخارج ، وبحقائق العلم ، فيهتم الطفل في العاشرة بالأمور الخارجية أكثر مما يهتم بحياته النفسية الداخلية . ويهوى الألعاب الخارجية وحياة المعسكرات ، ويهتم بالعمل وفي سبيله يحصل على العلم . وهذه المرحلة مرحلة استقرار جسمي وتقل فيها الأمراض والوفاة ، وحدة الانفعال وسرعته ، ويزداد التفاضل من النشاط ويدق السلوك وتظهر المهارة ، وتظهر العصابة ذات الزعيم واللغة السرية والمفاخرة والمباهاة ، وما زال سلوك الغلام في هذه الآونة خاضعاً لبقايا السلطة ، ويحترم القاعدة لأنها بنت السلطة ، ثم يتغير تقديره للسلطة إذا ما استبدت بالولاء للعصابة ، ويحتقر الطفل الضعف الجسمي والعقلي في هذه المرحلة ، ويحب القوة والحزم . وينتقل من حب الظهور إلى حب الاستطلاع ، ويبدأ في تعليمه العقلي والجسمي بالقاعدة العامة ، ثم يسير نحو التفاصيل الجزئية ، ويميل إلى الجمع والامتلاك ، كمقدمة للاهتمام العلمي كما حدث لداروين ، ثم يحترم حقوق غيره ليأمن على حقوقه ، فيعلم واجباته . ويجد الطفل إشباعاً لميوله الخاطرة في العصابة ، وفيها يدرب نفسه على الثقة بنفسه ، وينمو عقله فيفرق بين الخيال والواقع ، ويرتقي من التأثر بالثواب والعقاب إلى المدح والقدم ، ويميل إلى نقد السلطة حتى يثور عليها ، وميوله في هذه المرحلة عملية ، والميول العلمية وسيلة لها وهو يحب الحركة والكشف والجمع والاستفهام عما يراه من حيوان وانسان ، ويهوى العمل اليدوي المحسوس ، والرسم والموسيقى ، ويحب الحركة والمخاطرة .

أما المراهقة فهي عند استعادة للطفولة الأولى ، يفقد المراهق فيها استقراره وثباته ، ويجد نفسه في عالم غريب ، فقدت عاداته القديمة قيمها ومعانيها جسمياً وعقلياً .

فالمراهق خشن المسلك عنيد كثير الانفعال ، يعتقد انه مضطهد من الجماعة ومحط نقدها . ويعيش بين ثورة جامحة وحزن شديد ، على أن خياله يتسع ، ولكنه ينطوي على نفسه وعقله الباطن . ومن أهم مميزات هذه المرحلة النمو الجنسي الذي يستيقظ ويتجه نحو الغرباء بعد أن كان يدور حول والديه فيما يرى جونز . والغريزة الجنسية لدى المراهق حقيقة حية . ولذا لزم علاج هذه المرحلة حتى يجتاز المراهق أزمتها بسلام . ويرى البعض في الكشافة علاجاً للانطواء ، وفي الرياضة البدنية ميداناً لتوجيه نشاطه ، وربما كان في الفنون الابتداعية أعلاه وتوجيه لمشاكله الجنسية ، على ان التربية الجنسية الصحيحة الصريحة لازمة لازالة ما يحيط بها من خجل وتكتم ، حتى لا يشعر المراهق بشذوذ أو مرض ، مصحوبة بالعطف وحسن التفاهم بين الوالد والمراهق .

ويستقل المراهق بنفسه في هذه المرحلة ، ويجد أبطاله في التاريخ والأدب والحياة ، وربما كان ذلك امتداداً لاعتماده على أبويه . وتصادف تعاليم الدين هوى في نفس المراهق حين يبحث عن مثل عليا تحتل مكان والديه . وفي الدين مخرج للتوتر الجنسي الذي يشعر به ويسكن آلامه ويخفف من وطأة صراع جسمه مع نفسه . على أن الإيمان والشك يجتذبانه إذا ما فشل الدين في حل مشاكله الخلقية ، واصطدم بالعلم الذي يتبعه ، وربما وجد في الفلسفة مخرجاً فيميل نحو الهيلينية الوثنية ذات الاتزان والاعتدال ، وربما ترهب للبحث عن الحقيقة في العلم والجمال في الفن . اما السلوك الخلقي للمراهق فهو مضطرب بصورة عامة ، نتيجة الثورة الجنسية الكامنة حيناً ، الثائرة أحياناً . وينتهي إلى ضبط نفسه حين يكون مثله العليا وعواطفه من أبطاله المحبوبة ، فيسير إلى مرحلة الاستقرار ، حين يخضع سلوكه للمثل الأعلى ، لا لمجرد الثواب والعقاب الاجتماعي . وقد وضع هذه المثل العليا قلة من الناس كثيراً ما خرجوا على المثل المتوارثة ولم يعبأوا بالنتائج الاجتماعية ، بل فرضوا مثلاً عليا أفادت سبلاً جديدة .

* * *

ويؤدي النمو الجسمي لمراهق الى نمو أعضائه دون اتزان ، فينمو عضو أكثر من الآخر كالشعر ، ويزداد نشاط الغدد التيموسية والصنوبرية والتناسلية ، ويصحب التغير الجسمي تغير نفسي يصحبه صداع أو كسل ، ويصحب هذا النمو قلق ، فتفزع الفتاة حين تكبر قدماها ويداها ، ويتصنع الفتى الرقة ، ويصحب الاضطراب الداخلي اضطراب جنسي من ظواهره عادة الاستمناء عند الأولاد والعادة السرية عند البنات . والعادة السرية مهما يكن أمرها وسيلة الى الخلاص من توتر ، على أن أكبر أضرارها ما يصحبها من صراع نفسي

بين مزاولتها والامساك عنها ، وهي وسيلة هادئة غير طبيعية يشبع بها حاجة نفسه ، وربما كان في تهيئة جو الاتصال الخارجي الى أكبر حدّ ممكن علاج لها .

وتشتد رغبة المراهق في الاستقلال بنفسه ، فيتقدم خطوة اجتماعية ، وتتخذ هذه النزعة صورة ثورة على المنزل والمدرسة وما يمثل السلطة القديمة ، ويبحث عن أبطاله في أماكن أخرى ، كالمكتب أو في الواقع ويبحث عمن يلقي بأعبائه العاطفية عليه ، فكثيراً ما تتعلق فتاة بمدرستها أو بفتاة أخرى وترسل إليها خطابات غرامية . والبطل عنصر مهم للمراهق ، وإذا ما قدمت له نماذج مثالية مرغوب فيها ، تحرر من الأفراد والأشخاص ، وانتهى إلى حب الصفات ذاتها . ويشتد ولاء المراهق للجماعة ، ومن مظاهر ذلك الكذب الوقائي . ويبلغ ذكاؤه الذروة في هذه المرحلة ، من ناحية الطاقة لا من ناحية التحصيل . ويخصب خياله ويصبح إغراق في أحلام اليقظة والتفكير الآني

ويلبغي أن تعطى كل تلك النوازع لتعبر عن نفسها تعبيراً مرغوباً فيه ، كالرسم والشعر والموسيقى ، فيحب الجمال وينتج فيه ، ويحب الفلسفة والبحث العلمي وحقائق الكون ، مع تدريب قدرته على النقد . وفي هذه المرحلة يتكوّن الشاعر والفيلسوف والعالم ، كما أن فيها يتكوّن الشاذ والجاهل والمجرم ، ومن فشل في التكيف الاجتماعي ولم يلق عناية وعلاجاً صحيحاً .

وتنتهي هذه المرحلة باكتمال النموّ والرشد لتستمر الى نهاية الحياة ، فينظر الراشد الى العلم والحياة والناس والأشياء ، ويرى الحقائق لا الخيال ، فالراشد رجل الدنيا ، يفخر بعلمه وعمله .

* * *

وتساير مراحل النمو النظم التربوية المثلى ، فتناسب الطفولة الأولى حتى الخامسة مدارس الحضانة ، والطفولة المتأخرة حتى الثامنة رياض الأطفال ، والمدارس الابتدائية حتى الثانية عشرة ، والمراهقة المدارس الثانوية حتى الثامنة عشرة ، والرشد الجامعة تقريباً فإلى أي حدّ تقابل كل الحاجات النفسية لنزيلها في مدارسنا المصرية ؟ ذلك يحتاج الى المزيد من القول نعرض له في المقال التالي ان شاء الله .

محمود عامر شوكت

الإنسان

هذا الفز الأعظم !

يولد الإنسان والمعرفة غريزة مختلفة بذمه ، تنمو معه وتتشكل وفق خبرته وبيئته ومستواه ، بها ينشىء ويعمر ، وعلى هداها تتعقد حياته . فكلما درج به الزمن درجت هي الأخرى تنمي مقوّمات حياته . وتسن نواميس الآداب والفلسفات والحركات الفكرية التي يسير عليها في جهاده . فهي من التقدم الجوهر الأصيل الذي يغيره لاختلاط العدم بالوجود وتعاقبت الدهور تعاقباً آلياً لا تمايز خصائصها ولا تتبين حدودها .

يخرج الطفل الى الحياة وبه ظمأ إلى التعرّف على كل شيء ، فتتعاود عليه المراحل الزمنية وهو بينها ذات هاجعة تنظر الى نفسها وتنظر الى غيرها ، تتعرف على كل ذلك تارة بالعاطفة وتارة بالغريزة ، وتارة بالعقل ، فتصطدم بالمظاهر الخارجية وتتنابها هتى الأزمات ، فتجتازها وهي بصيرة وقد تكبو عندها كبو الأعمى الضرير ، وهي إذ اجتازت أو كبت تستفيد من التجارب استفادة كبرى ، وتتعهد للمراحل التالية تحفز المتطلع المشوف في المعرفة ، إنه ، طلع الأمل ، ومن الأمل صنع الوجود ، ومنه توالت الأحداث فلم تدرِ ما الجمود وما الوقوف في يوم من الأيام . فليس في الفطرة الأولى يأس ، لأن الذات في هذه المرحلة جسورة غير هيابة ، راغبة غير متراجعة ، متقدمة غير جبانة ، لا تعرف ما الخطر لأن التطلع هو الوقود الذي شحنت به لتتعرّف على نفسها وعلى الوجود المحيط بها .

ومن هذه الغريزة ، غريزة المعرفة ، صارت الدنيا كما نراها ، وتركبت حياتنا كما نعيشها ونتلمسها ، وبفعلها صار الموكب البشري في سلسلة متصلة الحلقات كل لاحقة أرقى وأعقد من سابقتها ، وكل حاضر هو ثمرة الغرس الذي زرع في ماضي الحقبات .

ولولا هذه الغريزة لما تعهدت الحقول لوضع الفلسفات المتباينة لتفسير الإنسان وتدبير

الطبيعة ، ولما زخر التاريخ بالمدارس الفكرية التي عجّ بها التاريخ البشري منذ أن دعاه الأفراد الى أن بلغ مرحلته الراهنة التي يستمد فيها لوثبات هي أعنه بالمعجزات .

فالإنسان مدني بالطبع ، كما يقول ارسطو ، وكذلك هو نزّاع الى المعرفة بالفطرة أيضاً ، وهو يريد الاجتماع بغيره حبًّا في المعرفة قبل أن يجتمع حبًّا بالاجتماع .

* * *

والإنسان الأول نظر حوله فاذا ببراكين ثائرة تقذف الحمم ، وأعاصير مهولة تجتاح كل شيء ، وأمطار ثقيلة تغرق الزرع والضرع ، وبحار صاخبة تتلاطم أمواجها ويرتفع وينخفض عبابها ، كل هذا رآه فامتهوله ، ووضع أصبعه في فمه وراح يفكر ويتأمل : ما هذه الحمم ؟ وما هذه الاعاصير ؟ من يقذف تلك ومن يثير هذه ؟ هل هو إنسان مثله ؟ إذن فليجرب ، ولكن ما هو يفعل فلا يستطيع ، ويحاول فلا يقدر . اذن هي قدرة أقوى من قدرته : فما هي ؟ فليختر لهؤلاء الجبابرة أسماء ، وليسمِّ لكل ظاهرة إلهه ، فهذا إلهه النار ، وهذا إلهه للماء ، وهذا إلهه الريح ، وهذا إلهه القدر ... الخ . واوتاح الى هذا التفسير واطمأنّ الى ما وصل إليه تفكيره البدائي .

ثمّ تقدّم أكثر وأكثر واجتمع بغيره وتعقّدت علائقه — نظر الى الجمال فرامه ، وهمر بالحب فاستساغ مذاقه ، وشرب الخمرة فانتشى برحيقها . وفطن الى أن يسمي أيضاً آلهة تدل على كل هذا ..

وظلّ يرتقي ويرتقي فنما عقله وامتدّ تفكيره وعمق احساسه فهتف به هاتف من سوّى هذا الوجود ؟ من أي مادّة صنع ؟ على أي نظام يدار ؟ كيف يتدرّج ؟ وعند هذا عرف الفلسفة ، وطفق يضع لها المعايير والموازين ، وعرفت الحياة أول فلاسفة يذكرهم الفكر الإنساني وهم فلاسفة « يونيا » فكانت فلسفتهم بدائية بالنسبة الى بيئتهم ، لأنها لم تكن إلاّ صورة مصغرة من « الميثولوجيا » التي فسر بها الأفراد الوجود في أول عهدهم . فهذا يقول أنّ مادّة الوجود النار ، وذاك يقول التراب ، وآخر يقول الماء ، والرابع يجمع كل ذلك فيقول الوجود مزيج من نار وتراب وماء .

وأخذت الفلسفة تعمق كلما تطوّر الانسان ونما، وراحت لا تنظر فقط الى مظاهر الطبيعة، بل ردّت البصر الى الإنسان نفسه تتفحص عقله وقلبه وغرائزه والبواعث التي توجهه. وابتدأ أفلاطون يبني نظرية «المثل» على أساس ساذج واهٍ فشل نهاية عهد من التفكير آذن بالأفول ليعقبه عهد جديد مثله ارسطو بفلسفته الكبرى التي كانت أعظم بناء فلسفي عرفته الفلسفة القديمة. فوضع معايير المنطق، وأقام البحث على أسس علمية، ولم يقصر بحثه على الطبيعة وظواهرها، بل أخذ يختبر العقل الإنساني ويمتحن النفس البشرية.

وابتدأت الفلسفة تتدهور من بعد ارسطو، وراح الفكر الانساني يعاني آثار الاجهاد، فبدا هذا التفسخ في أصناف من المذاهب المنحلة التي جاءت بعد ذلك كالابيقورية والكلبية. ثم فرعت الطبول تؤذن بمجيء النبوّات، وحلت عصور التفكير الديني التي وضعت فيها أسس الوحدانية، ودخل الناس أفواجاً أفواجاً في الدين، فتفيأوا هناك ظلال الإيمان السليم، يعتقدون بواحد قهّار، ولا يسألون عن ماهية هذا الواحد الذي ليس فوقه أحد.

ولكن أمن الممكن أن يستريح الإنسان؟ أمن المعقول أن يؤمن بالعجز؟ لا. فقد ثارت فيه غريزة الاستطلاع، وراح يفلسف الأفكار الدينية ويبني من جديد المذاهب على أسس عقلية منطقية. وأحسّ الدين أنّ القوائم التي تحمله تهتز، وأنّ دعاماته تتقلقل، ولكن رجاله كانوا في سبات، فلم يحاولوا أن يبنوا الإيمان على أسس غير العاطفة، وأن يجاروا الزمن.

* * *

وقامت الفرق الاسلامية في الشرق، والدولة العربية في أوجها، تجدد الدين وتدعمه بفلسفة جدلية قوية، حمل لواءها الغزالي متقدّماً الصفوف في فتوته الأولى، يهدم ما تواضع عليه القوم من خرافات وخزعبلات ليبدأ فلسفة دينية عقلية كبرى. إلاّ أنّ موجات العقائد الزائفة التي وفدت من بلاد فارس، مع الأسف، حوّلت هذه الاتجاهات الفلسفية الرشيدة في العالم الاسلامي عن الطريق الذي كانت تسعى فيه لتدلها على طرق جديدة تبلبلت فيها العقول، وانّ التراجع الذي بدا على الغزالي أظهر ما يميز هذا التبدل، فقد انقلب على نفسه

فبعد أن كان يزين الخرافات صار يحملها على كتفه ليبيعها للناس .

وأمّا في الغرب ، فنحن الآن في القرون الوسطى : الظلام دامس ، والجهل سائد ، والعقل خامد . أينما أدار الفرد بصره لم يجد إلاّ قسساً يسيّرون التاريخ وبابوات يقودون الأمم ، وكنائس تحكم أوروبة ، فبثّاً يفتش الإنسان عن النور الذي يفضح الدجل ، وعن المصباح الذي يرشد الى السبيل السوي في هذا الليل المتدامس . فالشمس قد اختصت قوماً دون قوم ، والعلم قد ابتذل على أيدي تخطيه السيطرة لا للنفع وتلح في تحريمه بالقطرات كي لا يفيض سيلاً يكتسح قلاع المتسلطين من السادة والأمراء ، ويذيب هذه القيود التي توهن قوى التفكير بأيدي العادات ، وباسم التقاليد وباسم الدّين ، ولم يكن الدين إلاّ ستاراً يخفي خلفه ذوي فضائح رجاله ، وما العادات إلاّ حجباً تفصل بين العبيد الذين يأكلون التراب ويلبسون العري ، وبين السادة في الطرف الآخر يأكلون دسم القصة ، ويتنشون بكؤوس مرصعة .

* * *

وجاءت الثورة فكانت عنيفة على التقاليد وعلى الدين وعلى الطبقات ، فحاربت كل ذلك بالنور الذي سلطته على العقول التي غلفها الاتباع ، وجفف ماءها الخنوع . وانتهب القوم كل ما في الكنائس من أكداس مكدسة من كتب العلم والأدب التي حواها رجال الدين كي لا يستفيد منها عقل ، ولا تأخذ منها جماعة ، وانتهم الجوع الثقافي كل ما فيها ، وتطلع الناس إلى أشياء جديدة تتوافق والنظم القائمة على الأطلال الدارسة من عقائد الجهال والمحتالين وعلى المرجعات العتيقة التي أخصب فيها الدود وتساقط منها القدم . ثم كان اختراع الطباعة الضربة الكبرى التي سدّدت للنظم البائدة المنحطة المشبعة بالتهتك ، فتهادت القلاع الشامخة وتشرّد الأمراء ونهض الفرد العادي يصبح بشرته : أنا التاريخ . فشادت نظم الحرية ، وأقيمت دعائم الحياة على أسس تتلائم مع التفكير الجديد ، وحلّ صراع من نوع جديد ، صراع بين التفاسير الفلسفية والنظم الاخلاقية والعقائد السياسية ، وصارت للفلسفة « أدوار » كما للأزياء أدوار ، وللأخلاق قيم تتغير مع المواسم ، وأما العقائد السياسية

فلم تشهد عبود استقرار أبداً ، ففي كل يوم تهزُّها هزّة، وفي كل ساعة تقيمها وتقعدها ثورة . وكل هذا متوقع وطبيعي ، لأنّ عهد الطوائف المسيطرة قد ولّى لفاه دور الفرد ، والحياة التي تسلم مقاليدها للفرد وجب أن تقبل آراء متعدّدة بقدر الأفراد . وهكذا تداخلت الأشياء، وخضعت الحياة الانسانية لوحدة عامة ، فالأخلاق والاقتصاد والسياسة والفلسفة يفعل كل في الآخر فعلاً إيجابيًّا سلبيًّا في آن واحد ، واندثرت وامحت تلك الحدود المزعومة التي تفصل بين ما يلبسه الفرد من أصناف الأحذية والقبعات ، وبين ما يرتأيه من نظم السياسة ومواصفات الأخلاق .

* * *

وامتلأ الجو بضجيج الفلسفات المتعاركة ، وبحركة العلوم التي ازدحمت بها الحياة ، هذا يفسر الوجود بالعاطفة، وذاك يفسره بالغريزة، وآخر ينكره وما يراه إلاّ نهاية وبداية تضيع بينهما الغاية ، وذاك يؤمن إيمان العاجز ، وهذا يؤمن إيمان المهولين الصاخبين ، وآخر هناك يلحد ويسرف في إلحاده حتى يكاد يقيم من أفكاره أوثان جديدة يتعبدها من دون الله . وكان كل هذا يتمخض عن أساس جديد للحياة ، بل لم تكن إلاّ آلام المخاض التي يعانيها الوجود .

ثمّ أشرقت الشمس على هذه الأطلال ، وطلع على الدنيا ديكارت بمناهجه في تطبيق أساليب العقل وطرائقه في البحث على كل شيء — حتى الله . وراح يهدم ويبني ، فأنشأ فلسفة ارتفعت أبراجها حتى أمسكت بالسحب، ونزلت قواعدها حتى رسخت في الأعماق . وظلت فلسفة ديكارت تنمو وتنمو ، وتبعتها فلسفات سارت على نفس النهج تطبق أسلوب الجدل العقلي على كل فرع من فروع المعرفة .

وتزعم العقل كل مذاهب الوجود الى أن جاءت العصور الحديثة بعد صخب واختراعات القرن التاسع عشر ، فاذا باسمه في مطلع القرن العشرين تتزعزع وبقرأته ترتج بعد أن جحد الانسان قلم يساير عقله في قفزاته ، كان يخترع ويلغي ويبني في الحين الذي كانت دراسته لنفسه وأساليبه ونظمه في الحياة كما هي . سخر الطبيعة ولم يسخر العلم لدراسة نفسيته

دراسة علمية صادقة ، فكانت كل جهوده منصبة الى الخارج ، ولم يوجه شيئاً منها الى الداخل .

***

وكان هذا الوضع ملائماً كل الملاءمة لتفسير للانسان جديد ، ولمذهب في الوجود يباشي المطالب المستبعدة ، ويملأ الفراغ الموجود . نعم كان هذا الوقت أنسب الأوقات لقيام « سيجمند فرويد » يبشر بتطبيقاته في علم النفس وتحليلاته في ميادين « البيولوجيا » . وكان الزمن أصلح الأزمان لان يبشر هذا العلامة بمذهبه بأن « الغريزة الجنسية » هي مفتاح السلوك البشري ، هذا المذهب الذي كان ثورة على كل ما تواضع عليه الناس من عرف وآداب ، وبعض الجامدون يحاربونه بأسم التقاليد والعادات والدين ، كما حورب العقل يوماً ما . وما كان فرويد صادقاً في كل تفاسيره ولم يكن صاحب مذهب بلغ الكمال ، ولا نصف المرحلة الى الكمال ، ولكنه صدق في تفسير جوانب كثيرة من السلوك البشري بطريقته العلمية التجريبية . إلاّ أن المتعصبين لم يرقهم ذلك ، وأخذوا يسفهون كل محاولة يقوم بها أي عالم من علماء الاجتماع لتطبيق نتائج بحوث فرويد على الظواهر الاجتماعية . فاذا ما أثبت العالم النفساني الكبير «فرانز الكسندر» [1] بأن أكثر المجرمين الذين أجرى تجاربه عليهم ثبت أن عقدة أوديب قد تمكنت فيهم تمكناً عنيفاً فراحوا ينفسون عن عواطف الكره التي وصبت فيهم بالاعتداء على المجتمع ، ثار عليه الرجعيون مع أن هذا العالم وصل في تجاربه الى أن أكثر من ٧٠ ٪ من المجرمين يخطون بارتكاب الفحشاء مع أمهاتهم .

***

ولقد حقق الانسان اليوم ارادته ، فصفلت الدعاوى الزائفة ، وطغى العلم على الحياة ، ومهما قيل في هذه الفوضى فانها فوضى تمخضت عن عالم لا تغلبه الخيالات ولا العبارات .

بغداد فؤاد طرزي

---

(١) في مؤلفه الهرم وقضاته

المدنيات القديمة

نشأ العمرانُ في الشرق أولاً بين الفرات والدجلة حيثما ظهرت مدنية الكلدانيين فأخذ البشر عنهم مبادىء الشرائع والعلوم الرياضية والهندسية والفلكية . وعلى شاطىء نهر الكانج استوطنت الحكمة الهندية البرهمية والتعاليم الحرّة البوذية . إن المدنية الهندية تشعّب الفكرَ وظهرت بها قوة الروح ، لكنها مالت الى الخيال أكثر من ميلها الى التعقل . وعلى ضفتي النيل أينعت المدنية المصرية فقارنت الكلدانية بالتقدم والنجاح ، وفاقت غيرها بالتدين . وفي شواطىء سوريا ازدهرت المدنية الفينيقية فاستنبطت الأرقام والحروف فحفظت بذلك أساطير الحكمة وسهّلت مداولتها بين البشر ، أما بفلسطين فتقرّرت شريعة العدل والحق فأخذ العالم عنها أسمى مبدأ ديني أي عقيدة الوحدانية بالذات . إن مدنيات على اختلاف نزعاتها مالت إلى المبدء الديني أكثر من ميلها الى الفكرة الفلسفية ، الأمر الذي قيّد الفكر البشري بروابط التقليد فلم تتقدم المعارف بينهم تقدماً في بلاد اليونان وطن الحرية والحكمة

أخذ اليونانيون مبادىء مدنيتهم من تلك الأمم الشرقية القديمة إلاّ أنهم لم يكتفوا بما حوته من معارف أوليّة بل هذبوها وزادوا عليها بما أضافوهُ من العلوم والمكتشفات التي أهلها تحرير العقل البشري من التقليد بفصلهم المعارف عن التعاليم الدينية ورفع سيطرة رجال الدين ، فوضعوا بعملهم هذا العلوم الفلسفية على أصول حقيقية قائمة على البحث والاختبار النظري فأينعت وأتت بأشهى ثمار العقل والحكمة . لقد اقتبس العالمُ عنهم وسار على أثرهم معتمداً بذلك على فلسفتهم الراقية مستنيراً بأنوار حكمتهم الزاهرة . لكنّ الفلسفة اليونانية لم تتمكن من كبح جماح النفس لاستنادها إلى الأشياء المادية وبواعثها الأمور النفسية . وبما أنّ مدنيتهم قامت على مبادئها تأخّر شأنها حتى كاد أن يقضي عليها بتطرق عوامل الفساد ، لفساد الأخلاق والمبادىء التي أتلفتها رغبات أهل الرئاسة والسياسة وأهواء الشعب وسفسطة الأدباء والخطباء وأطماع رجال الدين ، فانحلت أقطاب اليونان الاجتماعية لأنهم لم يوفقوا الى وضع تعاليم ترفعُ النفوس الى مبدأ أسمى من المقاصد النفسية أي الى طلب الكمال . لذلك بقيت النفوس عطاشاً لنبع ماء حيّ ينعشها ويبرّدُ ظمأها ويخفف أحزانها . لقد انتظرت الروح المعزّي عطية الحق لنوال النعمة السماوية لاحتمال المصائب ومتاعب الحياة الكثيرة بالصبر والتضحية على أمل المكافئة في عالم ثانٍ روحاني

تتساوى فيه الكافة (العموم) إذ لا راحة على الأرض ولا مساواة بين البشر لأن الطبيعة البشرية تميل إلى التمتع بما هو مادي والنفس تتطلب ما هو روحي وقوى الطبيعة صارمة لا ترحم الضعيف والقوي يستبد بالأمر فتتلفه مطامعه .

إن الله خص كل واحد من البشر بعطايا منوعة ومواهب مختلفة ضرورية لارتقاء نوع الانسان فكما أن الرأس يدبر حركة كافة الأعضاء ويسيطر عليها لما به نفعها، كذلك اليد العاملة تقدم له ما يحتاج إليه من الغذاء وهي باعترافها هذا سلامة الجسد كله وان التوفيق بين مطالب النفس والجسم راحة الحياة بالاعتماد على قوة الروح . وبما ان المدنية اليونانية لم تتمسك بهذه المبادىء طرأ عليها الاضمحلال فانفرط عقد جمعها وتفرقت كلمتهم فلم يتفقوا لتأسيس مملكة تؤيد عنصرهم وتحافظ على مدنيتهم وحينما تسلط عليهم الرومان أخذوا عنهم مبادىء العمران ونسجوا على منوال مدنيتهم إلا أنهم اعتمدوا على القوة تأييداً لغلبتهم المطلقة وحفظاً لفتوحاتهم الواسعة فلم يلتفتوا الى الفلسفة والفنون الجميلة ولم يستوفوها حقها من الاهتمام ولم يشعلوا بحب الجمال لملتهم بمحبة السياسة . لقد اكتسحوا البلاد واقتحموا الأهوال وعاشوا عيشة الأبطال طلباً للسيادة والنوال ، لذلك لم تنتج قرائحهم ثمار الحكمة ولم ترتق المعارف البشرية بينهم .

اشتغلوا بالفلسفة اليونانية معتمدين عليها في تعاليمهم وشرائعهم ، لكنهم لم يوفقوا الى انشاء مدارس فلسفية جديدة . لا بل الحق فان الفلسفة عندهم لأنهم لم يفهموها حق فهمها وان وفقوا بعدإ القوة والعدالة الى صيانة السلطان وحفظه لكنهم خضعوا لسيطرة اليونان الأدبية وان كان هؤلاء من المغلوبين على أمرهم .

لقد اعترى المدنية الرومانية ما حل برفيقتها اليونانية من الانحطاط (الارتقاء) لأن القوة لا تكفي وحدها لحفظ كيان الأمة بل سقطت ولم تجد الانظمة للدفاع عن السلطة شيئاً بل انحلت الامبراطورية الرومانية وخضعت للأمم البربرية وهذه الأمم قد تهذبت بمبادىء الديانة المسيحية فترقت وصارت أهلاً لاقتباس الحضارة اليونانية . تثقفوا بالفلسفة وكانت مشرق أفكارهم تتطاول إليها الهمم وتنتهي عند معرفتها الأفكار وقد صرفوا الأجيال الطوال في درسها والنسج على منوالها وعلقوا عليها الشروح الضافية حتى كان يكفي أن يقال « قال أفلاطون أو أرسطو لإثبات الحجة وإفحام الخصم وثبت الحالة كذلك والفكر مستقل بالعقم الى أن صار الانقلاب الأخير في زمن النهضة الحديثة التي جاءت بطرق جديدة اعتمدتها العلوم في نشأتها وتخلصت بواسطتها الفلسفة من التقليد وسيطرة رجال الدين . »

أسكلة — طرابلس الشام أمين نصوم

الطفل المبتسر

يُطلق هذا العنوان على الأطفال الذين يولدون قبل أوانهم أي قبل نهاية الشهر التاسع من الحمل ، وبعبارة أخرى بين الشهر السادس والتاسع ، كأن يولد الطفل مثلا في الشهر السابع أو الثامن . أما الذين يولدون قبل الشهر السادس فلا يكونوا أبداً قابلين للحياة حتى وإن كانت مظاهر الحياة الطبيعية موجودة فيهم .

وإذا نظرنا الى الأطفال الذين يولدون خلال الشهر التاسع من الحمل ، أي قبل أن تكمل مدتهم بأسبوعين أو ثلاثة أسابيع مثلاً ، لا نجدهم يختلفون قطعاً عن الذين قد وُلدوا في أوانهم ، غير أن صغر حجمهم ونقص وزنهم وضعف أعضاء جسمهم ، ولا سيما ضعف معدتهم وأمعائهم مع عمليات الهضم عندهم ، تحتم علينا طبعاً أن نوليهم عناية خاصة ومداراة فائقة ليتمكنوا من قطع تلك المرحلة القصيرة من حياتهم ريثما يتقوّون قليلاً ويصلون الى السن التي يقدرون أن يعيشوا فيها كالأطفال الآخرين الذين وُلدوا في أوانهم .

أما الذين يولدون في الشهر السابع أو الثامن فالحالة عندهم تختلف تماماً عن التي تقدم ذكرها . فوزنهم وحجمهم لا يكونان دائماً أقل مما في الحالة الطبيعية فحسب ، بل أن فرصة بقائهم على قيد الحياة تكون خصوصاً ضئيلة لعدم اكتمال نموّ جسمهم وضعف أعضائهم . وأطفال كهؤلاء لم تكتمل مدتهم بعد يكونون غالباً ضعفاء هزيلين ولا يمكننا أن نعرف بالتأكيد عند ولادتهم إذا كانوا يعيشون أو أن يقضوا نحبهم خلال الأسابيع الأولى من ولادتهم .

والناظر الى الطفل المبتسر يجده نحيفاً هزيلاً ، ذا رأس صغير جداً وجمجمة مدوّرة رخوة نوعاً ، كما أن بروز قحف هذه الجمجمة مع اليوافيخ [1] تكون عريضة جداً ، والوجه صغيراً دقيقاً مثلث الزوايا ، والفم واسعاً والذقن صغير جداً . والجلد أحمر مغضّن ومغطّى بالشعر ، والأظافر غير تامة النمو ولا تصل الى أطراف الأصابع ، والجلد نفسه يكون قاسياً ضارباً الى البياض وفيه انتفاخات غالباً . ومن المميزات الخاصة عند الطفل نفسه أنه لا يبرق ، وتكون حركاته قليلة أو نادرة ، وصراخه ضعيفاً يشبه العويل ، وتنفسه صعباً وقلبه ضعيفاً

(١) يوجد يافوخان في الرأس وهما اليافوخ الامامي أو اليافوخ الكبير الكائن عند ملتقى العظم الجبهي بالعظمين الجداريين في أعلى الجمجمة ، واليافوخ الصغير ومركزه خلف الجمجمة عند ملتقى العظمين الجداريين بالعظم المؤخري .

في أغلب الأحيان . وهكذا قل عن الهضم فإنه يكون سيئاً نتيجة نقصان افرازات الهضمية.

وهناك أيضاً قضية الوزن عند الطفل المبتسر . فالذي يولد في الشهر السابع يكون وزنه كيلو غرامين ، وفي نصف الشهر الثامن كيلو غرامين وربع ، وفي الشهر التاسع كيلو غرامين ونصف — بينما الذي يولد في أوانه يكون وزنه ثلاثة كيلو غرامات ورُبع تقريباً . وطبيعي أنه كلما كان نقص الوزن شديداً قلّت فرصة بقاء الطفل حيّاً . ونقص الأطفال المصابين بالضعف الخلقي الشديد والخطر (وهم الذين يزنون أقل من كيلو غرامين يموتون في الأسبوع الأول من العمر . والأطفال الذين يزنون كيلو غراماً واحداً أو أقل لا يعيشون أبداً مهما بذلنا من الجهد والعناية أمامهم . أما الذين يولدون في الشهر الثامن من الحمل فيعيشون بنسبة أكبر من المولودين في الشهر السابع)

والذي يجدر ذكره هنا بنوع خاص هو قضية الحرارة عند الطفل الذي يولد قبل أوانه ، فهو لا يفرق من هذه الناحية عن الحيوان ذي الدم البارد كالسمك مثلاً ، ثم إنه لا يقدر أن يقاوم الحر ولا البرد كالأشخاص البالغين ، وتكون درجة الحرارة الطبيعية عنده واطئة جداً (٣٥° أو ٣٦° مئوية) ، وتصعد أو تهبط هذه الحرارة عنده مع درجة المحيط الذي يضعونه فيه — بينما الحرارة نفسها لا تختلف في الشخص البالغ باعتبار الصقع أو الفصل أو الجنس ، فهي أبداً على درجة متساوية تقريباً إلاّ في بعض الأمراض كالحميات مثلاً . وفي طاقة الانسان أن يتقابل الحرّ أو البرد الشديدين كما يشاهد عند الذين يعيشون في الأقطار الاستوائية والشمالية ومحافظته على درجة واحدة من الحرارة .

﴿ مصير الولادات المبتسرة ﴾ : وهنا نتساءل : ما هو مصير الولادات المبتسرة وهل من خطر فعلاً على مستقبل أولئك الأطفال ؟ الجواب على هذا يختلف فيما اذا كانت الولادة قبل أوانها ناتجة أو غير ناتجة عن مرض خاص عند الأم . فالذين وُلدوا قبل أوانهم من والدات مصابات بالبول الآحي Albuminurie مثلاً ، أو بالسل أو بأمراض القلب أو بالزهري الذي أُهمل علاجه ، أو بالأمراض المعدية الحادة (كالالتهاب الرئوي والحمّى التيفية والحمّى القرمزية والأنفلونزا الشديدة والتشنجات النفاسية (Eclampsie) أو تسمم الأم من تعاطي المشروبات الروحية والمورفين : يصعب اذ ذاك انقاذهم وعلاجهم ولا يستفيدون إلاّ قليلاً من التغذية نظراً الى ضعف عملية التمثيل عندهم لقلة حيويتهم . ثم ان هيئتهم تدل على إنهم قد وُلدوا وفيهم نقص خلقي أو وراثي مكتسب من المرض المصابة به أمهم . وبالعكس لما ينقطع الحمل لسبب من الأسباب العارضية كالاصابة بالجروح ، أو الاصابات التي تقع على بطن الحامل أو الخوف أو الانفعالات الشديدة ، أو الوقوع على الأرض ، أو وجود توأمين ، أو ليس

الأحزمة الضاغطة على البطن لاخفاء معالم الحمل ، أو من وضع الطفل الشاذ في البطن أو عدم قدرة بعض النساء اللاتي لا يصل طفلهن إلى أوان الولادة الطبيعية الخ... ففي مثل هذه الحالات يمكن التوصل بوجه عام الى تربية الطفل دون أية عناية أخرى سوى ملاحظته وزيادة مداراته والسهر على حياته في سنته الأولى . ومتى وصل الى هذه السن نجد الطفل الى درجة ما متحسناً وصحته جيدة حتى انه لا يفرق بشيء عن الأطفال الآخرين الصحيحي البنية من السن ذاتها وإذا اقتضى الأمر فإنه يوضع في جهاز خاص حيث يمكن ضبط الحرارة والرطوبة والهواء النقي بالقدر الذي يحتاج اليه الطفل كما لو كان في رحم أمه. كذلك يُعطى الغذاء بقدر محدود يعيّنه الطبيب لأن على هذا الطبيب تترتب مسؤولية مثل هذه الحالات الدقيقة جداً .

﴿ كيفية العناية بالطفل المبتسر ﴾ : (أولاً — نظام التغذية) : المشاهد في الأطفال المولودين قبل الأوان أنهم لا يستطيعون في الغالب أن يرضعوا أو يتصرفوا تجاه أمهم بالنظر لضعفهم ، وهذا ما يقلل افراز اللبن من الثدي . فعلى الأم حينئذٍ أن تنبّه هذا الافراز وذلك بوضع طفل قوي على الثدي ليمتصه بشدة ، ثم يوضع بعدها الطفل الضعيف على ثدي أمه مدة دقيقتين أو ثلاث دقائق ، وذلك كل ثلاث ساعات في اليوم الثاني والثالث . ثم تزاد مدة الرضاعة في الأيام التي بعدها . وقد تضطر الأم في مثل هذه الحالات الى أن تشفط اللبن من ثديها بالشفاطة وتعطيه إياه بالملعقة أو بالقطارة اذا كان الضعف شديداً . واذا كان يلزم الطفل اللبن غير كاف فيُسكب هذا باحتراس وتأنٍّ في بلعوم الطفل مباشرة وذلك بواسطة ملعقة صغيرة ، ويمكن أيضاً سكبه في أحد المنخرين . والأفضل من هذا كله استعمال قطارة صغيرة ينقط بها اللبن في فم الطفل ، أو تستعمل قطرة (أنبوبة) صغيرة من الكاوتشوك الأحمر المرن من نمرة ١٥ الى ١٨ على الأكثر وتكون متصلة بحقنة وتمر أفقياً في قاع الأنف — بشرط أن تكون فتحتا الأنف نظيفتين جداً وخاليتين من كل افراز حتى تصل الى خلف الزور ثم المعدة، فيصب اللبن تدريجاً من إحدى فتحتي الأنف فيصل الى معدة الطفل بدون مجهود منه . وينصح بعض الأطباء استعمال جهاز خاص لجذب اللبن في الثدي بأحد طرفيه والطفل يمص اللبن من الطرف الآخر . وغني عن القول أن لبن الثدي بالنسبة لأطفال كهؤلاء هو اكسير الحياة ، فاذا تعذر الحصول عليه من الأم وجب احضار مرضعة لترضعه من لبنها

أما المقدار اللازم لتغذية أطفال ضعاف كهؤلاء فيختلف باختلاف الوزن. فالذي وزنه ٢٠٠٠ غرام مثلاً يجب أن يرضع ٤٠ غراماً من اللبن في كل مرة، وعدد الرضعات ١٠ إلى ١٢ يومياً ، أي بنسبة خمس وزن الطفل . وإذا كان وزن الطفل أقل من ٢٠٠٠ غرام فلا يجوز أن تتعدى كمية غذائه اليومي خمس الوزن، وكلما تقوّى الطفل قليلاً تقلل الرضعات الى ست أو ثماني يومياً .

وربّ سائل يسأل : هل يجوز تغذية هؤلاء الاطفال باستعمال الرضاعة الصناعية ؟ وما طريقة ذلك . الجواب انه يجب علينا في الدرجة الأولى اعطاء الطفل لبن أمه ، إذا لم يتيسر لنا ذلك فلبن المرضعة ، واذا كان وجود هذا متعذراً لسبب ما فلا مندوحة اذ ذاك عن ارضاعه صناعيًّا . والرضاعة الصناعية هذه تقوم بتخفيف اللبن المحلى المكثف وذلك بنسبة ١ = ٨ خلال الاسبوعين الأولين . وبعد ذلك يعطى الطفل مخففاً ثلاث مرات ومضافاً اليه السكر . ولما كان هذا اللبن قليل المواد الدهنية والزلالية فيعطى الطفل في الشهر الثاني بودرة اللبن المخففة ٣ ٪ لبن الآم والتي تحتوي على ثلاثة أرباع مواد دهنية ، ويستمر هكذا حتى يستطيع أن يأخذ لبن البقر في النهاية .

وكما أن اللبن ضروري لهؤلاء الأطفال فالماء أيضاً ضروري لهم وعلى الخصوص عصير الفواكه كعصير البرتقال مثلاً ، فيعطى مقدار خمس نقط مذابة في ملعقة صغيرة من الماء يوميًّا وذلك بعد الاسبوعين الأولين من الولادة . وكلما تقدم الولد في السن تزاد كمية عصير البرتقال مع كمية الماء . ويعطى أيضاً الأطفال نفسهم مستحلب زيت السمك الغني أيضاً بالفيتامين والذي هو أحوج وأفيد لهم من سواهم .

وعلى كل لا بد في مثل هذه الحالات من التضحية والاخلاص واستعمال القطنة والروية وبذلك ينشأ الولد صحيحاً معافىً ويصل الى شاطىء السلامة . والمراجع الطبية تؤيد لنا أنه قد أمكن تربية أطفال قد ولدوا حتى في الشهر السادس ونصفه ووزنهم لم يكن سوى ١٥٠٠ غرام بل ١٣٥٠ غراماً فقط .

ثانياً — التدفئة : الأطفال المولودون قبل أوانهم يتأثرون بنوع خاص من البرد ويخشون دائماً منه ، وقد تنخفض درجة الحرارة عندهم فجأة وتصل الى ٣٠ و٢٩ حتى ٢٥ مئوية دون أن يؤدي ذلك الى الوفاة ، فاذا لم نعمل على تدفئتهم بالوسائل اللازمة ، ولفهم بالقطن ، وجعل سريرهم مزوداً بزجاجات المياه الساخنة ودلك جسمهم بزيت الزيتون فقد يؤدي انخفاض حرارة جسمهم الى الوفاة . واذا كانت درجة الضعف شديدة فيوضع الطفل في محضن خاص (أي فرن) لمدة أسبوع أو أكثر .

ثالثاً — حماية الطفل من العدوى : ان الأمراض المعدية ، حتى الزكام العادي ، إذا أهمل أمر علاجها فكثيراً ما تمتد الى الرئتين وتسبب التهاباً تؤدي بنا أحه الى عواقب سيئة . ولهذا يجب الانتباه وعدم السماح لأي شخص مصاب أو مشتبه بمرض ما ، ولا سيما السعال والزكام أن يقترب من الطفل أو أن يدخل حجرته .

بيروت الدكتور عبده رشي

حول الدستور الفرنسي الجديد

الثقافة العربية في الجزائر

تستصرخ العرب

يبدو أن قادة العرب لم ينظروا نظرة فاحصة الى ما نص عليه الدستور الفرنسي الجديد من اعتبار (الجزائر العربية) بلداً فرنسياً لا فرق بينه وبين أي جزء من التراب الفرنسي من حيث الوضع الدولي . فلم يتجاوز موقفهم منه ما هو دأبهم أزاء كل تشريع يفرض على بلد عربي مصطنع من الاحتجاج والاستنكار الذي لا يعبر عن أكثر من تعزية سياسية ، لذلك البلد المنكوب ، مع أن هذا الوضع الدستوري الجديد الذي فرض على الجزائر فرضاً يهم — في رأينا — كل بلد عربي بطريق مباشر كأي وضع دولي ذي علاقة مباشرة بمصالحه القومية وحقوقه الخاصة . وهو لذلك قابل للتأثر ، بل عرضة للزوال بما تقوم به الدول العربية ضده — دفاعاً عن حقوقها القومية ومصالحها الخاصة — من عمل ايجابي جدي حازم جريء فأخطر نتائجه — في رأينا — هو تسويغ كل إجراء تتخذه فرنسا (لتخليص) الجزائريين من عروبتهم واستخلاصهم لما يرادون عليه من الانقطاع عن ماضيهم والاندماج الروحي في العائلة الفرنسية الكبرى ضماناً للاندماج السياسي وأماناً من كل ما من شأنه ايقاظ الشعور القومي والنزعة الانفصالية من الداخل أو الخارج ولو بعد حين . أو بعبارة أوجز تبرير العمل بصراحة على ابادة القومية الجزائرية من أسسها الاولى بمحاربة الثقافة العربية في الجزائر — بصفتها ثقافة أجنبية — بجميع الوسائل في مأمن من الرأي العام الدولي . إذ لا وزر على فرنسا — كأمة ذات حضارة — أن تعمل على التمكين لحضارتها في جزء من وطنها وإن أدى ذلك الى محاربة ثقافة أو حضارة أخرى داخل ذلك الجزء بحجة أنه ليس بحاجة اليها ، بل قد لا تنسجم مع حضارته القومية ومصالحه الوطنية وقد يكون انتشارها عاملاً في تفكيك

الوحدة التي هي ضرورية لحياة الأمة وليس هذا مجرد حدث قد يختلف به الغلو في التعصب جادة الصواب .

فبينما ينص هذا الدستور نفسه في مقدمته ومواده الأولى على ضمان الحريات كلها — ومن بينها حرية القول والاعتقاد والاجتماع — لجميع الفرنسيين والقاطنين في الأرض الفرنسية ومنهم الجزائريون الذين أطلق عليهم لقب (الفرنسيون المسلمون) نرى أصابير الأوراق المهملة في محافظات جميع المدن والقرى بالجزائر تنبت مئات المطالب بالترخيص في فتح مدارس أو تأسيس جمعيات وأندية عربية مهما كان نوعها وهدفها . ونرى هذا الشعب الذي يضم ٥٠ ألف وأحد عشر مليون ناطق بالضاد لا يسمح فيه بإصدار صحيفة واحدة بلسانه الذي حافظ عليه وآثره من بين سائر الألسنة ثلاث مئة وألف سنة ولا يسمح فيه باستيراد صحيفة عربية أو كتاب عربي من أي بلد عربي آخر وإن كان موضوع الصحيفة أو الكتاب لا يخرج عن الدين الذي ينص هذا الدستور على ضمان حريته، في حين يسمح بإصدار واستيراد الصحف والكتب بجميع الألسنة الأجنبية الأخرى مهما كان نوعها وموضوعاتها وقد تكون دعاية صريحة ضد السيادة والمصالح الفرنسية . بل لقد أصبح الحديث بالعربية العامية فيه دليلاً على التمرد والخروج على الطاعة ومدعاة لوضع المتحدث بها — كرجل خطير على أمن الدولة تحت رقابة عصبة من الجواسيس — فالدستور الذي يكفل جميع الحريات الفردية والاجتماعية يعتبر الجزائر بلداً فرنسياً ويعتبر اللغة العربية لغة أجنبية وخطيرة على سيادة الدولة ومصالحها القومية فهي لذلك اللغة الأجنبية الوحيدة التي لا تتمتع في الجزائر بالحرية لأن حريتها يعرّض سلامة الدولة للخطر — لقد أعلن في عهد حكومة الجنرال شارل ديجول إلغاء القوانين الأهلية وهي القوانين الاستثنائية التي كانت مشروعة على الجزائر طيلة عهد الاحتلال . وحسب بعض الأغرار أن الأمة قد أريحت من كابوس خانق ومتعت ببعض الحرية برفع هذه القوانين التاسية فصار في إمكانها النهوض بمستواها الاجتماعي والثقافي . بيد أنها ما لبثت أن أخذت الحقائق تجبهها في قسوة ومرارة . فأعلن الجنرال جورج كاترو بصفته والياً عاماً لفرنسا في الجزائر ووزيراً مفوضاً لها في شمال أفريقيا عامة مشروعه الذي يتلخص في إنشاء عشرين مدرسة فرنسية لمختلف مراحل التعليم

مهمتها أن تخرج في خلال عشرين سنة مليون غاب لا يعرفون كلمة عربية واحدة وأتبع ذلك بتصريحه الذي يقول فيه (ان الذين يحلمون بإبقاء الجزائر عربية أو بإمكان انفصالها عن فرنسا إنما هم أغرار يستحقون الشفقة والرثاء). ثم جاءت حوادث ٨ مايو سنة ١٩٤٥ فاتخذتها فرنسا سبباً لاغلاق جميع المدارس العربية بحجة أنها كانت وكراً للمتآمرين على سيادة الدولة والأمن العام. مع أنّ الذين اشتركوا في تلك الحوادث أغلبهم من العمال وخريجي المعاهد الفرنسية. وأطلقت لسان صحافتها على العربية والإسلام فكتب نفر من رؤساء أحزابها بما فيها الشيوعية والاشتراكية ومن وزرائها السابقين وفي مقدمتهم المسيو مارك ركار وزير العدلية السابق يطالبون بإبادة المساجد من كامل القطر الجزائري أو على الأقل بترجمة القرآن الى اللغة الفرنسية ترجمة رسمية منقحة يحذف منها كل ما من شأنه إيقاظ النخوة والشعور بالكرامة في النفوس لتفرض على المسلمين لتلاوتها في الصلاة والعبادات، على أن تحرم اللغة العربية عليهم تحريماً قاطعاً اذا ارادت فرنسا الاحتفاظ بالجزائر كجزء من أرضها لأن اللغة العربية هي أخطر شيء على السيادة الفرنسية. وكان من نتائج هذه الحملة الشعواء التي استمرت حوالي أربعة أشهر وشاركت فيها جميع الصحف الفرنسية الكبرى أن صدر قرار من الولاية العامة الفرنسية بالجزائر ينص على عدم الترخيص لأحد بالتعليم العربي إلاّ بعد أداء امتحان في اللغة الفرنسية ... وعلى عدم الترخيص بفتح مدرسة أهلية إلاّ بعد الاطمئنان الى نزاهة القائمين بها ... وتعهدهم بتعليم الفرنسية والعربية معاً في حصص متوازية ... وشددت الرقابة على الحدود التونسية حتى لا يفلت الى تونس طلبة العلوم العربية المغامرون لتلقيها في جامع الزيتونة (صنو الأزهر) وسيق عشرات منهم الى السجون لأنهم حاولوا اجتياز الحدود بغير جواز فالحصول على الجواز أمرٌ ليس في الامكان وعويز عليهم أن تتقلص ظلال الثقافة العربية من الجزائر العربية — وعلى الرغم من مساعي الجزائريين الذين اشتركوا في وضع الدستور الفرنسي الجديد أملاً منهم في تحقيق بعض رغبات الجزائر القومية من هذا السبيل — فقد أصرّ جميع زملائهم من الفرنسيين على رفض رغباتهم في اعتبار اللغة العربية لغة رسمية في الجزائر الى جانب اللغة الفرنسية فأصبحت بحكم هذا الدستور لغة أجنبية فيها، وأصبح كل ما كان يتخذ ضدها من أعمال أو يشرع من

قرارات ادارية موافقاً لروح الدستور ونصوصه فصار بذلك عملاً شرعيًّا ليس فيه من جناح .

وبديهي ان تضييق الخناق على اللغة والثقافة العربية مساس صريح ومباشر بالحقوق القومية والمصالح الخاصة للدول العربية . إذ من نتائجه زوال نفوذها في بقعة تعتبرها جزء من وطنها الاكبر ، كما أن من نتائجه فقدان مصر وسوريا لسوق كان من أخصب أسواق مكاتبها وصحفها وكان في الامكان أن تزداد نطاقها عن أيام فهل فكرت الدول العربية في اتخاذ موقف عملي حاسم ازاء هذا الاعتداء ان في امكانها ولا سيما مصر وسوريا انقاذ مصالحها وانقاذ الجزائر من خطر تكرر مأساة الاندلس مرة أخرى في تلك البقعة التي دافعت عن عروبتها قرناً وسبع عشرة سنة دفاع الأبطال .

ففي مصر وحدها ١٣٦ مدرسة فرنسية بمختلف مراحل التعليم ، وفي مصر توزع كل أسبوع ٨٠ صحيفة فرنسية يصدر بعضها في القاهرة ويرد الباقي من فرنسا في امكانها أن تطالب بدل كل مدرسة وبدل كل صحيفة مثلها في الجزائر وهي بذلك غير ظالمة وهي بذلك صريح كثيراً

* * *

أما بعد ، فقد وفد على مصر منذ فترة وجيزة الأديب الفرنسي الكبير المسيو جورج دوهاميل داعية للثقافة الفرنسية وكانت أول محاضرة له في القاهرة تحت عنوان (فرنسا حياتي) . وسوف لا يصل هذا المقال الى القراء حتى يكون الاستاذ موريس بارصون الأديب الفرنسي المشهور قد وصل مصر لمواصلة ما بدأه سلفه من الدعاية لفرنسا وثقافتها . فهل فكرت مصر في أن توفد الى شمال أفريقيا من أساتذتها من بعد أولئك العرب المثقفين المحرومين بأقباس من الثقافة وتجدهم في مصر العزيزة التي قطعت بينهم وبينها الصلات منذ زمن طويل . إذ فرنسا لم تسع إلاّ مرغمة وفي إمكان مصر أن ترغمها ان شاءت وعسى أن ينتبه قادة مصر الى هذا الواجب الخطير .

محمد الهاجع الناصر الجزائري

قصة علم النفس الحديث

الباب
الذي امتنع غلقه ...

... قصة بقلم ماري دو رنس ريتهارت ، لعلها أن تكون أقرب الى الواقع الذي منها الى الخيال العلمي . . . أهديها الى الناشئة الجديدة من فتيات الروم ، اللائي لا تكاد تستقر بين الحياة الزوجية حتى تنتهي سعادتهن سحب قاتمة من غيوم الشك والخوف . . .

وكان شبح حماتها يكمن وراء الباب الكبير ، أما الآن فقد اختفى . . .

حدث هذا أول ما حدث عند ما كانت لويس في المنزل ، وكان روي زوجها في عمله ومابل الخادمة تجادل بعض الصبية عند الباب الخارجي في فترة راحتها المسائية — ولم تكن لويس قد لاحظت شيئاً من قبل ، أو لعلها لم تكن قد تنبهت إليه جيداً ، ذلك أنها لا تكاد تغلق باب مسز اليسون حتى يعود فينفتح إن عاجلاً أو آجلاً . . .

وفي ذات ليلة صارحت لويس زوجها بكل شيء ، وقد كانت حذرة في حديثها كل الحذر ، فانها تعلم مبلغ ما يصيب روي من الحزن والألم عند ما يتذكر أمه . . . فقالت له « أريد يا روي أن تلقي نظرة على باب حجرة أمك » فقابل روي عبارتها هذه بتجهم ، وقال « وما أمر هذا الباب ؟ . . . »

لقد امتنع غلقه . .

— . . هذا سخف . فما الذي يمكن أن يحدث له ؟ . .

— لست أعلم ، وإنما هو مفتوح كل الوقت ، لا تكاد نغلقه حتى يعود فينفتح . .

— هذا أمر يحدث لكل الأبواب . . .

أخذ روي حديث لويس على أنه بقايا مخاوف قديمة لم يقبرها الموت ، وكل ما هنالك محاولة خبيثة من جانب زوجته لكي تغلق باب مسز أليسون الى الأبد ، كأنما حجرة الأم كافية لأن تثير المخاوف . .

— وقد أرادت لويس أن تدافع عن نفسها فقالت لروي « هذا غير صحيح ... فأنت تعلم أنني كنت مخلصة لها ؛ ومن أجل هذا أسألك وأكرر السؤال ، لماذا يا عزيزي ، وقد كانت هذه معاملتي لأمك ، تفعل هي بي ما تفعله الآن ؟ ... !!

— ما الذي تفعله ؟ ..

... — تقف هنا ... منذ عشر سنوات ، من ذلك اليوم الذي جمعنا فيه رباط الزواج ، وهي واقفة هنا لا تترك هذا المكان ، كانت تمشي وكنت أنت تظنها قد ملت عن الحركة ... كنت أعمى بعد أن تمام أنت .. كانت ...

ولكن روي قاطعها في قسوة ، وخرج غاضباً إلى حيث لا يسمع شكوى زوج ترزق في الحياة من أم ترقد في أطباق الثرى ...

أما لويس فقد ظلت جالسة تفكر في الماضي البعيد الذي انقضى ، في هذه السنوات العشر العراض التي حفلت بنظرات البغض وتنفذ كالسهام من حجرة مسز أليسون ، تلك المرأة التي اجتمع فيها الحقد بما لم يجتمع في غيرها ، حتى لقد كانت وهي المشلولة الحركة — كما كانوا يزعمون — تتسرق أخبار المنزل وتحيط بكل صغيرة وكبيرة فلا يفوتها شيء من أحداث المنزل الكبير ... أما هي فقد أخذت تروض نفسها على احتمال هذا كله ما دام روي معها بجانبها ، ومع هذا فإنه حتى علاقتها بروي قد بدأت تفتر وكأنما كانت هنالك أذن ماكرة تصغي الى كل شيء ، حتى الى خفقات القلوب الخافقة بهوى الشباب ... كانت هذه المرأة العجوز راقدة في سريرها تسمع وتنظر ، ولئن كانت النظرات تقتل فما أحراها لنظرة من نظرات هذه المرأة البغيضة كافية لأن تقضي على لويس وأمام شبابها لا تزال تتفتح ...

كانت لويس جالسة إلى المنضدة تفكر في كل هذا .. أجل ، إنّ حماتها كانت تكرهها بهذه الكراهية التي تمثل غيرة امرأة عجوز ثانية من امرأة شابة فاتنة .. كانت تكرهها لأن روي يحبها .. منذ ذلك اليوم الذي عادت فيه مع روي من حفل زواجهما ، صادفتها هذه المرأة كعقبة كأداء في سبيل حياتها وسعادتها .. وإنها لتذكر جيداً كيف قابلت المرأة العجوز زوجة ابنها لأول مرة بابتسامة لن تنساها لويس ما بقي لها حياة .. دعتهما مسز أليسون إلى حجرة الاستقبال ليتناولا الشاي لأول مرة وكان أول ما قالته تحية لها . « إنني الآن امرأة عجوز ، وإنني طبعاً لا أهتم إنني فقدت ابناً بل كسبت ابنة — ولكنني من الآن لن أصبح سيدة المنزل »

وقد كان تصريح مسز اليسون مفاجأة لروي غير منتظرة فأبتدرها قائلاً « ولماذا يا أماه

لا تدع الأمور تجري كما كانت ، وأنتِ لا هك تعلمين أن لو أصغر من أن تتولى ادارة منزل كبير . » فأجابت مسز البسون « لا يمكن أن تجري الأمور كما كانت يا بني العزيز ... فأنت الآن متزوج .. » . ثم كان أن أصرت مسز البسون على أن تأخذ لويس مكانها من الطاولة ، كل هذا ونار الحقد تتأجج في نفسها وتنبعث من فمها في صورة ابتسامة .. يالها من ابتسامة ! ..

... صور الماضي تتلاحق أمام لويس وهي جالسة عند الطاولة تفكر .. « فهذا روي قد أتخمه الحب والفرح فحمل لويس على كتفيه وأخذ يدورها في أرجاء الغرفة ، ثم دخل حجرته الخاصة وهو يقول « وأخيراً أنت معي يا عزيزتي .. وفي حجرتي » .. وها هي هذه الفتاة الخجول تبدأ في خلع ملابسها وهي تتردد .. وروي يبصرها وهو جالس في الطرف الآخر من السرير يصفق طربها ويضحك من تردها ... ثم يتبادر إلى سمعها صوت ارتطام جسم ينبعث من الدهليز الطويل في هدوء الليل ، فيخرجان مسرعاً من الحجرة ... فماذا يصادفهما ؟ رأيا مسز البسون ملقاة على الأرض فاقدة النطق ...

أجل كانت هذه ليلتها الأولى ... وهذا روي يحمل أمه فزعاً مضطرباً إلى حجرتها وتجمع الخدم وحضر الأطباء واضطرب كل شيء ... ولما أرادت لويس أن تتبع روي أزاحها بيده جانباً كأنه هو لم يعرفها من قبل .. فانسلت لويس وحدها الى حجرة الاستقبال الكبرى ... كان الجو بارداً وكانت تشعر بقشعريرة ..

وهي الآن تشعر بقشعريرة . لقد طال جلوسها ولا بد أن تعد الطعام بيدها لأن مابل قد ذهبت إلى منزلها ، ومع ذلك ظلت جالسة تفكر . قد يكون روي على حق وتكون هي قد أصيبت بجنون .. يالها من سنوات عشر قضتها في ذلك المنزل الكبير الذي أفلس فيما بعد من المال وتلاشت هي متاعب الحياة فيه ، فكانت تغسل وتحمل الأطباق وتعد الطعام بيدها وكانت فرق ذلك كله تقوم بخدمة امرأة عجوز تكرهها ، لا لشيء إلا لأن روي يحبها ، عشرة أعوام تمضي وهي تعمل جاهدة على إسعاد روي ، والآن عندما بدأ الخلاص يقترب ؟ ...

وفجأة تنبهت لويس إلى صعود روي درجات السلم فقامت مسرعة وما إن رآها روي حتى ابتدرها قائلاً « اسمعي يا لو لقد أحكمت غلق الباب بيدي الآن .. »

— وهل كان مفتوحاً ؟ ! .

— أجل ! ولماذا ؟

— لأني قد أغلقته بيدي قبيل أن تنزل ...

نظر إليها روي ثم استدار بسخرية لاذعة قائلاً لها . « انني على موعد الآن .. وأمامي

عملي الذي يجب أن أوليه عنايتي ، وليس لي من الوقت ما أضيعه في ترهات عجائز ... »

وبعد خروج روي ، صعدت لويس بهدوء إلى غرفة صوز أليسون لتتأكد .. فألفت الباب مفتوحاً .. فكاد أن يغمى عليها ولكنها تمالكت وأمسكت الباب بيدها وظلت تنظر إلى فراغ الحجرة الملتحف بالظلام وهي تقول . « اصمتي ! » ماذا يجديك من هذا كله ؟ .. ألم يكفك أن روي كان في يدك كل هذه المدة ، حتى بعد زواجي به كان دائماً في يدك ... لا تعتقدي إني كنت أجهل ، لقد كنت أعلم كل شيء .. ألا تتركينه الآن ؟ . إني لا أسأل هذا من أجلي ، ألا تريدين أن يكون سعيداً ؟ ... » — وانتظرت لويس جواباً لهذه المفاجأة فهي قد مرت من قبل أنه في مثل هذه الأحوال تتردد أصوات مبهمة وتنبعث أضواء مختلفة ، ولكن هيهات من هذا لم يحدث ، وهي نفسها لم تكن تعتقد بشيء من هذه الخرافات فكيف لها أن تعلل ما يدور حولها ، وإذا كانت مخطئة أو واهمة فكيف السبيل إلى التخلص من هذا الوهم ؟ ...

اكتفت لويس بعد ذلك بإحكام غلق الباب ، ثم صعدت الى المطبخ لتعد طعام العشاء لروي . ولما عاد روي كان يبدو عليه النشاط واختفى عن وجهه ذلك التجهم وتلك الصلابة التي قابل بها حديث لويس السابق ، وكان أول ما فعله أن وضع يده على كتف لويس وقال لها « آسف يا لويس فتحن متعبا الأعصاب على ما أظن ولا بد من ذهابنا إلى السينما ... »

وفي خلال عرض الفيلم غشيت روي اغفاءة فنام — وكانت لويس تلاحظه في نومه وقد ملأ الخوف قلبها ... كم تغير روي في خلال هذه الأسابيع الأخيرة حتى لقد بدأ كرجل متعب ، كرجل بدأت حيويته تنضب ، كرجل مريض .. انتفضت لويس لهذا الخاطر الأخير وانتهى الفيلم فاستيقظ روي ولم يكن يدري متى نام ...

وعادا إلى المنزل في ساعة متأخرة من الليل فوجدا الباب مفتوحاً ... فنظر روي الى لويس ضاحكاً وقال لها « أجل يا لو إن الباب مفتوح مع أني أقسم أني أغلقته بيدي .. اعتذاراتي لك يا لو ، إن هذا الباب يفتح حقا » . وكان روي ينظر إلى الباب وهو يغلقه بنهم متبسم فقد أفادته الاغفاءة فقابل الأمر مرحاً وعند ما استلقت لويس في سريرها قبلها روي وأطفأ النور ...

لكن الباب عاد فانفتح .. وسمعت لويس صريره من خلال الدهليز الطويل فجلست وعيناها تمتلئان رعباً وخشيةً ... وقالت « لا .. لا يا روي أرجوك »

— ماذا جرى لك ، ألا استطيع أن أنام براحة

— ... الباب يفتح مرة أخرى ... إنها هنا ، أظنها قد ذهبت ، إنها لم تذهب ، إنها في المنزل لم تتركه أبداً ..

فلم يكن من روي إلا أن ترك الحجرة لويس وذهب هو لينام في حجرة أمه . وفي هذه الليلة لم تنم لويس دقيقة واحدة . أحست بمابل وهي عائدة في منتصف الليل تتحسس طريقها في حذر لكي لا تنبه أحداً إلى وصولها متأخرة . وبين الساعة الثالثة والرابعة سمعت بائع اللبن بجواره وأحست به وهو يفرغ اللبن من الوعاء ، ثم وهو يذهب إلى منزل آخر ...

وفي الصباح كان يبدو على روي الهزال وكان يسعل فأثار هذا خوف لويس وقالت له «أنك مريض» فأجاب « ان هذا حال كل زوج تخرجه زوجته من حجرته في الليل» .

ولكنه أضاف قائلاً « لا يهمك هذا كثيراً ... اللهم اني أريد دمابك الى جهة ما بعيدة عن هذا المنزل للاستجمام فان رحلة أيام في مكان هادئ قد تذهب بما أصاب في أعصابك من الاضطراب ..»

ولكن لويس رفضت قائلة لن أذهب قبل أن تبرأ من هذا البرد ... اني ظللت أفكر طوال الليل وأتساءل هل قد فقدت عقلي ! .. »

وعندما هم روي بالخروج بعد طعام الافطار كان يسعل بشدة .

وفي الساعة الحادية عشرة حضر نجار بعث به روي لكي يصلح ما بباب مسز أليسون من عطب إن كان هنالك ثمة عطب ... وقد ظل النجار مدة طويلة يعمل في الباب ما يخطر له من ضروب الاصلاح ، وفي النهاية أشار الى متانة الباب واحكام غلقه بحيث يصعب فتحه . وما أن فرغ النجار حتى نظرت لويس إلى نفسها في مرآة الدهليز الكبرى ، فماذا رأت ؟ .. رأت عينين متعبتين فاقدتي الحياة وشعر رأسها الطويل قد بدأ يتهدل وينبت الشيب فيه . وقد أخبرت لويس خادمتها بذلك فكان جواب الخادمة أن على لويس أن تراعي صحتها وتعني براحتها ، إذ هنالك رباطاً من المحبة وثيقاً يربط لويس بخادمتها ، فقد ظلتا سوياً في جحيم عشرة أعوام ، كانا خلالها عبدين لحرس صغير تقرعه امرأة عجوز ، كلاهما سعدا درجات السلم وحملا الاطباق وأحضرا الطعام وغسلا الثياب وكلاهما اشتركا في حياة الخوف والشك طوال عشر سنوات ...

— ... ماذا كنت أفعل لولاك يا مابل ؟ ..

— إن كل شيء على ما يرام يا سيدتي ..

— أجل كل شيء على ما يرام يا مابل . وطفقت لويس ترد هذه العبارة . لكن لم

يكن كل شيء على ما يرام ، لأن الباب قد فتح . . .

* * *

بعد عامين من هذا كانت لويس تجلس أمام رجل ينصت إليها بوجه هادىء كريم . .

— أجل ، لقد فهمت ، ولكن منذ متى لاحظت أمر الباب ؟ . .

— عند ما عدت من جنازة مسز أليسون عمتي ، ذهبت الى حجرتها وأقفلت نوافذها وقد كانت مابل الخادمة قد رتبت كل شيء ، وعند ما خرجت أغلقت الباب ، وأنا واثقة من ذلك ، لأنني عدت ثانية وتوثقت من غلق الباب . . .

— ولماذا أردت التأكد من غلق الباب ؟ . .

— لأنني كنت أريد أن يكون الباب مقفلاً . لم أكن أرغب في أن أرى الحجرة مرة أخرى ، فقد قاسيت منها الكثير ، كانت مثار ازعاج لي ، فكنت أريد أن أنسى الحجرة .

— ثم ماذا . .

— . . بعد هذا بثلاث ساعات كان الباب مفتوحاً لآخره . .

— ولماذا كنت تريدين نسيان الحجرة ، الآن مسز أليسون كانت مريضة لسنين طويلة وكانت لذلك مبعث اضطراب وقلق ؟ . .

— . . . أجل كان هذا بعض السبب كما أظن ، فقد ذهب شبابنا أنا — وروي ، فأنا الآن في سن الثلاثين ، ولم نخلف ولداً ، فلم يكن هنالك أمامنا غير البؤس ومراقبة الأطباء والدواء . .

— كان هذا كما تقولين بعض السبب . وماذا كان البعض الآخر ؟ . .

— كانت مسز أليسون تملىء غيرةً مني . . في الليلة الأولى من زواجنا أصيبت بنوبة في قلبها . .

— هل تظنين أنها كانت نوبة حقيقية ؟ . .

— لست أعلم ولم يكن من الممكن لي أن أعلم أبداً . .

— . . لقد كنت تكرهينها إلى حدّ بعيد . أليس كذلك ؟ . .

— كلاّ . . لست أعلم ، لقد كنت دائماً أخاف منها فقد كانت تحاول أن توقع بيني وبين زوجي . .

— . . . وفيما يختص بالباب أواثقة أنت من أنه يفتح أم أنك فقط تخشين أن يفتح ؟ . . أتفهمين ماذا أعني ؟ . .

— لست واهمة في ذلك فلقد رآه روي ورأته مابل الخادمة . .

— . . وماذا تستنتجين من كل هذا ؟ . .

— . . . أعتقد أن مسز أليسون عادت ثانيةً من أجل روي . . وأنا أخشى أن تأخذه مني ، ومن أجل هـذا أنا هنا لأعرف وجه الحق منك . ولكنك لم تعرف هذه المرأة . . إنها قادرة على ذلك . . وروي الآن ليس في حالة طيبة . . إنه ليس على ما يرام منذ موتها .

وفجأة أغرورقت عينا لويس بالدموع ودفنت وجهها في منديلها . . وقالت « إنني أعتقد في نفسي الجنون . . . لا تعتقد إنني لا أقدر صدى هذه الترهات عند سامعها . لكنني أشعر بوجود المرأة في المنزل ، في حجرتي ، في كل مكان . . . »

مال الطبيب بظهره في كرسيه وقال في حدوء . . لا . . ليس بك جنون . . وإنما يستحسن انتقالك من منزلك هـذا إلى بقعة أخرى ، ولو إلى حين ، فإن هذا قد يكون أبعث لك على الاطمئنان »

— لكن روي لن يقبل أن يترك المنزل الذي فيه ولد وظل طوال حياته

— أفضل أن أتحدث في هذا إلى زوجك . . والآن أوصيك بأن تشتري في طريقك قفلاً لتوصدي به باب الحجرة وتحاولي النوم الهادىء . . وثقي أنك سليمة وتحتاجين الى بعض الراحة فلا تخشي شيئاً . . .

* * *

في طريقها الى المنزل ، ابتاعت قفلاً ، ووسعته هي ومابل في باب الحجرة قبل حضور روي .

ولكن روي لم ينتبه الى القفل ، فقد عاد أسوأ مما كان وقد تفاقم مرضه . وكان نومه في هذه الليلة نوماً مضطرباً . أما لويس فلم تنم دقيقة واحدة — لقد كانت قلقة على روي وكان يستولي عليها شعور بأن في الحجرة شخصاً قوياً جداً يريد اختطافه منها . وفي فترة أغفت فيها صحا روي وتقلب كثيراً في نومه ، أخذت لويس توجه حديثها إلى الشخص القوي بصوت مرتفع :

. . . لا تستطيعين فعل هذا . ليس في مقدورك أن تأخذيه مني . إنه ملكي أنا . انه لا يزال صغيراً ، فلماذا لا تتركيه ؟

ثم وضعت لويس يدها على رأس روي فإذا به يلتهب من الحرارة ، فانتفضت واقفة في وسط الحجرة المظلمة وقد أحست الاحساس أن هناك صراعاً بين المرأة الميتة وبينها .

صراعاً بين الخير والشر ، بين الحياة والممات ، فكان عليها أن تقاوم . « إنه لن يموت » انه سيحيا أتسمعين هذا ؟ .. »

وفي الصباح إستدعت الطبيب فإذا بروي قد أصيب بالتهاب رئوي وأمر الطبيب أن يعالج روي في المستشفى ..

ومرت أيام عصيبة كان روي في حالة بلغت منتهى الخطورة وبلغ بجسمه الهزال مبلغاً كبيراً وكان وجهه يبدو غريباً أقرب إلى وجوه الموتى منه الى وجوه الأحياء .. وكانت لويس حجرة أخرى بجوار حجرة روي ولكنها لم تكن تستعملها ، لم ترد أن تترك روي أبداً لأنها كانت تخشى عليه من أمه التي ماتت . . أجل ، فلقد رأوها ذات مرة تبحث في إحدى أركان الغرفة المظلمة وكأنما هي تتبع شخصاً معيناً . وكان يحدث أحياناً أن تغفو قليلاً في كرسيها ، لكنها لا تلبث أن تثب فزعاً وتطوف بأرجاء الحجرة المظلمة باحثة عن شيء ... كانت الممرضات تلاحظن هذا كله ، فكن يقلن فيما بينهن : هذه المرأة تتسلق إلى حتفها ، فهي تخشى أن تنام ...

وذات ليلة لاحظت إحدى الممرضات لويس وهي تحادث روي ولم يكن من المعقول أن يسمعها في هذيانه كانت تقول له « عليك ياعزيزي أن تنساها انها لا تحتاج إليك ، أما أنا فأحتاج إليك » . وقد أخذتها الممرضة من يدها ونصحتها بالنوم قليلاً حتى لا تتحطم أعصابها . . ولكن لويس لم تنم . بل ظلت تبحث في أركان الحجرة المظلمة ، وبخاصة في الركن المواجه لروي ...

وفي الليلة التي بلغت فيها حالة روي أشدها ، لم يشاهدها أحد تسير في أرجاء الغرفة . فلقد خرجت في الظلام الدامس من الباب الخلفي للمستشفى ، وسارت كما يسير الحالم .. لم تذهب بعربة ، بل سارت على رجليها تتحسس طريقها ... إلى المنزل .

فتحت الباب ثم دلفت في الظلام . لم تحاول أن تنير المنزل ، ولماذا تنيره .. إنها تعرف المنزل جيداً وتستطيع السير في الظلام .. كان كل شيء في المنزل يكسوه التراب وبدا المنزل موحشاً وحشة القبور .. وصلت لويس إلى الطابق الثاني ، وكان الدهليز الطويل يمتد أمامها . وقد أضيء بضوء خافت ينبعث من الطريق . وفي نهاية الدهليز رأت لويس الباب المقفل بالقفل مفتوحاً . لم تكن وحيدة في المنزل ، كان هناك وجهاً يبدو من الباب دقيقاً صغيراً كذلك الوجه الذي كانت تبدو به مسز أليسون في ليلة زفافها وهي تقول « لا شيء يمكن أن يكون الآن كما كان ياروي ، إنك متزوج الآن » ...

كانت لويس ترتعش رعباً . ولكنها تمالكت وأخذت تحدث الصبح في ذلك الظلام

قائلة .. « ليس في مقدورك يا سو أليسون أن تفعلي شيئاً ... لقد انتهى كل شيء .. انقضى كل شيء .. »

.. كان عليها أن تفعل شيئاً . وكانت تعلم أن من الواجب أن تفعله حالاً .. لم يعد الأمر صراعاً وإنما أصبح سباقاً ، سباق الزمن . لقد جمعت لويس ما استطاعت من الأخشاب ثم ألقت فوقها كميات كبيرة من البترول وفتحت النوافذ ... ثم أمسكت بعود ثقاب وألقته بين الأخشاب . . وأخذت تعدو ، حتى إذا وصلت الى القاعة السفلى نظرت الى السلم ودرجاته وقالت :

« آمل أن تجدي صلاحاً . لم أكرهك أبداً أبداً »

ثم خرجت بهدوء . كانت النيران خلفها تتأجج ولكنها لم تنظر وراءها ... كل شيء كان هادئاً في الطريق المظلم ، ولم يرها أحد وهي تدخل المستشفى قبيل الفجر في تلك الساعة التي تخفت فيها حركة المستشفى ويسكن كل شيء حتى تأوهات المرضى ... وعندما وصلت لويس الى حجرتها شعرت بما فعلت وكاد أن يغمى عليها لولا انها تمالكت ... ثم دخلت حجرة روي فألفته أحسن قليلاً ، كانت عيناه مغمضتين ، ولكن السحنة الرهيبة ذهبت عن وجهه . وكانت لويس مضطربة من فعلتها ، كانت تردد « لقد ارتكبت جريمة » لقد « قتلت أم روي » وعندما وضعت يدها على رأس روي تمتمت قائلة « كان عليّ أن أفعل هذا يا عزيزي . كان عليّ أن أحطمها » .

كانت هذه آخر عبارة نطقت بها لويس قبيل أن يغمى عليها ، وقد حملتها الممرضة ورأتها وهي تسقط فحملتها الى سريرها .

ظلت لويس في سريرها عدة أيام . وكانت تنام في فترات متقطعة من الليل والنهار ، ولم يكن هناك ما يبدو لها من الحقائق سوى أن روي يتحسن ، ثم بدأ تفكيرها يتحسن قليلاً ، ذلك التفكير الذي ظل نهبة الاضطراب الشديد فترة طويلة من الزمن .

وفي ذات صباح استيقظت فرأت بجانب سريرها الطبيب النفساني الذي ذهبت لاستشارته من قبل . كان الرجل يبتسم لها وكان يلقبها الصغير بأنها أمام القاضي ، القاضي الطيب القلب ، الذي سيحكم على فعلتها ، فإما ردها الى الأمل أو أطاح بها الى اليأس .

— أعتقد أنك عرفت ماذا فعلت أنا .

— ما الذي فعلته ؟

— لقد أحرقت المنزل .

نظر إليها الطبيب وقد فاجأته المريضة ولكنه ما لبث أن ابتسم ثم قال لها « حسناً .. حسناً .. »

— .. أجل ، كان عليّ أن أفعل هذا .. فقد كانت المرأة هنالك ..

فقام الطبيب الطبيب ثم أمسك بيد لويس ونظر الى أظفارها المحققة والى آثار عشر سنوات من الذل والخوف وقال لها بهدوء :

« لويس .. هل كنت تعرفين أن هذا الباب الذي استعصى غلقه لم يكن إلا رمزاً لخصب. عند ما كنت تغلقين الباب كنت ترمين من وراء ذلك إلى نسيان الحجرة وآلامها ، ولكن الباب لم يكن ليقفل ، أو بعبارة أخرى لم تستطيعي أن تنسي الحجرة وآلامها . . »

وكانت لويس تنصت الى الطبيب بكل حسها . ولما انتهى من كلامه سألته « أأنت تعتقد إذاً أنني كنت متخيلة كل هذا ، أليس كذلك ؟ !!

ولكن الطبيب لم يجبها في الحال وإنما قال في حذر « لم تكن كل مخاوفك أوهاماً ولكن معظمها ... » ثم ربت على كتفيها ونظر إليها مبتسماً « المهم يا لويس ، أنك كنت تملكين الشجاعة التي بها حطمت أوهامك . وكم أتمنى لو أن كثيراً من مرضاي البائسين يملكون هذه الشجاعة ... »

وخرج الطبيب العظيم فاستلقت لويس على ظهرها وقد امتلأت ، فالقاضي الكريم لم يحكم بإدانتها .

... لكن هل من الممكن أن يكون هذا الباب رمزاً لخصب ؟ .. انها لتقفل عينيها فترى باباً طويلاً أبيض اللون ذا مقبض نحاسي أمضت سنيها هي ومابل ترعى لمعانه ونظافته ولقد ظلّ الباب مفتوحاً ، وكان وراءه .

... ولكن الآن كل شيء قد انتهى ولويس لا تشعر بوخز في ضميرها ، بل تنظر الى المستقبل بعين الأمل . ستقول لروي كل شيء ، ولكن ليس في هذا الظرف . بل عند ما يستعيدان صحتهما .

* * *

وفي مساء هذا اليوم أحضروا الى لويس زوجها وكان يجلس على كرسي ذي عجلات . . شعرت لويس أن الحائل بينها وبين روي قد زال الى الأبد ، وإنها لتنحني عليه بابتسامة امرأة أصيبت وقامت وضحت .. وأخذ روي يدني كرسيه بنفسه حتى لامس سرير لويس وكان يبدو نحيلاً جداً ، ولكن ثمة تغيراً في وجهه فقد عادت إليه نظرته القديمة الساحرة .

قال روي لممرضته « اخرجي الآن .. فانها زوجتي ولو كان في مقدوري أن أقف وأصل إليها ، فإني أتحرق شوقاً إلى تقبيلها ... »

* * *

وكانت لويس تنظر وتبتسم ، كانت ابتسامتها تنطق بالحب وكانت أيضاً تنطق بالحنان . ماذا لو أن روي نسي ؟ . لقد فطر الرجال على نسيان الماضي ، أما النساء فيذكرن الماضي دائماً . الرجال يبنون بينهم وبين الماضي حاجزاً كثيفاً ، ولا يتنبهون حتى الى محاولتهم النسيان . والآن لقد استطاع روي أن يحيط لويس بذراعيه ، وها هو ذا يمسك بها بشدة وهو يردد :

« عزيزتي .. عزيزتي .. » لقد عاد روي القديم بعينه .

— عزيزتي ، يجب أن نخرج من هنا سريعاً فإن أمامنا أشياء كثيرة يجب عملها . وإني لآسف إذ أنهي إليك أنباء سيئة .

— أنباء سيئة ؟ .

— أجل : المنزل القديم قد ذهب أثراً بعد عين .

وكانت لويس تلاحظه باهتمام بالغ .

— إنك ولا شك ستفقد شيئاً كبيراً . يا روي ! أليس كذلك ؟ .

— أنا ؟ أبداً . يا للجحيم ، لقد كاد هذا المنزل أن يقتلك .

... المنزل ، وليست أمه ، التي كادت أن تقتلها — ولكن هذا لا يهم الآن .

لقد بدأ روي يبني لنفسه حاجزاً كثيفاً أمام الماضي ، ونساه الى الأبد »

— أجل يا عزيزي ، لقد كاد المنزل أن يقتلني .

ومال روي عليها وقبلها قبلة طويلة « إننا كلانا سعيد الآن . يا للهي عند ما أخبرت بمرضك »

كم تراه قد علم من ذلك الماضي ؟ كم تراه قد علم من ذلك الصراع الطويل بين أمه وزوجته ؟ انها لن تعلم منه شيئاً لأنه قد نسي كل شيء . وانها أيضاً لن تذكر شيئاً عن الباب الكبير اللهم الا أنه لن يفتح مرة ثانية .

فؤاد عرض واصف

ليسانسيه في الآداب والفلسفة

أبو العلاء المعري

فلسفته وأدبه وقوة ذاكرته

إذا قلنا أنّ أبا العلاء كان فيلسوفاً لم نرد بذلك إنه أحدث في عصره مذهباً فلسفيًّا جديداً في مباحث الاجتماع ، أو الدين ، أو السياسة والإدارة أو ما وراء المادة ، أو قُوَى النفس البشرية ، ولكننا نريد أنّ له مشاركات حسنةً في نواحٍ فلسفية تحت عليها آثاره الطيبة نظماً ونثراً وأيّدها عمليًّا بسيرته في حياته فهو من هذه الجهة الحكيم كل الحكيم على نهج سقراط وأفلاطون اليونانيين وكنفوشيوس .

وأما أدبه فقد كان ناضجاً واسع النطاق يعدُّ ذخراً وتشريفاً للأدب العربي يوم كان الناس لا يكادون يفقهون من معنى هذا الأدب إلاّ أبواباً محصورة أشهرها باب الغزل وباب المديح حتى قال الأبيوردي :

قالوا تركت الشعر قلتُ ضرورةٌ ... بابُ البواعث والدواعي مغلقُ
خلت الديار فلا كريم يرتجى ... منه النوال ولا مليحٌ يعشقُ

هكذا كانوا يقولون ويعتقدون ، مما يحسب وصمة عار وتقصير وتشويه في وجه الأدب العربي لو لم يتداركه من أهله حيناً بعد حين أفراد قليلون يفطرن عنه هذه الوصمة ويكذبون أصحاب ذلك الزعم بما يتناولونه من مباحث قيّمة مختلفة بعيدة الآفاق وفي طليعة هؤلاء النحول الكرام أبو العلاء المعري فقد تناول أغراضاً جمّة نبيلة ولم يجعل للمديح والغزل من قريحته إلاّ نصيباً ضئيلاً . أما المديح فللإخوان له وفضلاء كان يقارضهم الثناء وعلامات الرضى والاعجاب . وأما الغزل فقد ورد تحت أصلة فقه عفيفاً طفيفاً كما ينتظر من أخلاقه وسيرته . ومن هذا الباب قوله :

زرونا على غير النواحي فقلما ... نستنجز إلاّ الذي هو أجوزُ
زنت أعينٌ منّا وعفّت ضمائرٌ ... نبتنا وأيدينا عن الأمس تحجز

وقوله : منك الصدودُ ومني بالصدود رضى من ذا عليّ بهذا في هواك قضى

بي منك ما لو غدا بالشمس ما طلعت من الكآبة أو بالبرق ما ومضا

إذا الفتى ذمّ عيشاً في شبيبته فما يقول إذا عصر الشباب مضى

وقال أبو العلاء ذاكراً ما للحظّ من سطوة وسيطرة :

لا تطلبنّ بغير حظّ رتبةً قلمُ البليغ بغير حظّ مزلُ

سكن السماكان السماء كلاهما هذا له رمحٌ وهذا أعزلُ

وقبله قال أبو الطيب المتنبي (والجد بفتح الجيم هو الحظ)

هو الجدُّ حتى تفضل العينُ أختها وحتى يكون اليوم للأمس سيدا

كما قال أيضاً في قصائده الكافورية :

ومالك نفس بالأسنّة والظبى وجدُّك طعّانٌ بغير سنان

وجاء بعدهما من قال :

وإذا السعادة راقبتك عيونها نم فالمخاوف كلهنّ أمانُ

واسعد بها المنقاء فهي حبالة واقتد بها الجوزاء فهي عنان

وقال أحد الأدباء الفرنسيين : « إذا استندت الى استحقاقك وحده في الرقي والنجاح فقت من آلام الحيبة أشكالاً وألواناً » .

* * *

ومن مختارات شعر أبي العلاء ما كان متعلقاً بدقة شعوره في حنينه الى أوطانه واخوانه قال في هذا الباب متشوّقاً وكان لم يزل في بغداد ضيفاً على الخليفة العباسي القادر بالله ، وقصره في محلة من تلك العاصمة تسمى الكرخ .

متى سألتْ بغداد عني واهلها فأني عن أهل العواصم ماألُ

اذا جنّ ليلي جنّ لي وزائدٌ خفوق فؤادي كلما خفق الآلُ

وماء بلادي كان أنجع مشرباً ولو أنّ ماء الكرخ صهباء جريال

فياوطني ان فاتني بك سابق من العيش فلينعم لساكنك البال

فان أستطع في الحشر آتك زائراً وهيهات لي يوم القيامة أفعال

وقال وهو في تلك الحالة وكان الفصل على ما يظهر فصل شتاء أو ما يجاور هذا الفصل وقد سمع صوت الرعود وعلم أن البروق تصحبها :

أيا برق ليس الكرخ داري وانما ... رماني اليه الدهر منذ ليالِ
فهل فيك من ماء المعرَّة قطرةٌ ... تغيث بها ظمآنَ ليس بسالِ

قالوا إن الخليفة سمعه يردد هذين البيتين بصوتٍ خافت فأمر خفيةً بعض خدمه ان يعدوا قافلةً صغيرة تذهب بهم الى المعرة فيحضروا اليه مقداراً من مياهها العذبة ففعلوا. وفي صباح وصولها جاء الغلام الموكل بخدمة أبي العلاء وملأ منها كوزه ووضعه في المكان المعين له من غرفة الشيخ والشيخ لا يدري شيئاً من ذلك ثم دخل الخليفة على ضيفه بعلة المؤانسة وفي أثناء جلوسه عطش أبو العلاء فنهض متحسساً حتى بلغ الكوز فاجرع منه جرعة واحدة حتى رقعه عن فيه وقال للخليفة متنهداً : « جزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين هذا ماؤها فأين هواؤها » فتعجب الخليفة وأجابه مبتسماً : « اما الماء فقد وصلت اليه قدرتنا واما الهواء فلا تصل اليه قدرة بشرية »

وهذه احدى النوادر التي تروى عن أبي العلاء وهي كثيرة وأخبارها مستفيضة وعلى استفاضتها، يدعو في سياق البحث ان أشير الى بعضها . قالوا : لما كان في حلب أنشده شعراء الشام مختارات من منظومهم فحكم لأحدهم بالتفوق وقال له : اذهب فانك أشعر من في الشام. وبعد بضع سنوات كان أبو العلاء في بغداد فجاءه شعراء العراق وأنشدوه مختارات من منظومهم وبينهم ذلك الشاعر الشامي وكان قد أتى بلادهم لتعاطي بعض الأعمال وأبو العلاء لم يعلم بحضوره فلما أنشده عرفه من نغمته فقال له عند فراغه « ومن في العراق » يريد بهذه العبارة عطفها على عبارته السابقة منذ سنين يوم قال للمنشد « اذهب فانك أشعر من في الشام » ولما خرجوا سألوا الشاعر عما قصده ضيفهم العظيم بعبارته فسرد لهم الخبر فقضوا من ذلك عجباً .

ومما يروى عنه ان شاعراً جاءه بقصيدة لكي ينقحها له بقصد أن ينشدها مدح فيها بعض الأعيان آملاً ان يأمر له بصلة وبعد تنقيحها أخذها واستأنف طريقه فسقطت من يده في النهر وغرقت، فعاد الرجل مكروباً، وكان أبو العلاء جالساً على باب الدار فذكر له ذلك

الحادث، فقال له لا بأس عليك هات قلماً وورقاً ودواة، ففعل ثم أملى عليه القصيدة فأخذها وانصرف وانتفع بها.

ومن تلك النوادر أن رجلين يهوديين اختلفا في قضية حقوقية وادعى أحدهما انه أقرض رفيقه كذا من المال، فأنكر رفيقه الدعوى وليس له عليه بيّنة، ولا وثيقة خطية فسألهما القاضي ألم يسمعكما أحد حين اتفقتما على القرض قال المدعي كان يشرف علينا من نافذة الشيخ الضرير أبو العلاء، فاستقدمه القاضي وسأله، فقال: انهما تكلما بالعبرانية وأنا لا أفهمها ولكني أحفظ شيئاً من كلامهما فجاؤوا برجل عربي يحسن العبرانية وروى أبو العلاء ماعلق بذاكرته من الكلام العبراني فاذا به يدل على صحة دعوى المدّعي فحكم له بالمال.

* * *

قلنا إنّ قوة الذاكرة الى هذا الحد تحسب من عجائب الدهر وأعجب شيء فيها اذا كانت قد رافقت أبا العلاء في شيخوخته وهذا الطور من العمر تضعف فيه الذاكرة وإن امتدّت وظيفة الادراك وحسن التمييز.

ويظهر أننا نحن رجال القرن العشرين من أبناء الأمة المصرية لا نقل عن شيخنا المعرّي في مغفرة قوة الحفظ وقوّة الذاكرة إذ لم ننس فضله ومناقبه ومحاسن أقواله بعد مرور ألف سنة على عهده. ولكن افتخارنا من هذا القبيل ينقلب علينا عاراً وشناراً وحجة دامغة اذا لم نحتذيه حسب جهد كل منا في فضائله وما آثره ولا سيما في غيرته على الحق والصواب والمصلحة الانسانية العامة. وما أجدر خاصتنا أن تقتبس من منهجه فضيلة التواضع الحقيقي ومن ورائها نبل وعزّة نفس حتى يصح أن يقال في الواحد منهم ما قاله أبو عبادة البحتري في ابراهيم بن المدبر أحد أعيان زمانه:

دنوتَ تواضعاً وعلوتَ قدراً فشأناك انحدارٌ وارتفاعُ
كذاك الشمس تبعد إن تسامى ويدنو الضوء منها والشعاع

اللاذقية: سورية

دروار صرفيص
عضو المجمع العلمي العربي

المجنونة الشريدة

«الاشاعة»

تجري هناك وها هنا تجري وتلهث في وني
واذا استراحت برهةً عادت لتطرد أمّنا
الجبن أنجبها وربّتها الطفولة بيننا
خلقت من الصوضاء فهي تروع أفئدة لنا
ومن الخرافة والذكاء ومن ضياع للمنى
ومن التخيُّل فهي كالأحلام وهمٌ للجنى
وبرغم فطرتها تجيد السهم فنّا متقنا
فتزيد من ذعر الأنا م وقد يوطد دينَنا
ما بالها رأت (الكنا نة) لا تضايع موطنا
وأخافها الفقر العميـ ـم وإن يكن هو ضيفنا ؟!
ما بالها عدّت حكيـ ـمة عصرنا بل حكمنا
ما تدّعيه هو الصرا ب ولو تناول ذلّنا ؟!
كم هدّمت روحَ العلى فينا فأمضت هدمنا
هيهات أن يفني السلاح لمن تهيّب أو عنا
والروحُ ان هزمت فا لشعب ان يتحصّنا

والروح إن سلمت فما تكفي الجراح لبدننا

* * *

قابلتهـــا مجنونة تجري هناك وها هنا
وبرغم سورتها يقدّ س زعمها من أمّنا[1]
ولربما لبست صفوح الرهد تخدع من رنا
حتى تراود عقله فيرى الضلال تمكّنا
ويظل يحمدها ويمـــنحها الكرامة والسنا
فهل الجنون جنونها أم في البرية حولنا ؟!

* * *

لو أن للصدق النفو ذ لما أصابت مكّنا
لـكنما الـكذبُ المسوّ دُ بيننا قد خاننا
بين المخاوف والتوهـــم والسقوط أدالنا
فتقرعرعت وتصـدعت حتى لتحسب أمّنا
وتحـــالفت والمجـــرمـــون ومن أباحوا نهبنا
وتناهت الفوضى بهـا وغدت تعدُّ لنا القنى
فلمنْ أكُرّن محذّراً ؟! ولمن أجرّحها أنا ؟!

دكتور
احمد زكي أبو شادي

---

(١) أمنا : قال آمين

كيف تكتب ؟

من كتاب المرشد « لجود »

The Bookmark C. E. M. Joad

قبل أنّ الكتابة مهنة صعبة وتحتاج الى مهارة ، ولا يستطيع ممارستها إلاّ أولئكم الذين ثقفوا فنها ، وتعمّقوا أسرارها .

ولكني أرى أنّ الرجل العاديّ ، يمكنه أن يجيدها ، إذا أجهد نفسه في الاعراب عما يفكر فيه بوضوح — ولكن العاديين من الناس ، لن يجاروا ذلك ، لاعتقادهم الثابت ، أن الكتابة تختلف عن المحادثة ، فالمحادثة تؤدي المعنى ، أما الكتابة فتحقق ما يسمونه بالتأثير الأدبي .

وترجع علة هذا الاعتقاد ، الى أمرين : أحدهما أن كثيراً من المؤلفين ساروا على أن الكتابة فن ، فن بالمعنى الذي نجده في رسم الصورة ، أو الوضع الموسيقي الاصطلاحي . والأمر الثاني ، أنّ كثيراً من الصحافيين ، يزعمون ، أنّ الكتابة ، لا بدّ أن يقع منها البريق ، أو تلمع فيها الفكاهة ، أو تثير النشاط ، والكاتب في الصحافة . ينبغي أن تكون ألفاظه مؤثرة غير مرتقبة ، مليئة بالتأكيدات ، ليضفي ثوب الأهمية على الأحداث ، ولا يبالي العمق ، وانما التأثير في المظاهر ، وهذه السماتُ لا تتفق مع شعور الكاتب الأدبي المخلص ، والكاتب الصحافي بدلاً من أن يقول : « جلست القطة على السجادة » يقول : تمدّدت ، القطة ـ جريمالكين ، في ملاحة ، وأخذت تموء مولولة بم عن الرضا المأثور ، وربضت على سجادة عجينة ملونة من طراز يفصح عن الشرق ، وعجائب الف ليلة » !

ومثل هذا التعبير ، ردىء ، وجاف ، ومجرّد عن البساطة ومخالف لأصول الكتابة الجيدة وما ريبَ ، أن الكتابة فنٌ حقًّا ، ولها اصطلاحاتها ، وطريقتها ، وكلماتها المتخيّرة ، وأسلوبها في الانسجام والوزن ، ولكن لا يجوز أن نحصر كل اهتمامنا في طريقة القول ، دون القول ذاته ، ولا يجوز لنا في هذا العصر ، أن نجاري أدباء القرن الماضي ، الذين كان يعتقد أكثرهم أنّ الأسلوب الكتابي له قيمة ذاتية مستقلة عن المعنى ، ومن بين هؤلاء نذكر جماعة « المنحطين » وعلى رأسهم أوسكار وايلد ، على حين نجد أنّ البعض الآخر من أدباء القرن الماضي ، كانوا لا يرون هذا الرأي ، فكان صمويل بطلر يقول :

« لا أعرف كاتباً مقروءاً ، يجهد نفسه ، أقل اجهاد من أجل الأسلوب » . وهنا ، قد يتساءل إنسان عن منزلة الأسلوب الموسيقي الممتاز ؟ والأسلوب الموسيقي ، لا خيار عليه إذا جاء طبيعيًّا ، وكان ثمرة من ثمرات الفكرة الأصيلة ، أما اصطناع مثل هذا الأسلوب ، والسعي إليه ، فإنما هو سعيٌ الى الادعاء والتصنع .

ويقول هازليت ، وهو من أساتذة الفكر الانجليزي : « لكي تكتب كتابة سليمة ، عليك أن تكتب كما يتحدث إنسان حديثاً عادياً ، على أن يكون إنساناً لبقاً ، له قدرة على اختيار ألفاظه ، والهيمنة عليها ، أو كن يتحدث في سهولة وقوة وانسياق ، تاركاً جانباً التعالم والحذلقة » وأريد أن أقول ، أني لم أفكر قليلاً أو كثيراً في أسلوبي ، ولا أعرف إن كان لي أسلوب أو لا ، ولكنها الخاصة هي التي ألوذ اليها ، ولن يفكر رجل في أسلوبه دون أن يضيع نفسه وقراءه !

ويحسن ، اذن ، أن لا نجاري عمي البريق ، والتنسيق ، وأن لا نساير الصحافيين في مصطلحيتهم ، وعلينا ، قبل أن نخط حرفاً ، أن نتسم ، أن لا نعبر إلاّ عما نقوله تماماً ، أو نتحدث به ، في لفظ سهل بسيط ، يوصل الى الغاية . أو الى المعنى المنشود .

***

وكل من يعنى في الكتابة ، عليه أن يحتفظ بمفكرة لتسجيل خواطره اليومية ، لأن كتابة اليوميات تعوّد الكاتب الكتابة في صدق ، وأسلوب طبيعي ، لا أثر فيه للتكلف أو التصنع ، ومن نماذج هذه اليوميات ، مفكرة الكاتب الانجليزي الشهير صمويل بيبيز Pepys وهو من أعظم كتّاب اليوميات ، وقد كتبها بأسلوب شخصي فريد ، لا بأسلوب . مزركش منمّق ، فهي واسعة وطريفة وقوية .

وعلى الكاتب ، فضلاً عما تقدّم ، أن يتوخى العذوبة والايجاز ، والاصالة ، بقدر المستطاع ، دون خوف من التعبير عن نفسه تعبيراً طبيعيًّا

وليست هناك قاعدة ذهبية للكتابة الجيدة ، كما أنه ليست هناك قاعدة ذهبية للحياة الطيبة ، وقد يخرج الكاتب العظيم على جميع القواعد ، ويختط لنفسه طريقة . ويعدّ من الكتّاب العظام .

وأعود الى القول ، بأن جمال الألفاظ وموسيقاها ، لها قيمتهما ، على أن يأتيا عفواً ودون تصل ، وكل مجهود يبذل لتجميل الألفاظ ، وتنسيق موسيقاها ، فهو جهد غير مثمر

مصطفى عبد اللطيف السحرتي

علة الفاقة

الفاقة علّة اجتماعية تحلّ بالفرد كما تحلّ بالدّولة وتبث شرورها أينما طاب لها المستقرّ.

ومن المؤسف حقًّا أن العالم في تاريخه الطويل — وقد تجاوز في عرف علماء الجيولوجيا ملايين السنين — لم يسلم من هذا الداء، ولم نعرف عهداً جاء خلواً من علّة الفقر، ولم نسمع عن بلاد نعمت، ولو في آونة من حياتها، برخاء تميل الجميع وعمّ أرجاءها بغير استثناء.

فهذه العلة إذن علة ذات صفة عالمية أمّية — لا قومية ووطنية — تنتشر في كل حقبة وفي كل بقعة حتى ليسع المرء أن يقول أنّ الأقمار والنجوم لا يمكن أن تنجو من داء الفقر إذا ثبت أن فيها كائنات حيّة.

واليوم، يعترض العالم بعد حرب ضروس طحنت المدنيّة ستة أعوام، ودكّت حصون العمران كالرحى، وأبادت نفوساً تقدّر عُدّتها ببضعة ملايين قد تتجاوز الخمسة، واستنزفت الذهب والفضّة وموارد الانتاج ومواد الطعام والثروة الحيوانية، يعترض العالم خطر استفحال علة الفاقة واستشراء داء العوز في القارة الأوربية بوجهٍ خاص، وفي بقاع العالم الأخرى عامة، وجهود المصلحين منصرفة الى هذا الاتجاه، تروم أن تضع اليد على موطن البلاء لتعمل على اجتثاث جذوره وقطع دابره. فمن قروض يعقدها خازن المال للشعوب المفتقرة، ومن إسراف في الغذاء والملبس يرسل على عجل الى أقطار أوربا؛ ومن مشروع يصممه الوزير الأميركي مارشال ويشذّ به اقتصاديو أوربا ويقتضيه جمهوريو أميركا ابتغاء الأخذ بناصرة البلاد التي تهالكت تحت وطأة الحرب وغدت في حالة هي بئس المآلات.

ولكن الباحث لا تأخذه المظاهر، ولا يستهويه معسول القول، فهو إذا أمعن في التفاؤل وسلم تسليماً أعمى بأن المدد سينزل كالغيث المدرار من الدنيا الجديدة على الدنيا القديمة، وأنّ أوربا لن تبرح حتى تصبح موفورة الغذاء مشمولة بالسخيّ من الكسى، مغدقاً عليها بمال قدروا قيمته باثنين وعشرين ألف مليون دولار ... إذا سلّم الباحث بكل ما رويه وكالات الأنباء من أخبار الغوث والعون، فهو لابدّ سائل نفسه: «أفي هذه المساعي قضاء على الفاقة وقطع لدابر السغب؟ وهل حان للعالم أن يتنفس الصعداء ويرفع عن صدره كابوس الفقر الذي جثم عليه منذ حلّ البشر بأرض؟».

يقول العالم الاجتماعي منجولد إنّ الفقر شرّ جميع علل المجتمع فهو يحطم الحياة بأن يدفع بالناس الى الجريمة والى الشذوذات الاجتماعية ويورّط العائلات في مشكلات خطيرة المدى ، ويفضي الى اضطرابات اجتماعية من كل نوع . والفاقة تؤدي إلى السغب والى القصور العقلي والى أمراض قد لا يستطاع دفعها وإلى تدهور صحيّ بدنيّ .

تلك هي نتائج الفاقة ، ولكن كيف تنشأ ، وما هي أسبابها ؟ .

هناك أسباب مباشرة وأسباب غير مباشرة تعمل متجمعة أو منفرقة على خلق هذه العلة.

١ — وأول سبب مباشر للفاقة هو نقص الإنتاج وقصوره عن الوفاء بحاجة السكان . وثروة الشعب كما هو مألوف معروف تقاس بمدى ما تنتجه البلاد من سلع وما يؤديه أهلها من خدمات . فإذا اتبع النظام العلمي في تقدير ثروة البلاد ، واتبع النظام العلمي في الظفر بالعدد الصحيح للسكان أمكن معرفة نصيب الفرد من الثروة القومية ، وتمنّى من هذه النتيجة الحكم على مدى كفاية الانتاج أو قصوره .

ويقصر الانتاج عادة عن الوفاء بالحاجة إذا كانت الموارد تعاني نقصاً كأن تكون التربة غير خصبة ، أو تقلّ الأرض غلة قليلة ، أو يفتقر الزارع الى آلات الصناعة الحديثة التي تستخدم في الحقول ، أو يكون المنتج غير ملمّ إلماماً علميًّا تامًّا بوسائل استنباط أقصى حد ممكن من الثروة الطبيعية ، أو اسوء الأحوال الجوية ، أو لتخلّف الشعب عن متابعة النهضة الحديثة ، أو للعجز عن القضاء على الحشرات المهلكة للنباتات أو الحيوان . وجميع هذه العوامل لا تصيب إلاّ الشعوب التي لا تزال سادرة في غي الجهالة يخيم على عيونها عمى البصيرة وتعجز عن استبدال الطراز الخشبي الفرعوني بآلات حرث ترفع سافل التربة وتدفن في بطنها أعاليها . فما لا ريب فيه أن الدول التي استعانت بالآلة وأسرفت في تعميمها ، لم تعد تشكو من علة نقص الانتاج ، وإن كانت هناك علل أخرى تبعث على العار بالشكوى. والتقدّم العلمي إذ يتضافر مع المال والأيدي العاملة يستطيع أن يستغلّ مورد الانتاج إلى أقصاه ويهيء للجميع سلماً وقتياً ينبغي على الدول التي هجرت الآلة عن وعي أو عن غير قصد ، أن تستعين بها ، فهي معوان على تذليل الشدائد ، وأداة تتضاءل أمامها عوامل الطبيعة.

٢ — وثمة سبب مباشر ثانٍ يفضي إلى استشراء علّة الفاقة واستفحال خطرها وهو : القصور الفردي الذاتي .

فإذا تعذر على الفرد أن يقتني من ضرورات الحياة ما يسدّ به رمقه ويطعم به أفراد عائلته كان في هذا نذير بدنوّ خطر آفة الفاقة . وأسباب قصور الفرد كثيرة ، فقد يكون تخلّفه ناتجاً من سذاجة تفكيره ، أو من إسرافه غير القصد في أبواب لا جدوى من ورائها ،

أو من تقصير في التثقيف والتدريب ، أو من عيب بدني لاحيلة للمرء فيه ، أو من علة ورثها الابن عن أبيه .

وعلاج هذا التعسر الذاتي يتفاوت بتفاوت الحالات الفردية ، فالجاهل يتيح فرصة للتثقف ، والمريض تهيأ له وسائل العلاج ، وذو العاهة يعنى بأمره في مرافق الدولة الخيرية (كالملاجيء والمستشفيات) والمنكب على لذاذات تستنزف ماله بغير فطنة يُرشد إلى طريق الحكمة ، ليدخر قرهه أو لينفقه في ما يؤول للبناء لا الهدم .

٣ — ومن الأسباب المباشرة المفضية إلى تفاقم مشكلة الفقر ، الاهتمام بالذات وحب النفع . فالإنسان محبٌّ لذاته بفطرته ، أناني بطبيعته ، ولكن التثقيف والبيئة والعادات المكتسبة ينبغي أن تحدّ من سطوة العاطفة الإنّية الذاتية ، وتجعل أعمال المرء لا تدور حول محور ذاته ، بل حول محور أوسع وأشمل . وحسبك ان تعلم أن سيطرة الأنانية على الأفراد والجماعات في مرافق الحياة من شأنها أن تنشيء منازعات وتطاحناً قد يؤول في منتهاه إلى مشرّة الفريقين المتباريين . فالإفراط في التراحم والتباري للمصالح الذاتية الخاصة يهدد بأن يستصحب في ركابه الفاقة التي تلقي هباكها على طبقات بأسرها لا على أفرادٍ متفرقين . وحيثما كانت الثروة العامة قادرة على سدّ جميع الحاجات ، فإن الفاقة لا تجد منفذاً تتسلل منه إلى ذلك المجتمع السعيد إلاّ من ثغرة حب الذات والإثرة ، فهي طريق مضمون النجاح . وما كوارث الاقتصاد التي تنزل بالدول نتيجة المباراة في الانتاج وفي الأسواق إلاّ مظهر من مظاهر تغليب المصلحة الذاتية الخاصة على المصالح العامة .

ولنرتد بعد ذلك مع العالم الاجتماعي متجولاً لندرس الأسباب الثانوية التي تؤول إلى الفاقة والتواكل . وهذه الأسباب تكاد لكثرتها وتعددها تجلّ عن الحصر . وإذا تيسّر حصرها فان بسطها ولو بإيجاز كفيل بأن يستوعب فراغاً كبيراً من دوريّة هيرية كالمقتطف

١ — وفي أول القائمة نجد كلمة « الحرب » مكتوبة بالخط العريض ، وهي كلمة لا تغيب عن الذهن في الجيل الحالي والمرجو أن يسلم من شرّها ما يتلو ذلك من أجيال وقرون ، وتلك أمنية تردّدها شفاه العالم من سكان العالم ، ولكن أقطاب السياسة «وتجار الحروب» لا ينفكون يهددون بالعود إلى الحرب ويتوعدون بالتلويح والإيحاء والاهارة بالنزول على إرادتها وإخضاع الآبيّ بالعنف حين لا يجدي المنطق والفلسفة .

والحرب على العموم نتيجة مباشرة أو غير مباشرة للصراع الاقتصادي بين الأمم . وغالبية الحروب التي أنتها العالم حتى اليوم غنمها قادة على قادة آخرين مستخدمين الشعوب كأداة حقد وضغينة تواصل النضال مضحية بالأرواح وندىّ الدم . وقد صوّبت مشكلات

كثيرة بغير حرب ، بيد أن معظم الحروب إن لم تكن جميعها لم تحل مشكلة واحدة وإن كانت قد خلّفت وراءها طائفة من مشكلات واضطرابات يسعى إصلاحها البشر ، ويعجز جيل واحدٌ عن إزالة آثارها . فالحرب لا تزيد في جوهرها عن كونها إخلالاً للقوة الفريقين المتنازلين يريد كل منهما أن يستقر بقوته ويبرهن على ان له السيطرة في الجهة عن من دونه . والحرب ما برحت منذ عرفها الانسان سبباً من أسباب العوز والمسغبة ، ولا تخرج منها الدول المتقارعة إلا وقد أثقلت بالديون والخسائر وبددت ثرواتها ، وزاد عدد المشوّهين الذين لا يصلحون للسلم ولا للحرب . وسواء كتبت الهزيمة للمحاربين أو قضوا بالنصرة على العدو ، فالنتيجة التي لا مهرب منها هي أن الفريقين يخسران ، وإذا أربحت خسارة أحدهما على خسارة الآخر .

والنتيجة الأولى التي تنحسر عنها الحروب هي إبادة الثروة وإفناء الممتلكات ، وذلك الخسران ، وما نشبت حرب إلا وكانت خطراً يستنزف ثروة الشعوب وموادها ، ويحول معداتها من متاجل للعمد وآلات للنسج إلى أسلحة قتال ومصانع ذخيرة وقنابل . أما وقودها ، فهو كل ما تملكه البلاد من مال وجاه ، ومواد ورجال تلقى في أتونها فتلتهمها النار ولا يبقى منها حتى الرماد المذرّو . وسواء اشتركت الأمم في الحروب أو اكتفت بالتأهب لها ، فلن تنجو من الفقر والعوز ، لأنها مضطرة في الحالة الثانية إلى امداد الجيوش والانفاق على البحرية وانتاج السلاح والنهوض بأعباء المحاربين القدامى . وهذه جميعاً أبواب في الميزانية ترصد لها مئات الآلاف من الجنيهات لتضيع هدراً ، مع انه كان في الطاقة استغلالها في رفع مستوى المعيشة أو مكافحة الأوبئة أو إغاثة الملهوف أو إيواء المنكوب في حادث ، وما إلى ذلك من الخدمات النافعة المجدية

٢ — واكتظاظ البلاد بالسكان سبب آخر من الأسباب غير المباشرة المنتجة للفاقة فاذا تعذر على البلاد أن تجد منفذاً للفائض عن طاقتها من السكان ، أو إذا عجزت عن انتاج سلع حيوية تكفي للنهوض بحاجاتهم وتهيئة وسائل العمل والمعيشة لهم ، فهي أمام أحد أمرين : إما أن تنهج نهج هتلر ورصيفه موسوليني ، فتطالب مجالاً حيوياً ، وإما أن تجد نفسها في هوّة تزداد عمقاً من العوز والفاقة .

ومصر اليوم على ما يقول استاذنا الدكتور وندل كيلاند في كتابه « مشكلة السكان في مصر » مكتظة بالسكان وغدت أرضها تضيق بساكنيها ، فلا غرو إذا كانت هذه الحالة من الأسباب القوية في تعويز دعائم الفاقة بين ضفتي النيل ، ومن الاعتبارات التي ينبغي أن يوجه إليها أولو الشأن مزيد عنايتهم .

ويقول رجال الاجتماع ان النسبة بين عدد السكان ومقدرة الانتاج ينبغي أن تكون نسبة محفوظة ؛ فلا يصح أن ينمو عدد السكان عدواً كالأرنب ، ويصير الانتاج زاحفاً كالسلحفاة لئلا تنفرج الثغرة ويعز العلاج . وتلك هي النظرية التي كان لمالتوس Malthus فضل كشفها ، وثبت أن أبا العلاء المعري توصل إليها قبله وصاغها شعراً رائعاً .

٣ — وهناك سبب ثالث غير مباشر يعود الى الفاقة وهو الافتقار الى التنظيم الصناعي، والتنظيم الصناعي ركنان ركنان ينبغي أن يعهد الى اخصائيين نطاسيين في الاشراف عليهما وهما ركنا رأس المال واليد العاملة . ويدخل في نطاق « رأس المال » الاعداد الآلي الحديث والتنظيم الاداري الكفء وتهيئة الاحوال الصحية الملائمة . فاذا نظم هذا الجانب مثلاً وأغفل جانب العمال عملاً بالمبدأ الاقتصادي المعروف Laissez Faire ، كان ذلك مدعاة الى تسلل الفقر الى الميدان لأن النظام الاقتصادي لا يستقيم حتى تعزز جميع أركانه وتقوى جميع دعائمه ، وإلاّ إنهار الصرح وخلف ضحايا كثيرين تفترسهم الحاجة وتنهش أيديهم علل الفقر .

٤ — وثمة أسباب أخرى لا معدى عن سردها إجمالاً ، وهي النقص والتزوير والسرف والافراط والمقالاة في الربا والعادات الشخصية المرذولة كادمان الخمر واعتياد العربدة الجنسية ورفض العمل والمرض والعجز الجسماني والخمول والجهل وتسخير الصبية في الاعمال في المصانع وحل المنشآت وخيبة الزواج وتقدم السن والحياة ... جميع هذه عوامل تفضي الى الفقر بصفة غير مباشرة . وقد يتسبب تكاثرها وتكالبها على بلد بعينه في إنزال كوارث اقتصادية في صميم كيانه .

تلك هي الاعتبارات التي من شأنها نشر علة الفاقة في العالم ، وإذا أريد مكافحة الداء العضال فلا معدى عن بحث أصوله وفروعه والعمل على إيجاد دواء لكل داء .

ويكاد العالم يكون اليوم — بعد حرب كونية أعملت في المدنية بقنابلها وقذائف مدافعها وصواريخها وذرّاتها وطوربيداتها وغواصاتها وفدائيها وغازاتها السامة ونفّاثات لهبها وواداراها وماخرات عباب البحر ومتن الجو — فريسة صائغة لجميع العوامل التي تهيء للفاقة مرتعاً خصيباً ، فان لم تتضافر الشعوب والحكومات بمد يُرمِيها يد العون الى فقيرها ، ويحمل القوي ضعف الضعيف ، فلا أمل يرجى في إصلاح العطب ، ولا خير في هيئة أمم تلتحم فيها الألسنة بالجدال ، وتضرب قبضات أيدي الأعضاء سمات الخطابة ضربات حماسة وحيوية ، ولا مطمع في رخاء يشمل أركان المكونة الاربعة وينعم في ظله البشر برغد وبحبوحة .

وديع فلسطين

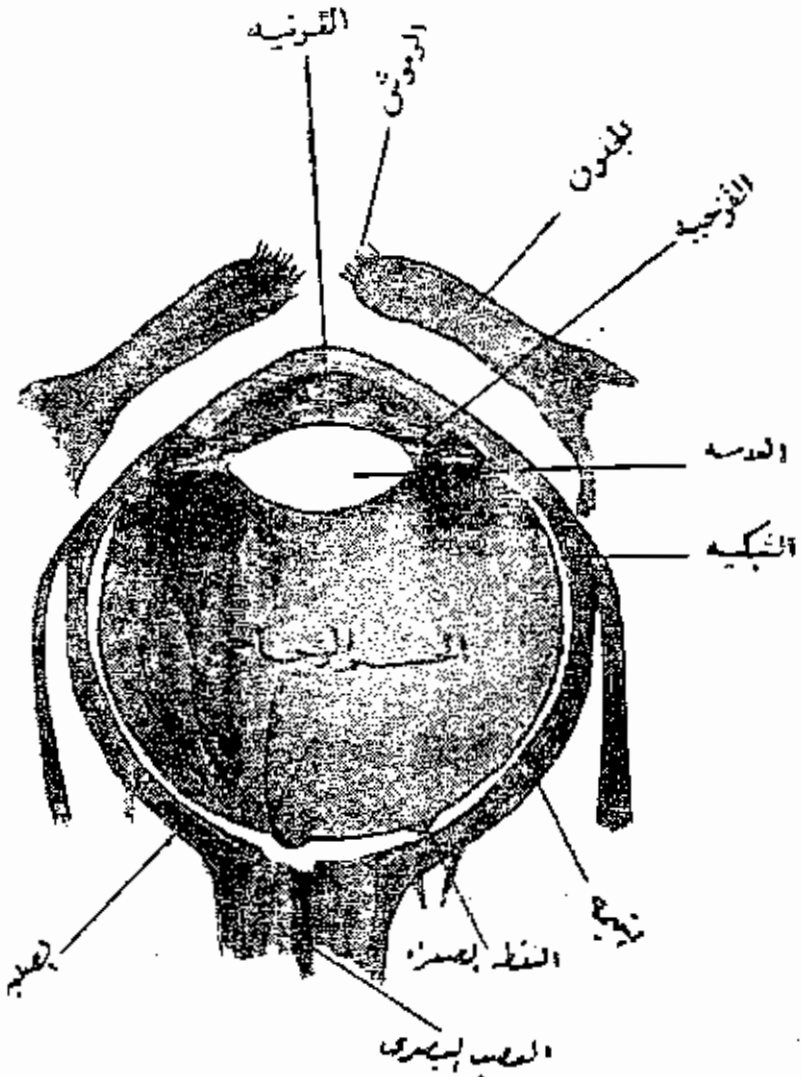
القرنيه
الرموش
الجفون
القزحيه
العدسه
الشبكيه
الجسم الزجاجي
النقطه الصفراء
العصب البصري

أمراض العيون

العين وتركيبها ، كيفية الابصار وعدم الابصار ، تأثير الهواء والصدمات ، أمراض الجفون والملتحمة ، الرمد الصديدي والحبيبي والربيعي ، الدفتيريا (الدفتريا)

هذه الأمراض التي تصيب العيون لا يتسع المجال لبحثها بحثاً دقيقاً خشية السأم كما هو الحال في شرح المسائل الطبية ، ولكن من الممكن تيسيراً للقارىء أن يلمّ إلماماً تامّاً ، بإيجاز ، بذلك كله .

فالعين — كما لا يخفى — عضو حساس يتألف من أنسجة دقيقة رقيقة لا تتحمل الصدمات ، ولذلك فانّ الله سبحانه وتعالى ، لم يترك هذا العضو الحساس بغير حماية أو وقاية من أجل ذلك نرى أنّ هناك عوامل متباينة ، تتضافر وتتساند لمصلحة العين ، فقد وضعت العين داخل حجاج عظمي مبطن بمادّة ليفية ودهنية ، وغطيت من الخارج بالجفون لحمايتها من الخارج طبقاً لما سنلخصه فيما يلي :

(أولاً) — متانة الجدر الحجاجية وتركيبها الديناميكي ، و (ثانياً) الدهن الحجاجي وهو يحمي العين من الخلف ، و (ثالثاً) الجفون وهي تحميها حماية تامة تطابقها إذا نابها جسم غريب أو جو شديد ، بالترميش « Winking » وهو الذي يغطي سطح القرنية بالسوائل ويزيل الأجسام الغريبة والميكروبات المختلفة عنها ، ولا يمكن أن يتم عملها إلاّ إذا كان سطح المقلة مغطّى بسائل يتكوّن ويسحب بسهولة تامة وهو ما نسميه بالدّمع (الدموع) ، فهو العامل الوحيد والمهم من عوامل حماية العين . وأخيراً نجد الملتحمة التي تكسو القرنية بامتدادها تمنع الميكروبات من الوصول الى القرنية « عديمة المقاومة » ، كما تمنع الدمع من أن يتخللها فتذهب بصفائها وشفافيتها .

أما العين ذاتها فعوامل مقاومتها الداخلية هي شدّة حساسية القرنية التي تسبب

« الترميش » وقفل الجفون بسرعة فائقة ، وسلامة الغلاف البصلي الخارجي الذي يتألف من الصلبة والقرنية .

وفيما يلي تفصيل لما أجملناه عن تلك العوامل :

١ — العظام الحجاجي

قبل بأن الحجمة مؤلفة من فقرات أربع تكدّست طبقات بعضها فوق بعض لفأ حتى ذلك الوعاء العظمي وسميت هذه الفقرات بالموخرية (Occipital) ، والوتدية الجدارية ، والجبهية ، والأنفية . والثالثة منها هي التي تهمنا ، إذ يتمثل جسمها بالجسم الوتدي ، وتشبهها الأوسط بالثلمة المصفدية أو الأغرودية (Ethmoidal notch) التي يبيت فيها العظم المصفدي ، وتتمثل صفيحتاها أو جناحاها بالجناح الوتدي الصغير ، والعظم الجبهي ، وهذه الفقرة هي التي تحمي امتداد المخ المسمى بالعصب البصري والشبكية . وهي التي تبصر . ثم تحمي الفقرات العنقية ، والصدرية والنخاع الشوكي .

ولمعرفة كيف يحمي ذلك الصندوق المفتوح من الأمام ، وهو القوي بثلاثة من الجوانب ، الذي تبطنه من العضلات والدهن الذي بداخله نقول :

الحجاج العظمي — تتألف الحافة من العظم الجبهي والوجني والفكي والعلوي وكلها عظام ، مقاومتها كبيرة نظراً لتركيبها القوي المتين ، وصلابتها ومطابقتها لنظام ميكانيكي رائع فاذا كانت الاصابة من أعلا على القوس الجبهي العلوي ، انتقلت الرجة الى الجبهيين ، الفكية والوجنية ، ومنهما الى سائر عظام الوجه ، ويشبه هذا النظام القوسي القوطي (Gothich Arch) في « البناء القديم » . وكذلك الحال اذا كانت الاصابة موجهة الى القوس السفلي الذي يتألف من الحافة الفكية العلياء فان القوة تتوزع الى عظام الجمجمة خلال العمودين اللذين يتألفان من العظم الوجني والناشرة الفكية الجبهية ، فاذا اتجهت الاصابة نحو الجدار الخارجي حدث المثل ، يضاف الى ذلك التوزيع على القوس الوجني وعندئذ يعمل كالقوس الطائر (Flying arch) الذي تقوى به الأقواس القوطية القديمة في الكنائس والكاتدرائيات . لذلك نرى أن الاصابة مهما بلغت شدتها فإنها تنتقل بهذا النظام المعد الى مجموعة كبيرة من العظام المقاومة فلا يبقى تأثيرها في مكان واحد .

وكذلك الجدار الخارجي ، تحميه العضلة الصدغية من الخارج ، فاذا وصلت اليه الضربة فان التشقق الذي يتسبب عنها يقف عند الشقين الحجاجين العلوي والسفلي اللذين يتقفان كخندق قوي يمنع الامتداد الى الجدران الأخرى ، وليست إصابة الجدار السفلي سهلة المنال ، إذ أن العظم الفكي العلوي يقف حائلاً دون ذلك ويقلل من تأثيرها ، لأن العظم لا يسهل اختراقه ولأنه يتكون من لوحين منفصلين بجيب هوائي ، ولا تأتي إصابة الحجاج الداخلي إلا بعد إتلاف محتويات الحجاج ، ولذلك ليس أمام الطبيعة من حاجة ملحة تدعو لصلابة هذا الجدار ، فإنه ينشأ رقيقاً دقيقاً تخترقه الأورام بسهولة كبيرة . أما الجدار العلوي فهو حاجز بين الحجاج والجمجمة ، ولذلك تكثر إصاباته . وليس في متانته ولا في تركيبه ما يمنع من تمدد الاصابات ، علاوة على أن الهزات الممتدة إليه في إصابات الجافة العليا تسبب تفققاً بسهولة نظراً لرقته .

وهناك عامل مهم يزيد في مقاومة الجدر الحجاجية للإصابات ، إذ أنها تتكون — كما تتكون جدران الجمجمة — من لوحين بينهما نخاع عظمي تكدست طبقاته بعضها فوق بعض مثلها في ذلك مثل الحيطان التي تبنى من طبقتين بينهما مادة عازلة ، إذ تكون أكثر مقاومة مما لو بنيت صماء من طبقة واحدة ، والعظمة الجبهية ، والوتدية ، والجدار الخارجي ، والسفلي كل ذلك يتكون من طبقتين ولذلك كان لها تلك المقاومة .

٢ — الدهن الحجاجي

وهذا الدهن الحجاجي عبارة عن مادة تسهل حركة العضلات خلاله ويعمل كمسند أو كساء للعين ، فاذا وجهت للعين اصابة ما من الأمام تقهقرت هذه فلا يمنعها الدهن عن ذلك بل يدفعها دفعاً لطيفاً ويعيدها الى مكانها .

٣ — حركات الجفون

هذه الجفون تغلق في أثناء النوم ، وفي الضوء الشديد ، وعند القرب المفاجئ لجسم غريب ، وعندما تلمس الأهداب جسماً صلباً ، وفي حالة تهيج القرنية والملتحمة ، وفي أثناء العطس . كما تغلق عند تغيير أو زيادة الدموع ، وعندما تحس بجفاف السطح القرني ،

وكذلك تزال الجفون متى تهيج أي فرع من فروع العصب الخامس (Fifth nerve) ، فينتقل الاحساس منه الى نواة العصب السابع وهنا يتم الانعكاس القرني (Corneal reflex) وهو الذي يجب اعتباره من أهم عوامل حماية العين ، ومن أواخر الانعكاسات التي تختفي اثناء التخدير العام .

وللجفون نوعان من الحركة ، أولها سريع لا يتم فيه تطابق الجفنين ويسمى الترميش (Winking) وثانيهما قوي محكم يسمى بالاقفال ويقصد منه حماية العين (المقلة) من دخول جسم مفاجيء .

ويتسبب من الترميش مواصلة انقباض الجزء الغضروفي في العضلة الملاصقة لسطح القرنية والملتحمة ، أو زيادة الدمع في الأخيرة عند الاحساس بالجفاف فيها .

أما الاقفال فيتم بتطابق الجفنين وقفل الفتحة الجفنية تماماً . وعند النوم يتطابق الجفنان بحقة وتندفع المقلة الى أعلا والى الخارج كما يرى ذلك بسهولة في النساء والأولاد خلال الجفن لرقته .

وعند فتح الجفن يرتفع الجفن العلوي بشد العضلة الرافعة ويساعدها في ذلك العضلة التي تسمى بعضلة مولر (Mueller) . أما الجفن السفلي فانه يسقط بثقله عند فتح الجفنين وتسحبه العضلة السفلى لمولر الى تحت قليلاً .

٤ — الدموع

هذه الدموع تفرزها الغدد الموجودة بالملتحمة الجفنية ، ويمكن استمرار إفراز الدموع بكميات كبيرة جداً لساعات متعددة عند حدوث مؤثرات ، وعند وجود حالة نفسية عنيفة ، أو عند تهيج ملتحمي شديد ، ومصدره الدم، لذلك فانه يتخلل الغدة وينساب بين طياتها (فسيفساءها) ، ويفصل الدم عن القناة الموجودة داخل الفصيص بحوائط متعددة إذ ينفصله عنها الغشاء الوعائي والغشاء القاعدي للفصيص ، ويتناول هذا العامل الافرازي سرعة مرور الدم ، وزيادة ضغطه في الغدة ، وزيادة اتساع الأوعية الشعرية ، حتى لقد ينتقل النبض الشرياني الى الوريد .

ويتغير شكل الخلية كثيراً بعد تمام الافراز ، إذ تفقد الحبيبات التي كانت بها ويزيد

مقدار البروتوبلاسم (Protoplasm) نسبيًّا، ويبدأ الافراز بأن تأخذ الحبيبات الماء والأملاح من السداد المجاورة ، وتتفتح وتنصرف كنقطة سائلة في القنوات التي بداخل الفصيصات . فالعمل الأول موكول الى الخلية التي تكون الحبيبات من البروتوبلاسم بالترسيب وسواه ، تسعى في سبيل ذلك الاملاح والسوائل من الدم ، كما تأخذ منه المواد الغذائية المتجهة من الشعاة نحو السطح .

قيمة الافراز : ولا يحدث من الافراز عادة الا ما يكفي لتغطية السطح القرني وتعويض التبخر ، ويكون ذلك غالباً من الغدد الملتحمية ، واذا زاد الطلب تدخلت الغدة الدمعية ، وزاد الافراز تبعاً لذلك . ويتجه الزائد من السائل الدمعي من الجاف الخارجي الى الجاف الداخلي بجملة عوامل . أولها : ارتفاع الأول عن الثاني وشدة بروزه . وثانيها الحركة الاختلاجية التي تنقل الجفون بوسطها نحو الانف .

ويزداد انهمار الدمع : أولاً — عند ملامسة أجسام غريبة للملتحمة والقرنية . وثانياً عند تهيج غشاء الانف . وثالثاً — عند وقوع ضوء شديد على العين . ورابعاً — عند الاحساس بجفاف القرنية . وخامساً — عند تأثير الأبخرة تحت الحمراء وفوق البنفسجية على القرنية وهكذا .

٥ — الملتحمة

والملتحمة قطعة من الجلد تتغير تركيبها تبعاً لوضعها فهي تعتبر كخط دفاع أمامي ضد الميكروبات التي تكثر على سطحها وسطح امتدادها على القرنية ، بينما تمثل الخلايا اللمفاوية وحبيباتها (Follicles) التي تكثر في طريق الخط الثاني في تلك السلسلة الدفاعية .

وتحتوي الملتحمة على غدد عرقية (هي الغدد الدمعية) وأخرى دهنية (ميبوميرن) (Meibomian) وليس لها عمل إلا في حرف الجفن حيث يتطلبها الاحتكاك المستمر كما أنها قليلة الالتصاق بما تحتها

وتحتفظ الملتحمة بخاصية لا ترى في مكان آخر من سطح الجسم ، مثلها في ذلك مثل الحيوانات الثديية ، فان خلاياها خاصية افراز المخاط فتتورم الخلية وتمتلىء بالميوسين ، ثم تنفجر فتخرج محتوياتها كسائل يغسل السطح ويحمل معه ما علق من الميكروبات ، ولذلك فان للملتحمة آثاراً من الأهداب على قمة الخمية .

٦ — حساسية القرنية

ويوجد تحت سطح القرنية شبكة عصبية نهائية تجعل للقرنية حساسية خاصة بالحرارة والبرودة واللمس والوخز، وكلها تحدث حساسية بالألم في القرنية وتؤدي الى إقفال الجفون بسبب

٧ — مقاومة أغلفة العين

وللعين غلاف ليفي قوي متين جداً نظراً لكثرة الأنسجة التي يتركب منها فلا ينفجر الجزء الخلفي من الصلبة عند الإصابة في الجزء الأمامي والعكس بالعكس إلا في الإصابات المباشرة . ولذلك فالقرنية شفافة وتتأثر بالخروج (قرح العين) فاذا حصل خرج على القرنية ترك أثراً يسمى سحابة إذا كان الخرج سطحياً ، أو ترك عتامة (نقطة) اذا كان الخرج عميقاً أي غير سطحي ، ولذلك فانه يحجب النور الذي يدخل من القرنية الى الشبكية ، والعصب البصري بوساطة الحدقة كما يمنع النور من الاتصال بالعصب البصري والشبكية والمخ اذا حدث إفراز والتهاب بالقزحية ، والقزحية الهدبية فيسبب التصاقاً خلفياً بعد الحدقة ، أو حدث عتامة للبلورية وهذه تسمى كتركتا وهي مايسميها العامة (ميّه أو ميّه بيضاء).

والقرنية — في هذه الحالة — مثلها كمثل زجاجة الساعة تماماً فكشف ماوراءها ، والمضة الهدبية مؤلفة من الخلف من المشيمة والجسم الهدبي ، ومن الأمام بالقزحية ، وهذه عبارة عن حجاب حاجز مستدير في وسطه ثقب دائري يسمى الحدقة (النِّنِّي) يتألف معظمه من الأوعية الدموية الشعرية مع بعض الخلايا ويحتوي بكثير من الأعصاب الحساسة معظمها العصب الخامس ، وهو لذلك يحس بأي أثر ، ويحصل له التهاب وإفراز شديد يؤلم المريض ويحدث للعين احمراراً شديداً والتهاباً وعدم حساسية بالضوء ، حتى إن المريض لا يستطيع فتح عينيه الا بصعوبة ، ويتأثر من الضوء ولا ينفعه الا البقاء في الظلام . ولون القزحية عسلي غامق أو عسلي فاتح كما هو مشاهد في أعين معظم المصريين ، على عكس الاجانب فعيونهم زرق . أما إذا كانت الخلايا غير ملونة بالمادة السوداء فانه يأخذ لوناً أزرق غامق أو لوناً فاتحاً تبعاً للخلايا التي به .

والحدقة مثلها كمثل ثقب آلة التصوير تتسع وتنكمش حسب الحاجة الى الضوء . تتسع في الظلام لدخول نور أكثر ، وتنكمش في النور القوي وفي الشمس .

أما «الطرانة المقدمة» فهي فضاء بين القرنية والقزحية ، بها مادة ليمفاوية . وبين القزحية العدسة ، وهي التي تحكم وتكيّف بصر المرئيات . والجسم الزجاجي ، وهو ما يشكو منه بعض الناس بوجود أجسام سود تتحرك أمام الحدقة بسبب وجود عتامات به . ثمّ الشبكية والعصب البصري ، وهي امتداد المخ وجزء منه ، وهي التي يرسم عليها الصورة من الخارج وتأخذ رسمًا في المخ ثم تنعكس وتخرج بصورتها الطبيعية ، وهي أهم نقطة حساسة داخل العين . فاذا حدث ضمور أو التهاب ، أو حدث انفصال للشبكية ، فانّ الصورة لا تصل الى المخ ولا ترسم ، ولا تأخذ اتجاهها الطبيعي ، ومعنى ذلك فقد البصر .

الأمراض

وفيما يلي تفصيل موجز لأمراض الجفون والملتحمة والرّمد الصديدي والرمد الحبيبي والبثري والربيعي والدفتريا (أي الدفتريا الرمدية)

* * *

١ — التهاب الجفون

عرفنا فيما سبق أن للجفون غدداً دهنية وشحمية ليس لها عمل إلاّ في مكان واحد وهو حافة الجفن بجوار الرموش .

ويصاب هذا الجفن بعدة أمراض ، بينها الالتهاب ، وهو نوعان : قشري ، وتقيحي أما القشري فانه نوع من القشرة تملو الرموش وتسقطها وتشوّه منظر الوجه بالقذر واحمرار حافة الجفن ، وسقوط الرموش .

والنوع الثاني وهو التقيحي : عبارة عن تقيح داخل بصيلات الرموش ، وهو أشد من الأول ، لأنه يكون مصحوباً باحمرار شديد ، ويترتب عليه تقصف الرموش بل وفقدها ووجود دمامل . ويعزون إصابة الجفون بالالتهاب الى عوامل كثيرة جدًّا ، أهمها الفقر ، والعيشة في حالات غير صحيّة ، أو في جوّ يكثر فيه الدخان أو في عمل يقتضي الوقوف أمام النار مثل عمل السكرية والحدّادين والطباخين ، وكذلك في وسط القاذورات كما يترتب عن الضعف العام ، أو يأتي أيضاً نتيجة أمراض الحصبة . ويحيط كل شعرة من شعرات الرموش مادة تقيحية تتصبب طافية في الصديد وتظهر كأنها حملة دمامل بالرموش .

وهو كذلك مرض معدٍ كما لا يخفى ، وقد يأتي أحياناً في حالات عدم استعمال النظارات حين تكون لازمة صوناً للنظر الاستعجابي . أما علاج التهاب الجفون فهو النظافة والمطهرات أولاً وقبل كل شيء

* * *

٢ — الرمد الصديدي

وهذا المرض — ولا عجب — معروف في جميع أنحاء القطر المصري ، ويسببه تفقد العين بصرها ، إما بإصابتها بالقروح فتفقد العين بصرها تماماً ، وإما بترك علامة كبيرة (نقطة) ، أو بضمور المقلة ، أو ظهور عتبه (زر) فهو لذلك أخطر أمراض العين .

وقد تبين من الاحصاءات لهذا المرض في المستشفيات الرمدية الأميرية انه كان في سنة ١٩٠٤ يبلغ نحو ١٢ أو ١٤ في المئة . أما الآن فلا يصل إلا الى حوالي ٤ أو ٥ في المئة بفضل انتشار التعليم وكثرة المستشفيات الرمدية والخصوصية علاوة على دقة العلاج ، وإنه كذلك بفضل المطهرات الفعالة كالبنسلين ومستخرجات السلفانا وسواه ، سوف تقل نسبته كثيراً .

أعراضه وعلاجه : الرمد الصديدي ليس هو ما يسبب العين بالصديد وحده بل إنه يحدث ورماً بالجفون واحمراراً في الملتحمة « بياض العين » وهذا الورم اما أن يكون خفيفاً أو شديداً فلا يتمكن المريض ولا الطبيب من فتح العين إلا بالآلات الخاصة ثم يتكون الصديد بين الجفون ، ولا يمكن المريض في هذه الحالة أن يقاوم الضوء فلا يفتح عينيه ، وهنا يأتي الضرر من الميكروب الذي يأكل أجزاء العين بمعنى أن القرنية هي التي تصاب أولاً .

وبما أن هذا المرض ينتج من الاهمال والوساخة ، فانه يصيب معظم العائلات الفقيرة التي تعيش عيشة غير صحية . وهو ينتقل بسرعة بوساطة الذباب ، واللمس ، والمناشف ، والمناديل ، والخدمات ، ولعب الأطفال بعضهم مع بعض .

وتختلف درجة إصابته باختلاف الميكروب الذي يسببه ، فبعض الميكروبات تسبب قرحة بالعين بين ١٢ و ٢٤ ساعة ، والبعض الآخر لا يسبب شيئاً . وتصاب العين به أحياناً ، بقرحة بين سبعة أيام أو عشرة .

وميكروب الرمد الصديدي صغير جداً لا يمكن رؤيته إلا بالمجهر المكبر « للميكروسكوب » فيضاعف حجمه نحو ٩٧٠ مرة ويتبين منه أن طوله يبلغ من اثنين الى ثلاثة ملليمترات

وتتعدد ميكروبات هذا المرض فمنها ستافيلوكوكس وميكروب السيلان وجونوكوك والدفتريا وسواها وأشد تلك الميكروبات فتكاً بالعين هو ميكروب السيلان « Gonocos » فانه يفقد البصر في بعض الحالات في خلال ٢٤ ساعة

وسبب إصابة العين بالنقطة في حالة إصابتها بالرمد الصديدي يرجع الى اهمال علاجها وتأخير فحصها طبياً فيشتد حينئذ الميكروب وتبقى مقاومة العين للمرض ضعيفة .

العلاج : — تغسل العين المصابة بالغسيل المطهر أو بالماء النظيف ، بارداً أو دافئاً ، والمس بوساطة الطبيب ، ثم عمل حقن الابن بوساطة الطبيب أيضاً ، بمقادير خاصة ، واستعمال حقن البنسلين ومستخرجات السلفانا وسوى ذلك .

* * *

تنبيه : من الخطأ ربط العين بالقطن كما يفعل بعض الناس ، لأنه يحجز الصديد داخل العين ، فيتوالد الميكروب ويتكاثر الصديد داخلها ، فيصيبها الضرر عظيماً .

أما الغسيل ، ولو بالماء ، فإنه يطرد الميكروب ويزيله .

العدوى : ليست هناك مناعة للوقاية من الرمد الصديدي ، فان المريض بعد شفائه يصاب غير مرة بهذا المرض متى اتصلت به العدوى .

وقد يشفى هذا المرض أحياناً من تلقاء نفسه لأنه يستمر ستة أيام وفي نهايتها ينقطع الصديد من نفسه ويفتح المريض عينيه وتعود لحالتها الأولى بعد وقت قصير — اما اذا حدثت اصابة بالقرنية فلا يمكن المريض أن يفتح عينيه بعد الستة أيام وعند عرضه على الطبيب يجد أن القرحة أصابت القرنية تقريباً . ولذلك كان المعتقد قبلاً أن لا تمس العين إلا بعد ستة أيام بحجة شفائها وحدها فاذا وقعت الواقعة وأصيبت العين بالقرحة بعد الأيام الستة وعرض المريض على الطبيب وفاجأه باصابة العين بالقرحة استغرب وقوع الاصابة بالعين .

٣ — الرمد الحبيبي

هذا المرض يعرف كذلك باسم « الرمد المصري » أو « التحمية » وهو عبارة عن وجود حبيبات على الملتحمة داخل الجفون ، سواء الجفن العلوي أو السفلي ، وهو مرض معدٍ في دوريه الأول والثاني — كما سنتصله فيما بعد — ويسبب إفرازاً بالعين ولا سيما في الصباح ، كما يسبب قتل الجفون

وقد قسمه العلماء الى أربعة أقسام :

القسم الأول : عبارة عن حبيبات صغيرة تكاد تكون غير ظاهرة على الجفون ولونها أبيض يميل الى اللون الأصفر

والقسم الثاني : عبارة عن حبيبات على الجفن « follicles » وهي متعددة فمنها الصغير ومنها الكبير ، ومنها المستدير والمربع ، ومنها المبطط والسميك وسواها . والافراز يوجد بين الحبيبات أو فوق سطحها . فهو مرض معدٍ جدًّا .

والقسم الثالث : لا يوجد به حبيبات ، بل يكون قد حلّ محلها أثر التحام . وهو معدٍ اذا لم يكن قد تكاملت التحاماته .

وتكون أحياناً مصحوبة بحبيبات رملية ، وهذه غير معدية ، إنما يلزم اجراء عملية لها ، ولا سيما إذا كانت كبيرة وبارزة .

والقسم الرابع : يكون للجفن قد شفي من الحبيبات فيصبح « أملس » ، نظيفاً . ولا عدوى منه .

ورمد القسم الأول يشفى من نفسه بمرور الزمن ، وأحياناً يتحول الى رمد القسم الثاني ، وأحياناً يشفى بالعلاج بقطرة الزنك ، أو صلفات النحاس ، وأحياناً يكون مصحوباً بافراز وهذا الافراز قد يكون غير ظاهر ، أو سمدوماً ، وقد لا يشعر به المريض إلاّ إذا وجد هذا الافراز .

أما رمد القسم الثاني فإنه أصعب الدرجات كلها ، إذ أنه يحدث التهابات والتهابات وكثرة الأوعية في القرنية ، والقروح ، والشعرة ، والافرازات وكثيراً ما يكون مصحوباً

ميكروبات تسبب الرمد الصديدي نفسه ، وأحياناً يصحبه ارتفاء في الجفون ، فتؤلم فتحة العين ، وتغطي المدقة .

وهذا يحتاج الى المس يومياً بنترات الفضة ، ثم باجراء عملية ، ثم بالمس مدة طويلة حتى تعود حالة الجفون الى الحالة التي بسطناها في القسم الثالث ، ويغلب ظهور الشعرة اما في أثناء العلاج ، أو بعد تمامه ، مما يدعو الى سرعة اجراء عملية لها . ويسميها الفلاح : « كأس العمى » كما يسمونها « الدمرة » أو « الرفعة »

* * *

أما رمد القسم الثالث فيحتاج الى العلاج بالمس وسواه حسب اشارة الطبيب إلى أن يصل الى درجة القسم الرابع أي ان يكون قد وصل الى درجة « أمس »

ورمد القسم الرابع لا يحتاج الى علاج ما

وليس من الضروري أن يكون بالجفن ورم أو انتفاخ يدل على وجود الرمد الحبيبي بل بالعكس فان حالة الجفون من الظاهر تكاد تكون طبيعية

ورمد القسم الثاني ينقسم الى (ا) — ما أشرنا اليه قبلاً و (ب) — تكون حبيباته كبيرة الحجم وأكثر صلابة وتحجراً و (حـ) — كما في قسم (ا) ومصحوبة بالافرازات و(د) — كما في قسم (ب) علاوة على افرازات قد تشبه أحياناً الرمد الصديدي

وتاريخ الرمد الصديدي والرمد الحبيبي معروف لدى قدماء المصريين ، فقد اكتشف « ايبر » — وهو من العلماء المشهورين في علم الآثار — وجود نوعي هذا الرمد في البلاد قبل سنة ٣٠٠٠ ق.م ، وكتب ابقراط الطبيب اليوناني المعروف — سنة ٤٢٢ ق.م عن مرض الشعرة وعلاجه والعمليات . ووصف سلسس الطبيب الروماني الشهير عمليات الرمد الحبيبي ، كما وصف حالة الجفون وصفاً دقيقاً سنة ١٤ بعد الميلاد . وكذلك وصفه كاسيس فيلكس سنة ٤٤٧ بعد الميلاد أيضاً ، ووصف بيزانتين الطبيب اليوناني الشهير تارض الحبيبي سنة ٦٠٠

وقد عرفه في العهد القديم الاله توت وكان يعتبره قدماء المصريين اله الطب وله بحوث طبية ورمدية وتعابير ، والعلاج بسلفات النحاس « النوتيا الزرقاء » والزنك .

أما أطباء العرب فقد وصفوا عمليات الشعرة كما وصفوا الرمد الحبيبي ، بينهم عمر الموصلي سنة ١٠٠٠ بعد الميلاد ، والشاذلي

ولما غزا نابليون الأراضي المصرية سنة ١٧٩٨ — ١٨٠٢ أصيب جنده بالرمدين الصديدي والحبيبي اصابات شديدة كانت سبباً في اعادتهم الى بلادهم وكانت نسبة المصابين بالعمى من بينهم كبيرة جداً.

وتبلغ نسبة الاصابة بالرمد الحبيبي في ريف مصر بين ٩٧ و٩٨ في المئة

وبلغت نسبتها بين تلاميذ المدارس نحو ٩٥ في المئة ثم قلت الى نحو ٩٢ في المئة نتيجة العناية التي بذلت في سبيل علاجهم

والوقاية من الرمد هي النظافة التامة وعدم الاختلاط بالمصابين أو مصافحتهم ، أو استعمال الأدوات التي يستعملونها.

* * *

قلنا في ما سبق أن الرمد مرض مصري قديم ، وان قدماء المصريين بحثوه وعالجوه ، ونقول هنا انهم استعملوا في هذا العلاج الزئك وسلفات النحاس (التوتيا الزرقاء)— ولا تزال تستعمل الى الآن بعد ما تبينت فائدتها في علاج الرمد الحبيبي .

ولا علاج للرمد الحبيبي سوى القطرة في الحالات البسيطة ، ثم المس والعملية والنظافة وعلاج المضاعفات — وفي حالة وجود الشعرة ، يكون بالعملية ، وليس بلقط الرموش فانها لا تلبث أن تعود الى الظهور بعد نحو ١٥ أو عشرين يوماً .

وليست الشعرة صديقة بل الرمد الحبيبي هو الصديق ، وكما أن الرمد لا يسبب ضعف النظر فكذلك المس لا يقوي البصر الا إذا كان الرمد مصحوباً بمضاعفات .

وقصر النظر شيء والرمد شيء آخر ، بل ان قصر النظر يكون طبيعيًّا مثل قصر الميوبيا Myopia وعلاجه النظارة .

ومع ان الرمد الحبيبي شديد العدوى فانه الى اليوم لم يكتشف له ميكروبه خاص ولا تزال تجري البحوث للوصول الى معرفة أصله .

أما الرمد البثري وهو التهاب بسيط في الملتحمة ، فيحدث من وجود بثرات على الملتحمة (أي بياض العين) أو على حافة القرنية ، وتسبب انهمار الدموع ، وعدم مقاومة الضوء ، ويعزى سبب ذلك الى الضعف ، ولا سيما اذا وجدت مع الغدد الموجودة بالعنق وهي التي يقال أن أصلها دوني ، غير أنها توجد في أشخاص سليمي البنية ، كما أنها توجد في الأولاد بين من الخامسة والخامسة عشرة .

* * *

الرمد الربيعي : والرمد الربيعي يشبه الرمد الحبيبي في درجة التقدم الثاني (ب)، وقد يصيب الملتحمة الجفنية ، والملتحمة القرنية ، وأحياناً يصيب الاثنين معاً . فاذا أصاب الملتحمة الجفنية ظنه بعض الأطباء انه رمد حبيبي ، وعالجه بالمس والعملية ، ولكن المرض في هذه الحالة يزداد سوءاً ، وهو يكون مصحوباً بأكلان وكرش بالجفون لا يقوى المريض على احتماله مهما كان الدواء الذي يستعمله .

واذا أصاب الملتحمة القرنية ، كانت حالته كحالة التهاب القرنية ، ويحصل بروز بسيط في الأوعية على سطح الملتحمة والقرنية ، ويكون هذا الالتهاب والاحمرار محدوداً أو عاماً حول القرنية .

وقد ظن بعض الأطباء أن هذا المرض يظهر في شهور الصيف ، غير أن البحوث دلت على ظهوره صيفاً وشتاءً ، ويصاب به الرجال والنساء على السواء بين سن العشرين والثلاثين . والغريب ان هذا المرض قد يزول وحده أحياناً بغير علاج ولا يعود للمريض مرة ثانية . وأحياناً أخرى لا يزول بالعلاج اذ لا يلبث أن يعود الى المريض فلا يقوى على احتماله وقد أدى بعضي الى عملية تمنع بها عودته بتاتاً .

(لبحث تتمة)

الدكتور عبد المسيح مرقس
طبيب العيون

التجديد
والأدب العربي

هملة سرت من جزيرة العرب فأثارت نجوم الشرق أدانيه وأقاصيه فصرت الرؤوس وأطلقت الألسن تلك هي لغة العرب ، وقد عصفت في عصورها الحديثة ريح صرصر عاتية من معاني الغرب فهبت على هذه الشعلة تريد أن تطفئها ولكنَّ الله حافظها وإن انزوى بعض من ضعاعها في نفر خفت هاممهم مغمورين بالمدنية الغربية ، تلك الريح هي لغة الغرب وقد أحدثت أدباً ما عمّ أن هجم من باب المدنية فشغل مناطق الناس في عالمهم وناديهم وبيوتهم ومعاهدهم وقد ركب أصحابه من رؤوس الناس يستميلونهم الى الأخذ بعقد هذا الأدب السفساف والاستضاءة بلمعانه ولكنه قطع الليل المظلم . غير أن شبابنا لا يجنحون إلاّ إلى ما تستسيغه المدنية الغربية وما يتسهل عليهم الأخذ به وهو في الحق لا يتصعب في درسهم ولا يقطع من زمن لهوهم ولا يجهد ذلك أدباؤنا الذين تقعروا كتب الأدب قديمه وحديثه وتكشفوا أسرار علومه فحذقوه بعد جهد حتى كانوا أثبت في الدار من الجدار لا يتأودون بما استنفدوا فيه أعمارهم بحثاً وتنقيباً واستنهاجاً لنهج المتقدمين وإن تحقق للمحدثين الظفر والغلبة في هذه الأيام على أصل الأدب الحق القديم فكانوا أكثر عدداً وأشيع أدباً وأحظى إكباراً عند شبابنا المصري بقدر ما أوتي نصيباً من لغة العرب وله في ذلك شبه تعذر اذ قد ثبت في نفوس الشباب ذلك الميل الى التجديد وكلما قرب الانسان من المدنية ازداد حاجة الى التجديد وازداد ازدواءً بالقديم .

غير أن التجديد لا يتناول كل شيء فالدين مثلاً لا يقبل تجديداً ولغة القرآن لا تقبل تجديداً لا في أسلوبها ولا في ألفاظها الاّ ما زجَّ فيها من ألفاظ غيرها ما ليس له مسمى فيها وتلك ضرورة ، فاللغة العربية لا تبقى حافظة كيانها وعظمتها إذا أقصينا لفظاً قديماً عن الاستعمال بدعوى أنه وحوشي فيلمى ثم لا يكون له أثر بعد ذلك فينفرط عقد اللغة ويذهب

بهاؤها بذهاب ثروتها بألفاظها . ولاهك في قدم القرآن وعظمته لفظاً وأسلوباً ومعنىً: يتدامى إلى الانحلال أمام كل أولئك بناء الأدب الحديث . ولا ريب أنّ في القرآن حقّا من ألفاظ قد لا يستبينها حقير العلم باللغة من رجال الأدب الحديث فيتوهمها متعاظلة متنافرة، والقرآن روح اللغة وجسمها فاذا تجشّم خيال التجديد في الأذهان ولعب الاغرام به في الأدمغة نائياً جانباً عن القرآن والحديث وكلام القدامى من فصحاء العرب بدعوى تسولها نفوس طلاب التجديد انها ليست من الفصيح ما دامت مشحونة بألفاظ تنفر عن أفهام مراض الافهام فيعدونها ساعهم الله غريبة متعاظلة، وما دامت سياسة التعليم في بلادنا بعيدة عن أخذ النشء بالاضطلاع والتنقيب في المعاجم وأسفار الأدب القديم ثم هم لا يأخذونهم باستظهار طائفة من مرادفاتها في كل ناحية ينحوها الكاتب فيتمكن من تجويد كتابته ودفع الوصم والنقص عن لغته، وما دامت سياسة الصحفيين والقصصيين في كتاباتهم تحدوهم أن يكونوا بناحية عن أخذ القارئين بالأساليب المرتاثة عليهم، ما دام هؤلاء وأولئك يحبسون عن أقلامهم الألفاظ السوامي عن الأفهام الغضة لتملة أنها قديمة ووعرة عليهم كان للمعلمين وللصحفيين سوء الأثر في لغة القرآن والسنة .

ومن عجب الأيام أنّا نرى فئة الأدب الحديث لا يأبهون لكتابة قديمة ولا لتأليف قديم في الأدب العربي وبخاصة للمبسطة في الوجوه والعلل النحوية والصرفية وهم يكرهون ذينك الفرعين للأدب في النحو والصرف إما لمجرد انصرافهم عن القديم وإمّا لأنهم لم يستبطنوا قواعدها .

وقد أجمع قدامى ومحدثو رجال الأدب المحققون الا بعض من حبس بنانه للصحافة أو كتابة القصص وجنانه للتعليم أنّ للأدب أصولاً من الكتب القديمة يجب أن يحذقها الأديب وأكثرهم خصص منها الكامل لمحمد بن يزيد المبرد، وأدب الكاتب لابي محمد بن عبدالله ابن قتيبة، والبيان والتبيين لابي عثمان عمر الجاحظ، والنوادر لابي علي القالي البغدادي، وجعلوها أصول هذا الفن وأركانه وما سواهنّ تبع لها متفرع عنها وكلها مفرطة في قواعد النحو مشحونة بتصاريف الصرف مترعة بأبحاث لغوية يستدل منها في كثير من نقد أبيات لمختلف الشعراء في مختلف العصور لم يسلك فيها ناظروها مسلكاً مأمون النقد والكمال لله وحده ،

وهؤلاء يرون أن أصول مباحثهم هذه ومخاضة النحو وهو عماد مشكل الكلام وتوثيق ربطه وقوام المعاني فلا يستقيم معنى لكاتب إلاّ بمعرفته وأن الآخذين بعقائد الكتابة ولا أخالهم ينكرون ما يعلمون أن النحو والصرف قد ذهبت بهما أهواء مبغضيهما في دور الصحافة والتعليم وجو التأليف القصصي ببلادنا مع حفظ ما يقف عنده العلم الصحيح يبرز من حذقتهم معارفهم وتحررت أفلامهم فلهم في نفوسنا من الاعتراف بما أوتوا نصيباً موفوراً من فضل على الأدب والكاتبين وأولئكم أبعد من أن يروا ما يرى بعض الكتاب أنهما لا تستوجبهما الكتابة ولا تستدعيهما صناعة الأدب وحسب الكاتب من النحو والصرف القدر الطفيف المقرر في كتب الدراسات المدرسية على إن كثيراً من أبوابهما لا يحتاج إليه الكاتب وإننا نرى وليس ينكر أحد ما نرى أن بين الصحفيين وطلاب المدارس من يجنح في كتاباته الى سخف التركيب هروباً من تركيب يوضحه الاعراب وهم يعيبون عنه . ومما يقضي منه العجب أنّ من القوّامين على التعاليم في مدارسنا من يرى أن هذه الكتب التي ذكرنا شيئاً جانباً وما نهج نهجها قبور من الأوراق لا يصح أن تعد من آلات الأدب العصري ولا تنفع من معارف الأدباء فيجب أن تهمل إهمالاً أو تمحق من الوجود محقاً ليكون النشء بمنجوة عن اضطراب عقله لأنها تكاد تطمس منه أدباً أخذه به معلموه وتذهب من خصائصه متوّماته التي روّضوه عليها بما يلائم عصره وهذا قليل من كثير يلهج به معلمونا وصحفيونا . ولا أراني ملوماً إن قلت إن لغة العرب تذبح على هياكل العسف بمرأى ومسمع من أولئك القوّامين عليها وهم القمين كشف الله من بصيرتهم في دركها وتكشف أسرارها ولا يؤخذ عليّ ان قلت إنّ العصبية لهذه اللغة إذا ضاعت في رجالها ذهب جاؤهم وتداعت عظمتهم ولا يداخلني شك في أن أدباءنا كالعقاد والزيات والمازني والجارم وزكي مبارك ودريني خشبة وطه حسين وغير أولئك ممن برزوا في ميدانها عالة على الأمة وجناية على اللغة في بلد عربي إذ لا حاجة لأدبهم ما دامت اللغة في قبضة الموت وهم رجال لم يبلغوا ما بلغوا من سموّ المقام إلاّ بما أوتوا نصيباً موفوراً من أسرارها وحلقوا في حوّ دقائقها من أصول وفروع ، أذلك لا يسأل في أمتنا غير أدبائنا وعلمائنا في اللغة أمام الله عن لغة كتابه وأمام الأمة عن لغة قوميتها وتلقاء الضمير عما قلدتهم الأمة زعامتها ، تلك الأمانة التي يجب أن يؤدوها بالمحافظة عليها من أيدي العابثين المغرورين الذين يعملون جهدهم اليوم لاستبدال غيرها بها فاللغة قوام معلومات أمتهم وداعية ثقافتها وسر عظمتها وربما كانت أصل بقائها في هذا الوجود .

وإلى هنا أستوقف القلم .

محمد توفيق عز

كيف يتكلم الموتى

للعلامة الروحي الشهير شو درموند

يسألني أولئك الذين لا تفوتهم الدعابة أبداً : وما فائدة الكلام مع الموتى ؟ هل هم يا ترى يعرفون أكثر مما نعرف ؟ هل هم دائماً خيرٌ منا وأعقل ؟ » .

إنه بقطع النظر عن الدواء الناجع عن مخاطبة من أفقدنا الموت . إنهم مؤقتاً فإننا أحياناً نتصل بالأرواح العلوية الكبرى . وهذا الى أنّ حرماننا أنفسنا من مصادر عوالم الروح وموارده الواسعة حماقة تشبه حماقة حرماننا أنفسنا من مصادر عوالم الدين وموارده — ولست أقصد بالطبع من الدين تلك العقائد التي يخترعها البعض .

وعدا هذا فإنّ جماعة الأرواح المتوسطي الحال الذين يتصلون بنا ليسوا أحط منا نحن سكان الارض — إنهم أحياناً يكونون أقلّ منا حمقاً . والواقع أن كثيراً من الأحاديث العادية من عالم الموتى قد يكون من الخير ألاّ نذكرها . ولا شيء يزيف ويفسد أكثر من التصديق الساذج لكل شيء تتضمنه هذه الأحاديث ، ومن جهة أخرى لا شيء يساعد المزورين وينعشه كبعض هذه الأحاديث .

وقد يظن قرائي أني حين أقول إني كلمت الموتى ورأيتهم أنّي في الأمر خداعاً . ولكن لا خداع البتة ، فأمامي سجلاّت ومدوّنات عن ١٨١ جلسة من جلساتي الخاصة مع الموتى ، وأعرف ألوف الجلسات غيرها ، وفي هذه المدوّنات التي تدوّن خلال تلك الجلسات أو عقب قضيها مباشرةً نجد الأحاديث مع الموتى وقد سجلت بطريقة الاختزال كما سمعت ، كما ذكرت كذلك الأماكن والأسماء ودرجات الحرارة وكثير من التفصيلات الأخرى . وقد عقدت هذه الجلسات الـ ١٨١ تحت رقابة شديدة . فالأبواب مغلقة ومحروسة ، وفي بعض الجلسات كان يحضر رجال العلم ، وكذلك كان يحضرها أناس يعرفون « الموتى المتكلمين » كل المعرفة حينما كانوا « أحياء » فكانوا يساعدون على تحقيق التفصيلات الدقيقة الخاصة بؤلاء الذين لفّهم موتى .

ولا عجب إذا رأينا علماء عالميين من أمثال الأساتذة بوزانو وريشيه ولاوكن ، والأخير هو مدير مرصد لاو Lowe بكاليفورنيا ، قد اضطروا في النهاية لقبول كل النتائج الرئيسية في هذا الصدد ، وكثيرون منهم حاربوا البينات المقدمة سنين طويلة ، ولكن صدق هذه البينات ومتانتها قد أقنعتهم بأن الإنسان يتمتع بالحياة بعد ذلك الموت الجسماني . وقد ذكرت في مؤلفاتي الكثيرة أسماء كثيرين من أمثال هؤلاء العلماء .

وهنا أقول لقرائي الذين يقرأون كلماتي هذه إنهم غير مجبرين على تصديق ما يصدقه هؤلاء الناس اذا لم يتبينوا ذلك هم أنفسهم . ومهمتي هنا أن أدلهم كيف يتبينوه ويتثبتوه . فكيف يكون ذلك ؟ .

حينما تكلمت مباشرةً مع صديقي تيل ترستون كاتب الروايات التمثيلية ومؤلف رواية « اليهودي التائه » لم أستمع إليه وهو يحدثني بصوت الوسيط ، ولكنه كلمني من الهواء مباشرةً أمام عدد كبير من الناس ، وحينما سألته تحقيق شخصيته أدلى إليّ بالإسم الذي أكنت أنا وحدي أناديه به وهو على الأرض .

ودخل سير ارثر كونان دويل الكاتب الشهير الذي ألف روايات شرلوك هولمز والروحي الفريق الدقيق بعد وفاته بقليل حجرة التحضير لينافشني في بعض روايات تمثيلية كنت كتبها إذ ذاك . ولكي يثبت لي أنه هو كونان دويل حين تحدثه ، ذكر لي المكان الذي اجتمعنا فيه أنا وهو في مدخل بيت مقابل لمحطة فكتوريا بلندن .

وتحدث أمامي ممثلون انتقلوا الى عالم الروح منهم نيلسون تري ورودولف فالنتينو أحاديث طويلة مع أقاربهم وصحبهم ، وكان ذلك في المعمل الذي نسميه « حجرة التحضير » وقد يعتبرها رسائل هامة من الجانب الثاني وكانت رسائل عديدة منسقة اعترف متلقوها بصحة محتوياتها .

وقد يسر قرائي أن يعرفوا أن رودولف في العالم الثاني ما زال يتابع عمله الفني ، فهناك في عالم الروح توجد المسارح ودور السينما والمدارس والمعابد .

وإذن فما هي الآلة التي بها يتواصل الموتى مع الأحياء ؟

فأولاً يجب أن تعلم أنهم يعملون ما نعمله نحن حين نريد التكلم عن بعد مع صديق لنا ، إنهم يستعملون نوعاً من تليفون يسمونه « صندوق الصوت » ويستطيع أصحاب الحلاء البصري رؤيته .

ولكن قد تسألني « وما هو صاحب الجلاء البصري ؟ » .

صاحب الجلاء البصري ذكراً كان أم أنثى هو الشخص الذي له قدرة على ما يسمى رؤية غير المنظور أو الرؤية عن بعد . ولصاحب الجلاء البصري والسمعي عيون وآذان من الحساسية بحيث ترى وتسمع ما لا يراه ولا يسمعه الشخص العادي لأنه لا يستطيع « التقاط » الاهتزازات .

نحن كلنا أجهزة راديو لا أكثر ولا أقل ، فمن الحقائق العلمية أن الانسان العادي يسمع من الأصوات ويرى من المشاهد التي تحيط به جزءاً صغيراً . والوطاويط مثلاً تصدر عنها طيلة طيرانها أصوات نفاذة مرتفعة الدرجة ولكننا لا نسمعها لأن آذاننا لا تستطيع « التقاط » الصوت . فأصحاب الجلاءين البصري والسمعي يستطيعون فعلاً أن يروا العالم الثاني ويسمعوه ، فهم يسمعون الموتى الاحياء أبداً يتكلمون ويروحون ويغدون . وقد رأى ألوف من الناس الوسيطة الكبيرة استيل روبرتس فوق منصة قاعة ألبرت ، وقاعة كوين وهي تصف في دقة وصدق أقوال الموتى وأعمالهم وقد أحاطوا بها فوق المنصة .

وأنا نفسي رأيت وسمعت أقاربي الموتى في بهرة الضوء ، ولكني مع ذلك لا أدعي أني من ذوي الجلاءين البصري والسمعي . وقد سمع أولئك الموتى كثيرون من الناس في نفس الحجرة .

يمكن سماع « الصوت المباشر » للميت خارجاً من الهواء ، ولقد سمعنا ثلاثة أصوات تتكلم في وقت واحد في أجزاء متفرقة من الحجرة . والصوت المباشر هو الصوت الحقيقي للميت ، وهو يسمع كما كان يسمع صوته فوق الأرض قبل مماته ويمكن تمييزه على الفور .

وأحياناً يتكلم الميت — ذكراً كان أم أنثى — خلال حنجرة الوسيط الذي يكون واقعاً إذ ذاك في الغيبوبة ، وقد يكون الوسيط في بعض الأحيان واعياً . ولكن سواء أكان هذا أم ذاك فلا بد من وجود وسيط كما لا بد في حالة الراديو من وجود بطارية (أو تيار) . فالوسيط بالاختصار — ذكراً كان أم أنثى — بمثابة تليفون بعيد المدى أو راديو . ونحن هنا على الأرض لا نستطيع استعمال جهاز التليفون أو الراديو دون كهربائية .

***

ولنتجه بعد ذلك الى حجرات التواصل أو معامله في الجانب الآخر من القبر ، والى من فيها من الناس لنعرف ما يفعلون وكيف يفعلون .

في غرفة التحضير في دنيانا نجد عادةً (ا) وسيطاً أو بطارية القوة جالساً فوق كرسيه ذكراً كان أم انثى ، فاذا كان وسيطاً للغيبوبة فانه يعد نفسه للوقوع فيها ، واذا لم يكن وسيط غيبوبة فهو يجلس بارادته راعياً ولكن ساكتاً .. (ب) ونجد « الجالسين » أو الزائرين وقد يبلغ عددهم من ستة الى خمسين (ح) واولئك المكلفين بحراسة الباب المغلق (ء) وبعض الطبين الذين يحضرون ومعهم آلات التصوير وغيرها .

ويكون في الحجرة عادةً فونوغراف لأن الموسيقى تساعد مساعدة عظمى على ترنيم الاهتزاز بين عالمي الأحياء والموتى ، وذلك رغم ان الموسيقى توقف حينما تجيء الأرواح لتتكلم .

وأما في الحجرة التي في العالم الثاني فيوجد كما تقول الأرواح وأيدهم ذوو الجلاءين البصري والسمعي (ا) الروح المرشد أو الروح المهيمن ، وهذا عادةً يكون روحاً صاحي العقل مرهف العاطفة . (ب) ومع هذا الروح جلساؤه من الأرواح وهم أولئك الموتى الراغبون في التكلم مع الاحياء — والواقع انه لا موت لأن الجميع أحياء . (ح) حراس الأبواب من الأرواح وهم المراقبون الذين يمنعون في عالم الروح تدخل الأرواح الشريرة أو المائجة الكذبة الادعياء كما يمنع رجال الشرطة فوق الأرض مخالفي النظام في الاجتماعات العامة أو الشوارع و (ء) الصندوق الصوتي الذي يشبه في تأثيره كذلك التليفون الذي يدخل فيه الموتى الراغبون في الكلام ، وهذا يستلزم مراناً .

ويحمل تليفوننا الأرضي صوتنا الآدمي المزيل الى أقاصي الأرض بأجهزة التجديد والتكبير كما هو الحال مع الميكروفون فيستطيع المستمع في استراليا مثلاً التقاط الصوت . ويعمل « الصندوق الصوتي » نفس العمل ولكن بتخفيض درجة اهتزازات صوت الروح المتكلم حتى تستطيع الأذن الأرضية المنخفضة درجة الاهتزاز ان تلتقطه وتفهمه . وأذكر قرأي مرة أخرى ان « الصوت المباشر » يمكن أن يسمع من كل الموجودين في قاعة كبرى .

* * *

وقد حدث أخيراً أن أقيمت اجتماعات عامة في القاعات العامة في انجلترا حضرها ما يزيد على الألف ، وخطب المجتمعين « موتى » بأصواتهم المباشرة . وكان من بين هؤلاء « الموتى » الحكماء زلي هوارد والين تري والعلامة أوليفر لودج .

ترجمة

احمد فهمي ابو الفتوح

نظرية الذرة

إن فكرة تكوين المادة من ذريرات صغيرة جدًّا، على اختلاف أنواعها وترتيبها بهيئات مختلفات تظهر بها هذه المادة، كانت فكرة مرتكزة على زمن فلاسفة قدماء اليونان الذين نجد شرحًا وافيًا عن أعمالهم في كتاب « درس التركيب الكيمياوي » تأليف السيدة المتوفية « فرويند ». وكيف كان فإن نظريات تركيب أو تكوين المادة لم تكن في العالم القديم إلاّ تصورات أو بالأحرى تخمينات غير مبنية على البرهان العملي : إننا لا نسمي العجوز الانكليزية المتفتنة مخترعة السيارة لأنها تنبأت أن سيأتي زمن تسير فيه العربات بلا خيل، كما أننا لا نعتبر فلاسفة قدماء اليونان مخترعي نظرية الذرة، فإن الذي يستحق هذا اللقب الرفيع هو « جون دالتن » الذي ولد عام ١٧٦٦ وتوفي عام ١٨٤٤ للميلاد.

كان دالتن أستاذاً في احدى المدارس، وكان مولده في إيكليز فيلد في مقاطعة كمبرلند، وقد درس علوم الآداب مثل جميع تلاميذ عصره ودرس شيئاً من العلوم الرياضية، ولا بد أنه بوساطة هذه الآراء العلمية قد فهم شيئاً عن تركيب المادة وأطال البحث عندها واطلع على آراء نيوتن بهذا الشأن، وأخيراً هذب النظرية ووضعها في قالب شرح فيه بعض الحقائق التي كانت معلومة وأثبت ذلك بالبرهان العملي الايجابي أو السلبي الجزئي ان لم يكن الكلي. ومن الضروري أن نلاحظ أن « دالتن » لم يصل الى نظرية الذرة بوساطة عمليات أجراها بل وصل الى ذلك بالتفكير في إيجاد النظرية أولاً ثم في اجراء التجارب لامتحانها وإثباتها.

لقد بنى دالتن أهم نقاط نظرية الذرة على ما يأتي :

أولاً — تتألف المادة من عدد كبير من الذريرات التي تسمى بالذرات (معنى كلمة ذرة غير قابل القسمة وسميت الذريرات بذلك لأنها اعتبرت غير قابلة القسمة، كما هي الحالة في الجزيئات. إن الذرّات المركّبة من المركّبات تقبل القسمة، بلا شك تنقسم الى ذرّات جزئية وبهذا المعنى نرى أن الذرة المركبة أيضاً قابلة القسمة أو هي على الأقل أصغر قطعة في المركب الذي يمكن أن نراه).

ثانياً — إن جميع الذرّات ذوات الجزء متشابهة في جميع الأحوال ومختلفة كل الاختلاف عن الجزيئات الأخرى .

ثالثاً — الذرّات غير قابلة الائتلاف ، وغير ممكن تكوينها أو خلقها .

رابعاً — يحصل التركيب في تكوين أو تأليف المركّب بين الوحدات الصغيرة من اعداد ذرّات الجزء المكوّن .

خامساً — ان جميع الذرّات المركّبة في المركّب متشابهة كل التشابه .

من هذه القواعد (Postulates) لا يمكن الوصول الى النتائج التي يمكن اختبارها بوساطة التجارب مع علمنا انه قد مضى على هذه القواعد زمن لم تكن فيه شيئاً مذكوراً . هذا يجعل في الحال نظرية الذرات مبنية على أساس علمي متين ، ويبرهن هذا على صدق هذه النظرية : لا تنفع النظرية العلمية إلاّ إذا صح اختبارها عملياً ، إما رأساً أو بالوساطة ، ورغماً عن هذه الحقيقة التي لا ريب فيها نجد ان كثيراً من النظريات التي لم تختبر لا تزال تُسرتأى بها مذكورة .

إن أول ما يستنتج من نظرية الذرّة يسمى « بقانون التركيب الثابت » يعني ان عين المركب الكيميائي يتألف دائماً من عين الجزيئات المزوجة بمقدار ثابت الأوزان — ويستنتج هذا من نقاط نظرية الذرة ٢ ، ٤ ، ٥ المذكورة سابقاً . ولما كان هذا أول قانون نصادفه في علم الكيمياء وجب علينا ان نعرف تمام المعرفة ماذا يقصد بكلمة قانون في هذا الموضوع : لهذه الكلمة معنى خلاف المعنى الموجود في جملة « قانون الجزاء » . ومن العبث أن يظن انه إلى زمن « دالتن » كانت التراكيب الكيميائية لا يجري عليها قانون ، وان الماء مثلاً كان يحتمل ان يتركب تارةً من القصدير والرصاص إذا أريد ذلك ، وأخرى من الهيدروجين والاكسجين . وليس من المعقول أيضاً أن نتصور مجازاة المركب الكيميائي إذا خالف قانون التركيب الثابت (مع ان كثيراً من الكيميائيين في منتصف القرن التاسع عشر كانوا يودون من صميم قلوبهم ان يحكموا على الـ Nitric Oxid إما بالاعدام أو بالأعمال الشاقة لأنه لم يطع قانون الأعداد المزدوجة)

لقد عرفنا إذن ما ليس بالقانون الكيميائي وقد بقي علينا أن نقرر ما هو القانون الكيميائي ، وهذا سهل جداً إذا أخذنا مثالاً بسيطاً . القانون الطبيعي ان لكل إنسان عينين ، وهذا لا يمنع الانسان من قلع عينه إذا لم يوافقه هذا القانون ، كما انه لا يمنعه من ان يحمل عيناً ثالثة زجاجية في جيبه ، وحقيقة ان للانسان عيناً ثالثة في فمه أو أعلى رأسه كما خبرنا عنها علماء الحيوان ؛ ومما تقدم يتضح لنا انه من البديهي أو الطبيعي ان يكون

لكل انسان هيئان وهذا اختصار في الاختبار التجريبي وهو ينطبق كل الانطباق على القوانين الكيميائية ومعنى قانون « التركيب الثابت » انه لم يكتشف للوقت الحاضر مركب مختلف التركيب ، ولو وجدت هذه المركبات لاختفى القانون — ومن هنا نرى الفرق بين قانون الجواء والقانون الكيميائي : فلو حكم على انسان بغرامة مقدارها جنيه واحد لتركم كلياً يتجول في الأسواق نجد انه لا يحصل للقانون بعد ذلك أدنى ضرر .

لنبحث الآن عن العلاقة بين قانون التركيب الثابت ونظرية دالتن في الذرة : حقيقة الأمر انه اذا صدقت النظرية فيكون من المفاهيم ان كل ما يتألف منه المركب الكيميائي يجب أن يكون دائماً ثابتاً . هل من الضروري إذا وجدنا بوساطة التجربة أن ما يتألف منه المركب الكيميائي هو ثابت وهل نظرية الذرة حقيقية ؟ فلو فكرنا قليلاً نجد أن هذا غير صحيح وقليل من التروي يجعلنا نعتقد ان ذلك ليس كذلك كما هو الواقع : لنفرض أن رجلاً كان مسافراً في القطار ، ومن هذا يمكننا أن نتصور نظرية السفر عليه . فننتظر بالطبع أن يأتي الرجل الى المحطة ويشتري تذكرة السفر وان يأتي قبل قيام القطار وان يسرع اذا كان متأخراً وان يحمل معه حقيبة . ولنفرض الآن اننا نرى رجلاً آخر سائراً الى جهة المحطة فهل نستنتج من ذلك أنه سيسافر في القطار ؟ لا هلك ! لا . فلربما ذهب هذا الرجل ليقابل صديقاً له أو ليطالب بثمن ما أتلف له من البضاعة أو لغير ذلك من الأسباب ، الا أن ذهابه نحو المحطة ينطبق على نظرية ذهابه بالقطار ولكن لا يثبت ذلك . لنفرض أن الرجل كان يركض وكان قد قرب وقت قيام القطار وكان يحمل حقيبة وذهب الى مكتب صرف التذاكر ليشتري تذكرة السفر فهل تثبت النظرية الآن ؟ كلا . فلربما كان الرجل مأجوراً من قبل أحد أصحاب الصور المتحركة على ذلك العمل أو كان معتوهاً ، ولا نتأكد حقيقة ذهابه بالقطار الا إذا رأيناه يصعد اليه ويتخذ له مكاناً فيه : فهذا يثبت سفره ويجعل هذه النظرية أصح من نظرية صاحب الصور المتحركة أو نظرية المعتوه وتقبل هذه النظرية لعدم وجود الاثبات الكافي للنظريتين الأخريين .

هذه تماماً عين الحالة التي وجدت فيها « نظرية الذرة » في القرن التاسع عشر ، فلا أحد رأى الرجل يصعد الى القطار ويسافر فيه مع أن البرهان كان في الحقيقة قوياً ، ولم توجد شهود الحال حتى في أول سني القرن الحاضر .

باة — فلسطين

شرف الشاشبي

عالم الدماغ

شعر علي نلس

الرأس يُحسب سيد البدن فيه الدماغ الواضع السُّنن
ملكٌ محتمة أوامره ما كان في سرٍّ وفي علن
والجسم مملكةٌ منظمةٌ أحكامها محدودة الوطن
وجنودها الأعصاب حارسة أطرافها المحساة في مدن
والعقل عدتها وعاملها المسؤول عن قبح وعن حسن
ما العقل غير تفاعل بخلا يا المخ إذ تصحو من الوسن
قالوا الجمال عرَّض طوى القلب الذي ان يستحب فتي
والعين تختلق الجمال اذا ما أبصرت بدراً على فنن
والقلب يهكو والعين أنّ بصرت والعين تشكوه كشنتن
كل بسحر الحب متَّهم من منهما سحر الغرامُ مَن؟

***

في العقل لا في القلب علته ما العين الاّ علة الفتن
في بؤرة في المخ مركزه يملي شعور الظهر والدرن
وتحضّه فيه غريزته أن يستحب مشيقة الغصن
تطفو العواطف في الفؤاد اذا هاج الجوى أشواق ذي شجن
كلاّ فما في القلب عاطفةٌ إن العواطف في الحجى الفطن
في اللبّ كل سريرة نشأت تتحاز بين الود والضغن
اللبُّ معدن كل باعثةٍ للخير أو للشر والظعن
أما المشاعر فهي عدته رسل المنى والحفظ والمنن

تجري بها الآمال مثقلة بالشوق والآلام والمحن
أو بالشعور توزعته يد الشهوات والأفراح والحزن
الكرب والبرحا وكل أسى هي في النحام وليس في البدن
والحسن والطرب الرخيم هما في النفس لا في العين والأذن
ما المرء الا العقل مبتكراً أحداثه والجسم للسكن
هو لعبة الأقدار تنفضه فبسيل بين الله والوثن
فتلاطمت فكر الأنام بها كتلاطم الأمواج والسفن
وتضاربت فيها رغائبهم كتضارب الأسياف والجنن(1)
يبغي السخيف منى فتمحقها من دونه أمنية الزكن
فيم اختلاف الناس في سخف ولم اختلاف الناس في القطن
ولم اختلافهم بفطرتهم ولم اختلاف الشكل والسحن
وهم بنو حوا وآدمها ودماؤهم دم هكلها الحسن
لا بل بنو الأرض التي اختلفت ذراتها بالجذب والوهن
لا تعذل النزعات مرغمة لم ما لدى الأكوان من سنن
المرء غير مخير فإذن بيد الطبيعة مقبض الرسن
ما العقل حرا في تصرفه هو تحت أمر حوادث الزمن
دانوا المسيء ولا اختيار له والقدرة الرعناء لم تدن
هذي الطبيعة لا قياد لها تمضي بلا رشد ولا فطن
من ظلم ذي الدنيا وما عقلت ان الجماد سطا على الذهن

نفر لد الحرار

(1) جمع جنة وهي الترس

شوقي وحافظ

طالما يتردّد اسماهما معاً زمناً ، تعترض حياتهما عواصف تنافس أحياناً ، وتمرّ بهما نسمات صفاء أحياناً أُخَر ، ولكنهما يشعران أنهما مكمّلان بعضهما بعضاً في أداء رسالة واحدة . وجّهتهما الى طريقها عرائس الشعر وطبيعة العصر .

ومانا في عام واحد ، بل لم تستوفِ الشهور الثلاثة تمامها بعد وفاة حافظ حتى كان شوقي قد انتقل الى جوار ربّه بعد أن رثى رفيق جهاده الشعريّ بأروع مراثيه ، وذلك منذ خمسة عشر عاماً ، كأنهما شعرا أنهما أدّيا رسالتهما ولن يستطيع واحد منهما أن ينهض بعد الآخر بعبء تلك الرسالة وحده بعد هذا الجهاد الطويل .

ولقد ترك كلٌّ منهما أثره في جيله ، كما ترك ذلك الجيلُ أثره في شعرهما بحسب طبيعة كل منهما .

قضى شوقي زهرة حياته ناعم البال فكان لذلك أثرٌ كبير في شعره الأول وفيما حفلت به دواوينه في تلك الحقبة حتى اختلفت الأيام وتغيرت عليه فأُبعد عن مصر ، وهنا انتقل شعره نقلة أخرى ، وتأثر بمؤثرات أخرى .

أما حافظ فقد قضى زهرة حياته على غير ما قضاها شوقي ، محروماً من أهله وعشيرته ثم محروماً من التقدير حتى استطاع أن يشقّ طريقه . وقد وجد حافظ الطريق التي كان يريد سلوكها الى القصر محفوفة بالعراقيل على حين هيّئت لشوقي ، فاتّجه ببصره ناحية الشعب ، وكان لهذا الاتجاه أثرٌ بارزٌ في شعره مال به الى التعلّق باللفظ المؤثر القريب دون المعنى المبتكر البعيد ليصل صوته الى أسماع الناس في حين لهتمّ شوقي بالمعاني مع عنايته بالجرس وراء القريب من اللفظ .

أحمد شوقي بك

حافظ ابراهيم بك

ولقد واتت شوقيًّا الظروف فتهيأت له ثقافة عالية واطلاع بعيد على حوادث التاريخ، وأكسبته رحلاته وعلاقاته برجال القصر ومعرفته بأساليب السياسة ومداوراتها وتياراتها، ما لم يتهيأ لحافظ حيث شغلته حياته عن كسب المعرفة الواسعة إلا فيما كان خاصًّا بالأدب العربي من مطالعاته في أمهات الكتب العربية فاكتسب محصولاً وافراً من فصيح القول ومفردات اللغة اختزنها عقله الباطن وكان يمدُّه بها بين حين وحين، ومن ذلك تبدو ديباجة حافظ قوية منذ نشأته الشعرية من ديباجة شوقي في بعض قصائده الأولى. لذلك استطاع شوقي لنفسه طريقته في اختيار الكلمات الغريبة المهجورة، كما قدّمنا، ليتعلى هذا النقص.

* * *

على أنّ موسيقى شوقي التي وُهبها كانت أقوى ونيناً من موسيقى حافظ، ولذلك نجد الألفاظ العويصة التي كان يلجأ شوقي إليها كما يلجأ المترف الثريّ الى اقتناء التحف القديمة تُستهتَرُ في بوتقة هذه الموسيقى القوية فتتحول الى حركة بعد جمود، وحيوية بعد موات. ومن هذا كان شعره أميل الى الغناء من شعر حافظ حتى أنّ مراثيه لم تخلُ من موسيقى تجنح الى الرنين الراقص مما قد لا يتفق مع المناسبة كما في مرثيته لعلي أبي الفتوح.

غير أن شوقيًّا ظلّ يقوّي ديباجته لتتفق مع قوّة معانيه وأخيلته في حين لم يُمِدَّ حافظ بالمعاني ليزيد ديباجته قوّةً فتأخر عن شوقي في كثير من ضروب القول.

* * *

واستطاع شوقي أن يأخذ من آثار ثقافته لعصره ما ساعده على التفرُّد بالناحية التاريخية العجيبة في شعره، والحكمة التي كان يبثها في ثنايا قصائده. وظهر أثر هذه الثقافات في أخريات حياته حيث اتجه اتجاهاً جديداً نحو فن جديد، هو الفنُّ القصصيُّ الشعريُّ.

أما حافظ فكانت ثقافته العربية، وظروفه الخاصة، حائلاً دون الالتفات الى ابتكار جديد، وإن كان هناك نزوعٌ في نفسه الى شيء من هذا بدا في هذه الأبيات التي يخاطب فيها الشعر:

ضعتَ بين النُّهى وبين الخيالِ ... يا حكيم النفوس يا ابن المعالي
ضعتَ في الشرق بين قومٍ جمودٍ ... لم يفيقوا وأمةٍ مكسالِ

قد أذاقوك بين أنس وبأس وغرام بظبية وغزال
وسبي ومدحة وهجاء ورثاء وفتنة وضلال

الى أن يقول :

آن يا شعر أن تفك قيودا قيدتنا بها دعاة المحال
فرفعوا هذه الخيام منا ودعونا نشم ريح الشمال

فهذه الرغبة لم تكد تظهر في نفس حافظ حتى خبت لأنها لم تجد لها من عزيمته ما يدفعه إلى تغيير أساليب كتابته وموضوعات شعره ومحاولة تجديدها ، بل ظل يتناول ما كان يتناوله هو ويتناوله غيره من الشعراء ، وكان في استطاعته أن يجعل لهذه الثورة في نفسه أثراً في شعره ، ولكنه لم يفعل ، ولعله حاول ولم تسعفه مواهبه — كما أسعفت مطراناً — فوقف دون تقدم ، ولكن شوقياً حاول ، ولم يثنه شيء ، ولم يحل النقد الذي وجّه اليه دون المضيّ في سبيله ولم يستطع صرفه عن محاولاته .

وكانت طبيعة شوقي التي تساعده على نظم الشعر حيث وجد من أسباب الأخذ بكثير من الألوان الجديدة لشعره في حين كانت طبيعة حافظ التي تؤثر الخلوة ، وتؤثر اللفظ على المعنى لم تهيء له الوقوع على المعاني العابرة بالعين التي يقع عليها شوقي الذي لا تقف الحركة والضجيج دون تهيؤه للقول . وفي هذا دليل آخر على سرعة التأثر والحساسية عند شوقي عنها عند حافظ .

* * *

غير أن شعر حافظ كان أقرب الى التعبير عن آلام المصريين وآمالهم من شعر شوقي الذي كانت عواطفه متجهة نحو العثمانيين تبعاً لسياسة التي كانت غالبة وقتذاك والظروف التي أحاطت به والإحساس بانتمائه اليهم ، فكان شعر حافظ السياسيّ صدى صوت مصر ، ينطق بعواطفها ويتجاوب مع صيحاتها . وكانت لحافظ جرأة في تناول تلك الموضوعات لم تتهيأ لشوقي مثلها ، وهو الرجل الذي يجاري التيار الموافق لسياسة القصر وقتئذٍ .

على ان مجالس حافظ المرحة ورغبته في تقوية ملكة الدعابة والظرف في نفسه ليستطيع الوصول الى ما كان يتمنى من مجالس العظماء والكبراء كان لها أثر بارز في شعره حتى الوطني

منه، فقد كان يميل الى التفكه والتندّر كما يتجلى في بعض قصائده التي وجّهها الى كرومر على أثر حوادث دنشواي وإلى مندوب بريطانيا الذي خلفه وغير ذلك . في حين كانت الحكمة تغلب على شعر شوقي إذا مسّ موضوعات كهذه لأنه لم تكن له مثل روح حافظ المرح الطروب الظريف ، ولأن حياة القصر لوّنته بكثير من ألوان القيد والتحرّز ، فكان أميل الى الحكمة كما كان أميل الى المداراة . ومن ذلك لم تلقَ قصائده بين الشعب ما لقيت قصائد حافظ . ومن يستمع الى فكاهات حافظ ونوادره يجد فيها من الحكمة ما كان جديراً بأن يزخر بها شعره ، ولكنها كانت تجد المتنفس لها في تلك النوادر في حين تجد الباب موصداً أمامها في شعره إلاّ في النادر .

بيد أن هناك جانباً من شعر حافظ يمتّ من عظمة شعره السياسي ويمتّ الى وطنيته التي كانت تحفزه قبل ذاك الى التعبير عن آلام المصريين ، وهي تلك القصيدة التي وجّهها الى السلطان حسين يدعوه فيها الى التعاون مع الانجليز ، وكذلك قصائده التي كان يوجّهها الى مندوب بريطانيا في مصر وكان جديراً بحافظ أن يكون أكثر وطنية وشعوراً بالإباء أو يسكت ان لم يجد مجالاً للقول ، ولا يُحتج بأن الظروف كانت تدعو — وقتئذٍ — الى مثل هذا القول ، لأن له من شعره السابق الذي وجهه الى ايطاليا والى دول الغرب ما كان جديراً بأن يطلق عليه كل السُبُل فلا يضرّ الى طريق معوجة لا يسلم فيها من الغطط .

* * *

وقد استطاع شوقي بعد عودته من المنفى أن يتشرّب روح الشعب وأن يشاركه في عواطفه ومبادئه ، ويعالج هذه الناحية فوُفّق في ذلك ، وبرز شعره من تلك الآونة الى آخر حياته معبراً عن آمال مصر وآلامها وبخاصة في ظروفها الأخيرة ، بل لم يقف به الأمر عند تناول الحوادث في مصر ، فتجاوز هذا الأفق الى حوادث الشرق يستلهمها فكان المترجم عن مشاعر الشرقيين ، وانتهز فرصة سكرت زميله فأطلق لخياله العنان وارتاد بفنّه نواحي متعددة من سياسية واجتماعية فأحسن فيها القول وأجاد ، على حين استسلم حافظ الى الصمت ، وكان في استطاعته — اذا فُرض أنه طلّق الشعر تحت ضغط قيود الوظيفة — أن لا يحرم

فبشارته العزف عليها في نواحي أخرى كأنْ يرسم صوراً للشقاء الذي يلازم الحياة في مصر ، وهو الذي خبره ولمسه وعاش فيه زمناً ليس بالقصير ، وكان من الأسباب التي دفعته الى نقل رواية البؤساء الى العربية .

***

أما وصف الطبيعة فقد برز فيه شوقي عن حافظ ، واذا كانت قصيدة حافظ عن رحلته الى إيطاليا التي يقول فيها :

عاصفٌ يرمي وبحر يغيرُ أنا بالله منهما مستجيرُ

تعتبر لوحة رائعة صادقة التصوير زاخرة بالأحاسيس ، فإن مثل هذا اللون من الدقة في التصوير والتفرغ لإتقان الصورة قليلٌ عند حافظ خلافاً لكثرته عند شوقي ، فإن دواوين شوقي زاخرة بألوان تتفاوت قوة واقتداراً وفتنةً وتفنناً في نزج هذه الألوان بحسب تمكن العامر من فنه ، فالصور التي كان يرسمها خلال رحلاته الى الاستانة لا ترتفع الى مستوى الصور التي رسمها فيما بعد في قصائده عن النيل وغاب برلونيا وغير ذلك ثم زادت قوةً ونصوعاً وفتنةً وجمالاً في لوحاته عن لبنان وزحلة وبيروت وفي أبيات متناثرة خلال قصائده ، الأخرى في وصف الآثار .

***

على إننا اذا انتقلنا الى جانب من جوانب شعر الرجلين ، وهو الرثاء ، وجدنا شعر حافظ وافراً في هذه الناحية يكاد يستغرق نصف ديوانه — على حدّ قوله — ووجدنا في هذه الكثرة صدقاً في اللوعة والإحساس بالألم انتقد من رثيهم إذ كان حافظ سريع التأثر ، تركت له حياته الأولى وما قاسى فيها آثار حزن دفين في نفسه لا يكاد يحسّ بالموت يختطف واحداً من معارفه حتى يحسّ بالألم عميقاً . ولعله كان يشعر في قرارة نفسه أن أصحابه ومن عرفوه وربطت بينه وبينهم صداقة متينة لم يعرفوه لطمع أو مطمع ، وانما عرفوه لأنهم قدروه حق قدره ، فهو حين يفقد واحداً من هؤلاء إنما يفقد قلباً يزخر له بحب وعطف وقلباً تنطوي له على محبة وتقدير ، ولأن نفسية حافظ كانت سامحة كل السذاجة ، طيبة كل

الطيبة ، يقبل على من يحبه كل الإقبال وينصب سريعاً ، ولكن ما تبدو له في الأفق ظاهرة من مظاهر فرح أو أسى لصاحب أغضبه حتى ينسى كل شيء ليشارك صاحبه في فرحه أو حزنه ، ومن ذلك كانت نفسه صريحة واضحة لا غموض فيها بعكس نفسية شوقي الغامضة . فقد كان يحاول طمس الكثير من معالم نفسيته مصطنعاً الحكمة في كثير من المناسبات . ولم يكن لشوقي مثل طاقة حافظ الجريئة الموروثة عن حياته الأولى لأن حياة شوقي كانت حياة ترف ، وكان أكثر من رثيهم أصحاب مناصب أو جاه وربطت بينه وبين بعضهم صداقات دعت اليها ظروف العمل أو الجوار أو الاتصال بالسراي أو كانوا من الذين أرادوا أن يصلوا بينهم وبينه طمعاً في نفع ، أو طلب اليه رثاء واحد منهم فأجاب . ولا نحس باللوعة في مراثيه إلا في قليل منها كمرثيته لأمه ولمصطفى كامل وعمر لطفي ويعقوب صروف وأمين الرافعي وفي أبيات قليلة من بعض قصائد أخرى ، وذلك للروابط القوية التي كانت بينه وبين هؤلاء من شدة تعلق ودوام صحبة وتجاوب فكر ، وللإحساس العميق المتبادل بينهم . والذي كان عاملاً من عوامل الاندماج بين حياة هؤلاء . لأن فيها من حياته أشياء أحس أنه فقدها الى النهاية .

أما مراثيه الأخرى فكانت عنايته بتحسين الاطار التي توضع فيه صورة الفقيد أكثر من العناية بالصورة نفسها ، وكانت تتردد في معظم هذه المراثي معاني واحدة لأنه كان يلجأ الى الحكمة ليستر ضعف الأحساس بالفجيعة .

ومن هنا كان لمراثي حافظ من القوة ما لم تكن لبعض مراثي شوقي ، ولأن حافظاً كان يتفجع بكل شعوره ، وكان الألم ينصب في نفسه انصباباً كما يقول في مرثيته لسعد .

* * *

وهناك وجه اختلاف بين حافظ وشوقي ، ذلك إن الأخير عند ما تخلص من تقاليد وظيفته وقيودها — أو خلصته الأقدار منها — وارتحل الى المنفى بعث فيه هذا الخلاص متحرراً من كل قيد ، واكتسب التنقل روحه وجسمه طلاقة وانطلاقاً ، فكان في كهولته لا يستقر في مكان كالطائر فاندفع يغرد ، ويلون في تغريده ، في حين قيدت الوظيفة حافظاً فسكت زمناً عن التغريد ، ولم يكن جسمه وروحه من التنقل الا ما يزيد مقر عمله ومجالس

أنسه وصحابه فأثر ذلك فيه عند كهولته فسكت وتحلّى قيثارته على النقيض زميله الذي مات وهو لم يترك قيثارته ولم يحبر عرائس شعره.

فالحيوية كانت في شوقي مدخرة بيّنا استنفدها حافظ فلم تواته في أخريات حياته، وبذلك فقد شعره الأخير تلك القوة التي كانت تزخر بها أشعاره الأولى.

***

واتفق الاثنان — شوقي وحافظ — في ظاهرة تبدو في ناحية من شعرهما تلك هي برود العاطفة وجفافها نحو المرأة، وعدم التأثر بها تأثر الغزليين الحقيقيين، فشعر شوقي الغزليّ وإن كان وافراً حسن شعر حافظ الغزلي الشحيح لا يمتاز عنه من تلك الناحية بشيء فهو عند هذا تقليديّ كما هو عند ذاك، لا روح فيه ولا حرارة، فهو وصفٌ لكلام عذب جميل. على أن الموسيقى القوية التي امتاز بها شوقي — كما قلنا — كانت تمدّ بعض أشعاره في هذه الناحية وبخاصة ما نظمه بعد فوات الشباب بما يهبه العاطفة المتقدة. وكثير من شعره الذي لا يمتّ الى الغزل بصلة يغنّي الآذان، لأن الروح الغنائية فيه كانت متغلبة وربما أمكن التغني بكثير من شعر مراثيه ... ولن يخدعنا شعر حافظ في الناحية التي نتكلم عليها كما يخدع شعر شوقي لأن شعر حافظ خال كل الخلوّ من حب المرأة. أما شعر شوقي فقد يخدع بعض الناس أول وهلة، ولن ينهض حجةً قوله في قصيدته التائية عن لبنان التي افتتحها بالغزل حيث قال:

فازورّ غضباناً وأعرض نافراً حالٌ من الغيد الملاح عرفتهُ

فهذا التعبير لا يدلّ دلالة صريحة على دراسة المرأة عن تجربة ومعرفة، ولكن عن طريق قراءة أو سماع لأن شباب الشاعر كان بعيداً عن التأثر بالمرأة تأثراً حساساً، وتبدو ألوانه باهتة للباحث الفاحص، ولم تظهر في آثاره تلك الحرارة التي يحاول أن يثيرها في شعره في الطور الأخير، فكيف تجيء بعد أوانها؟

لقد كان شوقي سريع التأثر عن طريق قراءاته وكانت تنطبع على صفحات ذهنه من تلك القراءات صور عديدة لشعراء عديدين، فهو يقرأ مثلاً لابن زيدون مقطوعته.

ودّع الصبر محبٌّ ودّعك ذائعٌ من سرّه ما استودعك

ويعجبه منها موسيقاها وروحها الغنائية التي هيأتها لذلك فيقول :

رُدّت الروح على المغنى معك أحسنُ الأيام يومٌ أرجعك

أو يقرأ للحصري القيرواني :

يا ليل الصبّ متى غدهُ أقيام الساعة موعدهُ

فيعارضه بقوله :

مضناك جفاه مرقده وبكاه ورحّم عُوّدهُ

ويتابعه في هذه المعارضة كثير من شعراء عصره .

وقد يبدو أن ظروف شوقي التي كانت تدعوه الى المحافظة على مكانته في القصر كانت من الأسباب الداعية الى المحافظة أيضاً على عدم اتصاله بالمرأة أو اذاعة شيء من التعلق بها تصنعاً للوقار كما في قوله :

لك أن تلوم ولي من الأعذار أن الهوى قَدَرٌ من الأقدار

ما كنتُ اعلمُ للعيون سلامتي وأُبيح حادثة الغرام وقاري

وفيها يصف رؤيته لحسناء من حسان الاستانة مرّت به وهو على الخليج فقال :

مرّت بنا فوق الخليج فأسفرت عن جنّةٍ وتلفّتت عن نار

في لمحةٍ يوردنّ من هنّ الهوى نظراً ولا ينظرنَ في الإصدار

عارضتهنّ وبين قلبي والهوى أمرٌ أحاول كتمه وأداري

ولكن أيّ وقار يحول بين الشاعر وبين أن يصدح بتغاريد قلبه ، وأيّ تقاليد تمنع حتى أصحاب الحكم من أن ينزلوا على حكم الهوى ؟

لقد سافر شوقي الى فرنسا في مقتبل شبابه الفوّار ، وعاش هناك فترة من الزمن . واذا قدّرنا البيئة التي خلفها شوقي — بيئة المحافظة التي لم تكن للمرأة فيها ما لها الآن من ظهور بألوان الفتنة ، وقدّرنا الى جانب ذلك تلك البيئة التي تحوّل اليها ، وفيها ما فيها من ألوان الفتنة الظاهرة دون خمار ، واللاعبة دون ستار ، والمتفتحة عن جنّات تتدلع فيها النار ، كان لنا أن نقول إنه كان على شوقي أن يرتفع ويرتفع من أعماق نفسه في شبابه هتاف الروح

المكتوبي بلهب هذه الفتنة . فهل كان لشبابه هناك — وهو الشاعر الفرد الذي لم تكن له من القيود ما يمنعه من البوح بآثار المرأة في نفسه في تلك الحقبة ، حقبة القلب — ألوان شعرية ، بارزةٌ فيها آثار المرأة كما تظهرُ عند شعراء الغزل الحقيقيين ؟

هذا ما نحاول الكشف عنه .

إن في الجزء الثاني من ديوانه قصيدتين، واحدة عن « باريس » والأخرى عن « غاب بولونيا » وهاتان القصيدتان كتبتا بعد فوات عهد الشباب بزمن بعيد كما يظهر من خلالهما ما في ذلك شك . فأما الأولى فكل الحديث فيها منصبٌّ على تلك المدينة الساحرة ، ولا يمكن لشاعر أو غير شاعر أن يذكر باريس دون أن يذكر غيدها ولو كان من المتقشفين . وشوقي يعرّج على ذكر الهوى في تلك المدينة الساحرة فيقول هذه الأبيات :

يا مكتبي قبل الشباب وملعبي ومقيل أيام الشباب النُّوكِ
ومراح لذّاتي ومغداها على أفق كهتّات النعيم ضحوكِ
ومجاءَ وحي الشعر من متدفقٍ ملس على نوّل السماء تحُوكِ

فالذي يصرّح بعمق الشباب في طوره حين يقول « ومقيل أيام الشباب النُّوكِ » لا يستعصي عليه أن يصرّح بأكثر من ذلك .

* * *

وأما قصيدته « غاب بولونيا » فهي ذكرى عاودته بعد الشباب على أثر زيارة لهذا المكان، فبعثت فيه تلك الزيارة ذكرياتٍ قديمة ، ولكن أين أثر هذه الذكريات القديمة في شعره ؟ إنه يقول :

يا غاب بولونـــيا ولي ذممٌ عليـــك ولي عهودُ
زمنٌ تقضّى للهوى ولنا بظلّك ، هل يعود ؟
حلمٌ أريد رجوعـــه ورجوع أحلامي بعيـــد
وهب الزمانَ أعادها هل للشبيبـــة مَنْ يعيـــد ؟

ثم بعد أن يصف ما كان له من ليالٍ هناك حديثها الوتر والعود، ويأخذ من صور الطبيعة

مادة لقصيدته ، وقد مرى في فضاء هذا المكان ، والناس نيام والكون هاجع ، يتنقل من مكان الى مكان

حتى إذا دعت النوى فتبـدّد الشمل النضيدُ
بتنـا وما بيننـا بحرٌ ، ودون البحر بيـد
ليـلي بمصر وليلهـا بالغرب ، وهو بها سعيد

فهذه القصيدة وليدة الذكرى التي خطرت ، وهو يمرّ بهذا المكان ، وقد ودّع شبابه ، ومكانٌ كهذا لا يمكن يستعيد فيه الإنسان ذكريات شبابه إلاّ ويعطف ناحية الهوى سواء أكان لهذا الهوى أثر في نفسه أم لم يكن ، وسواء أعبّ من كؤوس الهوى كما يعبُّ الشعراء فتبقى النشوة خالدة أم صبّ منها كما يعبُّ كل إنسان فتمضي النشوة سريعاً ولا تترك أثراً . وإلاّ فأين أثر تلك التي خلفها هناك عند عودته الى مصر ؟

أين أثرها في شعره في مرحلة الشباب ؟

لا شيء ! ولعلّ الغموض الذي كان يحيط بنفس شوقي كما أسلفنا القول في ذلك ، والذي كان يدفعه الى اصطناع الحكمة ، كان يدفعه الى أن يقول هيّناً كهذا في الغزل ليستر به ضعفه في هذه الناحية .

***

لقد عاش هذان الشاعران زمناً ليس بالقليل يصطخبان بضروب من القول في ضروب من ألوان الشعر السائدة في ذلك الجيل ، وكانا يختلفان في أشياء ويتفقان في أشياء ، ويتفرد واحد منهما آناً بناحية ويتفرد الآخر آناً بناحية أخرى ، ولكنهما — لا شكّ في ذلك — كانا يشعران في صميم نفسيهما بأن هذا لا بد منه لذاك ، وان التنافس الذي كانت تخلقه بعض الظروف بينهما ضرورة لكيانهما حتى انتقلا من هذه الدار ، وقد تركا فيها أثرهما للأجيال تروة تفحص وتمحص بيد النقد البريء ، بعد أن نفضا أيديهما من الدنيا ، ونفض الناس أيديهما من الرياء لهذا أو ذاك .

مصر كامل الصيرفي

هل يكفي الخروج

من كتلة الاسترليني

لتحقيق استقلال مصر المالي (١)

سادتي : هل يكفي الخروج من الكتلة الاسترلينية لتحقيق استقلال مصر المالي ؟

هذا هو السؤال الذي أحاول أن أجيب عنه في هذه المحاضرة . وأبادر فأقول إني لم أكلف نفسي معالجة هذا الموضوع الخطير ثقة مني أن في استطاعتي معالجته . وانما هي خواطر من حق وحق كل مصري أن يبدي أمثالها ليساهم بها في حل المشكلة التي نعانيها جميعاً سواء كنا اقتصاديين أو غير اقتصاديين فنيين أو غير فنيين، فمن سوء الحظ — أو حسن الحظ — أن الجميع سواء أمام مشكلة اليوم .

لست أنا إذن بمحاضرة اقتصادية فنية . ولكني فقط استعمل حق كمصري في معالجة مشكلة يعانيها كل مصري .

وعند تناول الشؤون المالية يجب أن نتجرد من أي عامل سياسي أو عاطفي ، سيما ونحن في هذا النادي الذي يعتبر بحق الندوة الفنية للشؤون الاقتصادية، فهنا تبحث المسائل من ناحيتها الفنية فقط دون التفات للاعتبارات الأخرى فالحكم في مسائل المال يبنى على المصلحة وكما هو في حالة الفرد هو كذلك في حالة الأمم . ولا شك أن المنازعات التي توجد بين الأمم ما هي إلا من أثر السعي لتحقيق المصلحة المادية لبعضها فهي الهدف الذي ترمي إليه كل دولة

قرأنا عن سياسة الحكومة الخاصة بالنقد وهي فيما ترمي اليه من العمل على تحقيق استقلال مصر المالي تتفق في غايتها وما يصبو اليه كل مصري

إن الذي يشغل الأذهان الآن هو هل أفادت مصر من قرار الخروج من كتلة الاسترليني وهل يعتبر هذا القرار محققاً لاستقلالنا المالي، وهو الزعم الذي تبادر الى أذهان الكثيرين عند ما تلقوا خبر خروج مصر من كتلة الاسترليني

لكي ندرك أن هذا القرار يعني أو لا يعني استقلالنا المالي، يحسن أن نعرف ما هو الاستقلال المالي وما هي شرائط تحقيقه .

---

(١) محاضرة ألقاها الاستاذ احمد عثمان بك بنادي التجارة الملكي بمصر مساء الاحد ١٢ اكتوبر ١٩٤٧

يمكننا أن نعرّف الاستقلال المالي تعريفاً سهلاً بسيطاً بأنه الحالة التي يمكن فيها للسلطات القائمة على مراقبة النقد والائتمان اتخاذ الوسائل اللازمة لتحقيق التوازن في البناء الاقتصادي والمالي للدولة بكل حرية واستقلال .

والاستقلال المالي لدولة ما لا يكون بمقدار ما لتلك الدولة من ديون على الغير أو حتى ما لديها من احتياطات ، وانما يجب أن يكون هذا الاستقلال مدعماً ومستنداً الى ثروة حقيقية متجددة ناشئة عن الانتاج المستمر — فليس غنياً من يملك عشرة آلاف جنيه كرأس مال لا يؤتي ثمراً إذا أنه بعد عدد من السنين قلّ أو كثر سينفد ماله ويتركه معدماً — ولكن الذي يمكنه أن ينتج ألفي جنيه سنوياً يمكن اعتباره غنياً .

ومثال ذلك بين الدول سويسرا التي تكاد تكون فقيرة في معظم الموارد الطبيعية — ولكنها عوّضت هذا الفقر بفضل بالغ من نشاط أهلها واتقانهم لصناعاتهم مما جعل لمنتجاتها شهرة عالمية ومكنها من أن تستورد الصلب من انجلترا ثم تصدره اليها في شكل آلات دقيقة الصنع بأعلى الأثمان — فطن الصلب قنطاره سويسرا مثلاً بعشرين أو خمسة وعشرين جنيهاً من انجلترا ولكنها تحوّله الى ساعات جميلة ودقيقة تبيعها الى انجلترا نفسها وغيرها من بلدان العالم نظير آلاف الجنيهات .

هذه هي الثروة الحقيقية — ثروة الانتاج ، أو بعبارة أخرى المقدرة على الانتاج . ويقيس الاقتصاديون مقدار ثروة بلد ما بمقدرة هذا البلد على الانتاج .

فثروة الانتاج هي الأساس الذي لا يمكن بدونه تحقيق الاستقلال المالي وقد دلت التجارب على أنه لتحقيق الاستقلال المالي يجب أن تكون هناك اداتان :

الأولى : غطاء قوي للنقد — والقوة هنا تقاس بقابليته للتحويل الى عملات أخرى .

والثانية : بنك مركزي يكون له من السلطة والاحترام ما يمكنه من الاشراف على توجيه سياسة الائتمان الداخلي .

أما البنك المركزي فهو مسألة قد أثير بحثها مراراً ولم يعد هناك محل لتكرار الكلام فيها ولكني فقط أود أن أنبه الى فكرة سيطرت على أذهان الكثيرين وهي ان البنك المركزي معناه تأميم البنك الأهلي .

والواقع ان التأميم لا علاقة له مطلقاً بوظيفة البنك المركزي ، فالتأميم سياسة جديدة نادت بها في السنوات الأخيرة بعض المبادىء الاشتراكية ترمي بها الى سيطرة الدولة على المرافق العامة سواء كانت مناجم أو سكك حديد أو بنوكاً حتى التي لا تقوم منها بوظيفة البنك المركزي .

وقد قام بنك انجلترا بوظيفته كبنك مركزي خلال السنوات الطوال دون أن يكون مؤمماً ولم يطبع بهذا الطابع الا من عام تقريباً نتيجة تنفيذ سياسة العمال الاشتراكية.

وسواء أتمت الفكرة بتأميم البنك الاهلي أم بانشاء بنك جديد أم بتحويل بنك آخر إلى بنك مركزي، فالمهم لدينا أن يوجد هذا البنك وان يكون من القوة والمكانة بحيث يمكنه أن يؤدي بكفاءة الوظائف المفروضة على البنك المركزي.

ولنتكلم الآن بشيء من الايضاح عن الغطاء النقدي.

فالمعروف ان الغطاء قد وجد عند اسدار البنكنوت بدلاً من التعامل بالنقد المعدني لكي يعطي الثقة للمتعاملين، وليكنه تدرّج مع الزمن لكي يصبح في الواقع ضماناً للدول الاخرى على القدرة على سداد المدفوعات الخارجية.

فاذا كانت صادرات بلد ما أكثر من وارداته فهو ليس في حاجة الى ان يدفع شيئاً الى غيره من الدولار، بل على العكس من ذلك فهو يستقبل اما ذهباً أو عملات يراها جديرة بثقته ويستطيع أن يحولها للبلاد الاخرى فتقبلها.

أما اذا اختلف الوضع بأن كانت واردات ذلك البلد أكثر من صادراته فعليه أن يسدد الفرق إما ذهباً وإما نقداً مقبولاً من البلاد الدائنة.

فما هو حال غطاء نقدنا الآن — أخشى أن يكون غطاء وهمياً أكثر منه حقيقياً، فالغطاء كله فيما عدا بضعة الملايين من الذهب عبارة عن سندات على الخزينة البريطانية وسندات مصرية. فلو أردنا تطبيق وظيفة الغطاء التي شرحناها سابقاً على هذا الوضع لاتضح لنا ما يأتي:

تزيد وارداتنا في الوقت الحاضر على صادراتنا. وكنا نقوم بتغطية الفروق من أرصدة مصر الاسترلينية، أما بعد تجميدها فلا مناص من دفع الفروق بنقد مقبول — والطريقة الطبيعية هي أن يبيع البنك الأهلي المصري من سندات الخزانة المودعة لديه كغطاء للنقد حتى يقوم بسداد المطلوب من مصر، ولكن بمجرد أن يتم هذا البيع يصبح الثمن ضمن الأرصدة المتجمدة وبذلك لا يمكن حتى سداد أثمان مشترياتنا من انجلترا ذاتها.

والمعنى الواضح هو أن الغطاء لا يقوم بالوظيفة المطلوبة منه وبذلك لا يكون غطاء بل وهماً وهذه مسألة يجب أن تولى غاية الاهتمام وان يوضع لها العلاج السريع حتى لا تتعرض اقتصاديات البلاد للاخطار. والعلاج لن يتيسر إلا بتكوين غطاء من عملات محترمة في المعاملات الدولية ويسمح للعتيه المصري ان يكون مستقلاً من الاسترليني.

هذه هي الدعامة التي يجب ان تقوم عليها سياستنا المالية ولا يمكن انتظار أي استقرار

لعملتنا ما لم نشرع في الحال في تكوين هذا الغطاء مهما استرجب منا من تضحيات ومهما تطلب من جهود

والطريقة الاولى وهي الطريقة التقليدية التي هي العمل على زيادة الصادرات وانقاص الواردات على ان يكون ذلك طبعاً بقصد الحصول على أكبر قدر ممكن من العملات الصعبة

ولكني أود ان أوجه النظر لدقة هذا الموضوع من حيث تأثيره على الأسعار فان من نتائج تقييد الواردات ارتفاع الأسعار في الداخل مما يترتب عليه زيادة حالة التضخم الموجود والذي نشكو منه الآن ويزيد في المتاعب التي يعانيها ذوو الدخل الثابت

لذلك يجب ان يصاحب هذه السياسة العمل على تخفيض الأسعار أو على الأقل تثبيتها واذا أريد التكلم في سبيل ذلك فالمجال هنا أضيق من ان يتسع للاحاطة بكل شيء وإنما لا يسعنا إلا أن نشير اليها واثقين من ان ذلك لن يفوت رجال ماليتنا.

ولما كان تكوين غطاء كاف بهذه الوسيلة وحدها سيتطلب سنوات عديدة حيث ان حرمان البلاد مدة الحرب من كثير من الواردات في حين كثرت النقود المتداولة مما يتطلب بضائع لامتصاصها، نقول إن هذه العوامل تحد كثيراً من قدرتنا على ايجاد فائض محسوس بين صادراتنا وواردانا.

هذا أعرض اقتراحاً أرجو أن يساعد على الاسراع بتكوين الغطاء المطلوب.

قيل إن الحكومة المصرية تقدمت الى الحكومة الأميركية بطلب قرض مقداره ثمانية وثمانين مليوناً من الدولارات لاستعماله كغطاء لنقدنا وان الحكومة الأميركية اعتذرت من عدم اجابة الطلب بحجة انه لم تجر العادة بالاقراض لمثل هذا الغرض.

إننا نقوم الآن بشراء الآلات والمعدات اللازمة لكثير من المشروعات الانشائية كمشروع خزان اسوان، ومشروع مصنع السماد، ومصانع للحرير الصناعي والغزل، كما سنحتاج أيضاً لمهمات كثيرة لمشروعات التعدين التي تبدي الحكومة نحوها اهتماماً كبيراً — ونحن ندفع ثمن هذه المواد من موارداتنا العادية مقابل صادراتنا، وهذه المشروعات تستغرق من الأموال التي نحصل عليها من العملة الصعبة جزءاً هاماً. فلماذا لا يطلب عقد قرض بمبلغ يكفي لتمويل كل المشروعات الحيوية للبلاد وبذلك نخفف من الناحية الاخرى العبء على وارداتنا بما يمكننا من ان نكوّن رصيداً يصلح على مدى سنوات قليلة غطاء قوياً لنقدنا.

لا أظن ان عقد هذا القرض متعذر فسواء أكان ذلك من بنك التعمير الدولي أم من بنك الاصدار الأميركي، أم حتى من الشركات الخاصة فان نوع المشروعات التي ذكرت مما تمنح عدة تلك المؤسسات قروضاً من آن لآخر. وهذه المشروعات بما لها من صفة انتاجية ستساعد

على زيادة صادراتنا من جهة وتقلل من حاجتنا للاستيراد من الجهة الأخرى وبذلك تزيد في ثروة البلاد .

تهتم الحكومة بإعلانها أنها تفضل إصدار المواد المرخص باصدارها بنظير عملة صعبة، ونحن توجه النظر الى أنه لا يجوز أن يكون ذلك عند تساوي الثمن فقط بل يجب أن نأخذ في الحسبان أن قيمة العملة الصعبة في الاسواق الحرة تزيد بين الثلاثين والأربعين في المئة على الاسترليني .

فلو فرضنا أن فرنسا تعرض علينا في طن السكر ١٠٠ جنيه استرليني في حين تطالبه سويسرا بسبعين جنيهاً، فيجب أن نعطي الأفضلية لسويسرا لأن السبعين جنيهاً من الفرنكات السويسرية تساوي في الواقع أكثر من المئة الجنيه من الفرنكات الفرنسية .

وتعلمون حضراتكم أن سعر الصرف المعين بين سويسرا وانجلترا للجنيه الاسترليني هو ١٧ فرنكاً سويسرياً وذلك عن مبالغ معين متفق على صرفه بهذا السعر . أما السعر الحقيقي في الأسواق فهو يزيد قليلاً على العشرة الفرنكات السويسرية وقس على ذلك الدولار .

فنحن من مصلحتنا أن نعمل على اصدار كل ما يمكن اصداره الى مناطق العملات الصعبة، وعلينا أن نطلب سداد أثمان صادراتنا الى غيرها من البلاد بهذه العملات ولو اقتضى الأمر حتى منح اعانة اصدار لنظير الحصول على عملات صعبة .

إن الحكومة تملك مقداراً لا بأس به من القطن ويمكن عند عرضه للبيع أن تتمسك بأن يكون ثمنه بالكامل أو نصف الثمن على الأقل مدفوعاً بالدولارات او الفرنكات السويسرية، ولا مانع في هذه الحالة من أن يكون الثمن الذي يباع به القطن أقل من الثمن الذي يباع به في بورصة الاسكندرية ما دام النقص في حدود الفرق بين السعر الحقيقي للاسترليني والدولار في السوق الحرة .

وهناك مزية كبيرة لا يجوز اغفالها اذا عملنا على الحصول على أكبر قدر من الدولارات ثمناً لصادراتنا وهي أنه في الوقت الذي يمكن فيه تسليم البضائع الأميركية في الحال أو بعد مهلة معقولة فان المصانع الانجليزية لا تبدي استعداداً لتوريد معظم الحاجات الضرورية قبل مضي سنتين أو ثلاث، وكثيراً ما يحدث عند انتهاء الأجل أن يعد ثانية مع الناس مختلف الأعذار .

والحقيقة أن انجلترا تؤثر توجيه صادراتها الى مناطق العملة الصعبة وتعمل على تقليل ما تصدره للبلاد التي لا تدفع إلا جنيهات استرلينية أو خصماً من ديونها عليها .

هذه هي بعض السبل للحصول على غطاء قوي لنقدنا يقبل في المعاملات الدولية ويجعل

لعملتنا هدأة في الأسواق العالمية ولا يمكن أن نأمل في تحقيق استقلال مالي بدون أن نقدم أولاً وقبل كل شيء على هذه الخطوة، اما أن نقول أن الخروج من منطقة الاسترليني معناه الاستقلال المالي . أو حتى أنه يخطو بنا خطوات في هذا السبيل فهو ما سأتناوله هنا ببعض التفصيل — وفي الواقع قد تساءلت أنا وغيري عما اذا كان قرار الخروج من منطقة الاسترليني بدون اتخاذ الخطوات الأخرى التي أسلفت ذكرها وبدون الاستعداد الكامل في جميع النواحي — هل القرار بهذا الشكل يخطو بنا فعلاً الى هدفنا وهو الاستقلال المالي .

استمعت هنيا واستمع الكثيرون الى المحاضرة التي تفضل بالقائها في هذا النادي من أسبوع سعادة محمود الدرويش بك . وكنا نتوق أن نخرج منها بإجابة على هذا السؤال — وقد حاولت جهدي أن أستنفد المزايا التي حصلنا عليها من هذا الاجراء وأخشى ألاّ أكون قد وصلت لأية نتيجة .

وأول ما تبادر الى ذهني هو التساؤل عما اذا كان وجودنا ضمن منطقة الاسترليني يتعارض مع استقلالنا المالي المنشود . فنحن نرى من بين البلاد التي ذكر سعادة الدرويش بك أنها منتمية لكتلة الاسترليني بلاداً مستقلة تماماً سواء في أمورها السياسية أو في أمورها المالية . ومثال ذلك بورتغال والدانمرك وغيرهما .

والواقع أن انشاء هذه الكتلة كان مبنيًا على وجود مصالح تجارية خاصة تربط البلدان المنتمية اليها بعضها ببعض أو بواسطة العقد وهي بريطانيا . فهناك مصلحة لكل بلد على حدة في هذا الانضمام . ولم يقل أحد أن استقلال الدانمرك أو البرتغال كان مدعوماً بأية غنائية لأنها منتمية لكتلة الاسترليني . كنا نود أن نعرف الفوائد التي عادت على مصر من هذا القرار وفي هذا الوقت بالذات . وقبل أن يبحث موضوع عملتنا بأكمله من حيث الغطاء وقيمته في المبادلات الدولية وما زلنا نبحث عن يهدينا الى تلك الفوائد التي عجزنا عن تبينها .

من الأسباب التي ذكرت أن ترك منطقة الاسترليني كان ضروريًا لإنهاء مراقبة على النقد وعلى الواردات والصادرات . فهل لم يكن من المستطاع انهاء هذه المراقبة ونحن ضمن كتلة الاسترليني .

لقد تلقينا الجواب على ذلك فيما أورده سعادة الدرويش بك في صدد محاضراته هذا في الأسبوع الماضي عندما ذكر أن نيوزيلندا وهي من أقدم الدول المنتمية لكتلة الاسترليني والتي لا شك أن الروابط التي تربطها ببريطانيا أقوى بكثير من الروابط التي تربطنا معها . يقول سعادته أن نيوزيلندا كانت تباشر هذه المراقبة من سنة ١٩٣١ أي حتى قبل قيام الحرب الأخيرة وندوه الضرورات الملحة لفرضها في سائر الدول تقريباً .

وكانت دتركت واستورنيا ولتوانيا تشرف مثل هذه الرقابة . ومعنى هذا الكلام الواضح أن البقاء في كتلة الاسترليني لم يكن ليمنع اطلاقاً مباشرة هذه الرقابة .

والعراق وهو ما زال منتمياً الى هذه الكتلة أنشأ هذه الرقابة وهو يمارسها الآن ، بل لو كانت مصر قد بقيت لما كان هناك مناص من فرض هذه الرقابة فالمعلوم أن هناك مبالغ لا يمكننا تجاوزها في مشترياتنا خصماً من الأرصدة الاسترلينية ، فكان من المحتم ايجاد الأداة التي تمكن من حصر العمليات وضبطها .

بقي اننا نحن الذين لم نعرف الأسباب الداعية الى هذا القرار قد رأينا أشياء توحي لنا — حسبما يصل اليه فهمنا — بأنه لا يتفق تماماً مع ما يسعى اليه رجال الحكومة من تحقيق استقلالنا المالي ، بل نخشى أن يكون قد عاد علينا ببعض الضرر .

ان في منطقة الاسترليني ارتباطاً يتيح لكل دولة داخلة في نطاقه أن تحصل على حاجاتها الضرورية سواء أكانت من منطقة الاسترليني أم العملة الصعبة . وفي الوقت الذي كانت فيه موارد مصر من العملة الصعبة لظير صادراتها الظاهرة والخفية لا تتجاوز العشرة الملايين من الجنيهات كانت مصر تحصل على حاجتها من الأعمدة ومراد الوقود والحبوب من منطقة الدولارات مما يزيد على الضعف أي حوالي ١٤ مليوناً من الجنيهات .

وكانت حصة مصر طبقاً لاتفاقية العملة الصعبة في سنة ١٩٤٥ تبلغ ١٢ مليوناً من الجنيهات من العملة الصعبة فضلاً عن الوقود والسماد والحبوب — وكانت الاتفاقية تنص على تخصيص ٣ ملايين جنيه لنفقات البعثات الدبلوماسية المصرية واعضاء المؤتمرات والمسافرين وغير ذلك من المصروفات غير المنظورة — أما التسعة الملايين الباقية فخصصت لاستيراد مواد معينة بالذات أدرجت بها كشوف ، على ان تستوفي مصر باقي حاجاتها من منطقة الاسترليني وكان من شروط الاتفاقية انه في حالة عدم امكان الحصول على بعض المواد المفروض توفرها في منطقة الاسترليني ان تمكن انجلترا مصر من استيرادها من مناطق العملات الصعبة وان تزاد حصة مصر من تلك العملات تبعاً لذلك .

أما الآن فيخشى أن تواجه مصر ضيقاً شديداً ازاء مطالبة مصدري البترول بضرورة تقاضي أثمان بضائعهم بالدولارات ويبلغ ثمن البترول اللازم لمصر حوالي ٦ ملايين من الجنيهات . ذلك في حين أننا لو بقينا داخل الكتلة كنا نستطيع سداد هذا المبلغ بالجنيهات الاسترلينية طبقاً للنظام وهو النظام الذي وضع أثناء الحرب والذي يقتضاه تتمكن كل دولة داخل منطقة الاسترليني من سداد اثمان وارداتها من البترول بالجنيه الاسترليني سواء أكان

ذلك البترول وارداً من منطقة الدولار أم من منطقة الاسترليني .

ونحن مطالبون كذلك بسداد أثمان ما يلزمنا من الحبوب بالدولارات

أما السماد فانه طبقاً لاتفاق مع شركة شيلي وضع وقت وجودنا بكتلة الاسترليني يمكن سداد الثمن حتى يوفيه القادم بالجنيهات الاسترلينية . ولكن المستقبل غير معلوم .

أيدهش الانسان بعد ذلك اذا ما كان الانجليز قد وافقوا ان لم يكن قد رحبوا بخروج مصر من كتلة الاسترليني حتى يزول عن كاهلهم هذا العبء الذي لا يسرهم بطبيعة الحال حمله في الوقت الحاضر

للانسان ان يتساءل ما الحكمة في ان انجلترا كانت تحتمل عنا هذا العبء الثقيل علينا

الواقع ان ذلك ما كان مطلقاً تفانياً في حبنا وانما كان في أثناء الحرب ارضاء لشعب يهمهم المحافظة على حرياته . كانت انجلترا اذ ذاك في أشد الحاجة الى السلع والخدمات من مصر وكان الحصول عليها هو السبب الرئيسي في تجمع الأرصدة الاسترلينية في لندن . ففي تلك الحالة كان يهم الانجليز ان يمد مصر شيء من الرخاء وان كان وهميا إذ ان انجلترا أخذت باليسار أضعاف ما أعطته باليمين .

اما بعد الحرب فانها ما كانت تستطيع ان تعاملنا وحدنا دون سائر الدول المنتمية لكتلة الاسترليني معاملة شاذة تظهرها أمام العالم بمظهر الظالم المتعدي وهو الشيء الذي تحرص انجلترا كلما أمكنها ذلك على تغطيته . كما ان أميركا وهي المصدر الأول للدولارات وقد نصبت نفسها حكماً بين دول العالم ما كانت لتوافق على استثناء مصر وحدها من اتفاق معقود مع جماعة من الدول

اما الآن وقد تركت مصر هذه الكتلة بمحض اختيارها فقد أواحت انجلترا مرواجب بغيض اليها . كما ان قرار الخروج من كتلة الاسترليني تم في وقت لم تكن الاداة المكلفة بتنفيذ القانون قد أنشئت . وان مراقبة الصادرات والواردات زادت مهمتها اضطلاعاً صناعة فبعد ان كان عملها مقتصراً على منطقة العملات الصعبة أصبح يشمل جميع صادرات مصر وواردتها

والواقع ان قانون الرقابة على النقد صدر عشية اليوم المعين لتنفيذه وترتب على ذلك ان التعليمات والاستمارات اللازمة لم تكن قد وضعت، فمضت أيام كثيرة لم تتمكن فيها البنوك من فتح اعتمادات مما فتح للمضاربين بأن ينشطوا في نشر الاشاعات عن عدم امكان استيراد بضائع . وقد أدى ذلك الى ارتباك في الأسواق وارتفاع في أسعار المواد المستوردة والمصنوعة محليًّا على السواء

هذه بعض النتائج التي لمسناها كأثر لقرار خروج مصر من كتلة الاسترليني في هذا الوقت في

حين لم نستطع أن نلمس فائدة واحدة وما زلنا نتطلع لمن يشرح لنا تلك المزايا التي غاب عنا ادراكها

ويهمني أن أتساءل أخيراً هل حقيقة أننا خرجنا من كتلة الاسترليني ، تنص المادة السادسة من الاتفاق الاخير بين مصر وبريطانيا على أن الحكومة المصرية تتعهد بأنها لن تقيد قبول دفع قيمة جميع المعاملات الجارية بالجنيه الاسترليني — ومعنى هذا أنه لا يحق عند ما يعرض شخص ما في الخارج سواء كان في منطقة الاسترليني أو غيرها أن يدفع ثمن الصادرات بالجنيهات الاسترلينية لا يحق للحكومة المصرية أن تعترض . فأين هو الخروج الموعوم من الكتلة .

أما وقد مهدت انجلترا لنا السبيل بخرقها الاتفاق من جانبها فأصبحنا في حل من هذا النص . فليس بعيدنا كثيراً إطالة البحث فيه وعلينا أن نتجه للعمل المنتج .

إن الموضوع من الخطورة بمكان وليست عواقبه مقصورة على فرد أو أفراد ولا على طبقة حاكمة أو محكومة إنما هو أمس بمصالح جميع أفراد الشعب ويتعلق به مستقبل مصر بأجمعها من الناحية المالية .

لذا فاننا نرجو أن يكون أول ما تتجه إليه الآراء الآن هو حشد جميع المشتغلين بالمسائل المالية من رسميين وغير رسميين وأن نعرض عليهم جميع هذه المشكلات ليضعوا لها دستوراً يكون هو السياسة القومية التي تسير عليها البلاد بدون نظر لتغيير الحكومات أو الأشخاص القائمين على توجيه السياسة المالية ، وبذلك نأمن العثار وتكون خطواتنا بعيدة عن مواطن الزلل . إسمحوا لي وقد تناولت عدة موضوعات متشابكة أن ألخص في بضع كلمات ما رميت إليه بهذه المحاضرة .

أولا — إن الخروج من منطقة الاسترليني بذاته لم يقدم لنا شيئاً في سبيل تحقيق الاستقلال المالي .

ثانياً — إن دعامتي الاستقلال المالي هما الغطاء القوي القابل للتحويل والبنك المركزي القادر على توجيه سياسة الائتمان لمصلحة البلاد .

ثالثاً — إن السبيل لتكوين الغطاء هو أن نزيد صادراتنا لمنطقة الدولار وان نقلل من وارداتنا مع العمل في الوقت نفسه على تخفيض الأسعار في الداخل .

رابعاً — عقد قرض لتمويل المشروعات العمرانية حتى يساعدنا ما نصرفه عليها الآن في تكوين الغطاء .

خامساً — تكليف هيئة من الرجال المشتغلين بالمسائل المالية درس مركز مصر المالي ووضع سياسة طويلة الأمد تكون دستوراً لنا في الشؤون المالية .

صابون الحرب

أصلح وسيلة لخفض أسعار الصابون العادي

ذكرت في سياق مقال على « المخترعات الحربية في الحياة المدنية » [1] ان الصابون الحربي صالح لكل الأغراض والأجواء ، حارًّا كان الماء أو بارداً أو أجاجاً أو فراتاً ، فيصلح لغسل الأيدي والوجوه والاستحمام والحلاقة وغسل الملابس وأجزاء الأجهزة » .

ولما كانت العائلات جميعها ، غنيُّها ومتوسطها وفقيرها ، أصبحت تشكو ارتفاع أسعار الصابون العادي رأيت التوسع في وصف الصابون الحربي ، لنصير على بينة من أمرنا ، عندما ينتشر بين ظهرانينا في القريب العاجل ، فيحدث بلا شك تنافساً شديداً في الأسواق المحلية فينبغي إذن بحث الأمر من وجوهه جميعها فيما يلي : —

جاء في كتاب الصناعات والصناع ، الذي ترجمته عن الانكليزية وأصدرته في سنة ١٩٢٦ في فصل بعنوان الصابون : —

ابتدع قدماء الأغريق والرومان ، الصابون واستعملوه في زمانهم ، كما إنَّ كثيرين من الأقوام الذين نعتبرهم متوحشين ، لديهم عدة مواد ، تقوم لهم مقام الصابون عندنا . قلت « ولعلَّ المؤلف يقصد بذلك شجرة الصابون ، وهذه تزرع في المنطقة الحارة ، وقد سميت بهذا الاسم لأنَّ أوراقها ترغي رغوة كالصابون ، تنظف المواد الدهنية ، وقد تستعمل هذه الأوراق بدل الصابون وذلك في أمريكا الجنوبية » .

ومن الأشجار الصابونية ، شجرة عرق الحلاوة واسمها العلمي Saponaria Officinalis وهي بالإنكليزية Soap-wort وكذلك شجرة كستنا الخيل أو الشاه بلوط لأن في ثمرها خاصية الصابون فتستعمل بدلاً منه في بلاد أرياف أوربا .

ومضى المؤلف الانكليزي فقال « ونحن معشر الانكليز ، نفتخر بكوننا أكثر البرية

(١) راجع مقتطف ديسمبر سنة ١٩٤٥

نظافة ، على وجه البسيطة ، غير أنّ في هذا الزعم بعض المغالاة ، لاننا نعرف شعوباً كثيرة تعدّ حقيقةً في أسمى درجات النظافة وبالاخص أهالي شبه جزيرة ملايا ، أولئك الذين يقطنون غالباً بضفات الانهر ، حيث يستحمون مرتين كل يوم . وربما أكثر من ذلك . ولا يخفى أن الماء أعظم ما يفتقر إليه طالب الاغتسال ، وإذا ما أضيف إليه ، الصابون ، كان له خير معوان على إزالة الأدران » .

والصابون كما جاء في معجم المنجد « مركب من الزيت والقلي ، يغسل به . والكلمة فارسية عربيها الغاسول . والصابونية « عرق الحلاوة » نبات يؤخذ منه نوع من الغسول ، يغسل به » .

وجاء في نبذة بقلم آنسرت بمجلة المفتاح في جزئها المؤرخ في ١٥ سبتمبر سنة ١٩٠٩ ما يأتي : —

تنمو بعضها بجانب بعض في إقليم فلوريدا بالولايات المتحدة الاميركية ، أشجار تسمى أشجار الصابون والشحم « فأشجار الصابون وحدها تنتج محصولاً يصنع منه أنقى أنواع الصابون الممكن صنعه في العالم .

وفي الحقيقة أن حبوبها صابون طبيعي ذو رغوة تشبهها في الصابون الصناعي . ولعظم منافع أثمار أشجار الصابون ، قد انتشرت انتشاراً كبيراً في كثير من أرجاء العالم حتى أنه يمكن الحصول عليها من بلاد الجزائر وبلاد الصين وأما محصول أشجار الشحم فيدخل أيضاً في صنع الصابون فيتكوّن منهما معاً صابون جيد . ويستخرج من أثمار شجر الصابون « غير الصابون » زيت لذيذ الطعم حدًّا . ويقال إنه متى عرفت منافع أشجار الشحم معرفة تامة استخرج منها أيضاً زيت لذيذ ينتج أرباحاً كثيرة » .

وقلت في سياق مقال عن (الباباز ثمر عجيب) (١)

ويجعل ثمر الباباز النيء « غير التام النضج » وورقه الأخضر كصابون لتنظيف الثياب ويستعمل أهل بارجواي ورق الباباز بديلاً من الصابون . »

ويقال إن الصابون اشتق اسمه من مدينة ساڤونة القريبة من جنوه من أعمال إيطالية .

(١) راجع مقتطف يونيه ١٩٣٥

وذلك أن زوجة صياد سمك من أهل تلك المدينة ، كانت قد سخّنت ماء البحر وعاء كان مشبعاً بزيت الزيتون ، فتكشف لها ذلك المركب بمصادفة . ويعتقد فوج من العلماء أن الصابون كان مجهولاً عند الشعوب القديمة . ولكن ثمة مستند كتابي ، ينفي هذا الاعتقاد كما تقدم القول ، في صدر هذا المقال .

وفي العصور القديمة كانت الناس تدهن أجسامها بزيت الزيتون ، وتستعمل حصارات النباتات المختلفة ورمادها مقرونة بالطين الاصواني ، في أغراض التنظيف .

وذكر پلني المؤرخ الروماني في القرن الأول بعد الميلاد ، صنفين من الصابون هما الصلب والرخو . وقال إنهما من مخترعات الغاليين « التي تكسب الشعر لوناً لامعاً » ، وأثبت أن الصابون يصنع من الشحم والرماد . وان أجود أصنافه ما يركب من رماد خشب الزان وشحم الماعز ، وقد عثر المنقبون في خرائب مدينة پومپيي الأثرية على مصبنات ، فاستدلوا من ذلك على أن تركيب الصابون كان معروفاً بلا جدال عند قدماء الرومان .

قلت « وتنظيف الأيدي من الأوضار بالغرين ، عادة ما زالت مألوفة في حقولنا المصرية عند الفلاحين » .

وجاء في احدى الصحف المحلية في صدد مخترعات الحرب العالمية الثانية ومن ضمنها صابون الحرب ما يأتي :

كشف علماء الحلفاء ، النقاب عن كثير من الأسرار الحربية الألمانية ، مما شيوفر على الحلفاء ملايين الجنيهات الاسترلينية التي تنفق في سبيل البحوث العلمية . ويدل ما كشف على أن اختراع الألمان كان يسبق مقدورتها على تحويل النظريات الى مصنوعات وقد استفاد الحلفاء من بعض هذه الاختراعات كثيراً واستخدمت في حرب الباسفيكي. وظهر أن الألمان تقدموا كثيراً في بحث مسألة القنبلة الذرية وفي انتاج « الماء الثقيل » ولكنهم كانوا يفكرون في قذيفة يسيرها طيار واحد تستطيع أن تقطع ثلاثة آلاف ميل . ولكن واضع تصميم هذه القذيفة كان يتوخى استخدامها في شؤون التجارة كذلك لنقل الركاب عبر الاطلنطي في ١٧ دقيقة .

وكان الألمان يعملون بطريقة جديدة لانتاج أنواع جديدة من غازات الحرب . وكانوا

يرجون أن تكون أشد فتكاً من أية مادة كيميائية ظهرت حتى الآن .

وكانت لديهم مشروعات مفصلة بشأن السفن الحربية من طراز ممتاز حديث ، منها غواصات ذات سرعة أكبر منها في الغواصات الحالية تحت الماء ، ومقدرة أكبر على تحمل الأعمال الحربية تحت سطح الماء . وكشف الألمان طرقاً جديدة لاستخراج كثير من المواد الصناعية مثل استخراج الكحول والزيدة الصناعية ووقود الطائرات والصابون والبنزين من الفحم [1] كما كانت لديهم تصميمات لأنواع سرية مختلفة من المدافع وآلاتها . واشترك البريطانيون والأميركيون في كشف هذه الأسرار . ولا تقتصر التقارير التي وضعوها على تكييف السياسة التي ستتخذ لمراقبة ألمانيا بل ستؤثر في التحول الصناعي والعلمي كذلك » .

ووصفت إحدى المجلات العلمية الأميركية التي وردت علينا حديثاً ، صابون الحرب فقالت : —

الصابون عامل كيميائي من أقدم العوامل التي تعاون على الترف . وقد أصبح الآن يلاقي منافسة عنيفة من المواد الكيميائية المنظفة التي اخترعت حديثاً ، وهي الصالحة للغسل على أحسن ما يرام ، عسراً كان الماء أو يسراً أو ملحاً بارداً .

وكان الغرض من اختراعها في بدء الأمر ، مواجهة مشاكل صناعية معينة ، هي التي لم يقوَ الصابون على تلافيها . فانتشر انتاجها واستعمالها في هذه الآونة انتشاراً كبيراً أفضى الى خفض أسعارها خفضاً كان من شأنه اقبال ربات البيوت على استعمالها في أغراض التنظيف كافة ، تنظيفاً يتعذر على الصابون أداؤه على أحسن وجه .

وتصلح هذه المنظفات الصناعية الكيميائية للغسل دون احداث تحبب بغيض يستقر على الثياب أو في أوعية الغسل . وهذا عدا تأثيرها تأثيراً صالحاً في الملابس الصوفية . ثم إن استعمالها في البيوت يؤول الى تخلص ربانها من (الحلقات) التي تتخلف عن الصابون العادي . وذلك في مراكن الغسل « الطشوت » وفي بالوعات الحمامات والمطابخ ، كما يسهل تنظيف الأطباق وذلك لأنها ذات خواص فائقة لازالة الأدهان . وهذا عدا كون المواد

(١) راجع مقتطف مايو سنة ١٩٤٣ وغيره من الاجزاء

المنظفة تصنع على أنواع مختلفة ، فتكون إما سائلة وإما مجيلية القوام كمعجنة لتنظيف الأسنان ، وإما مركبة تركيباً صالحاً لتنظيف أواني اللبن ومنتجاته ، كما تنظف المادة مما يعلق بها من الأدران .

ومما ينبغي ذكره في هذا المقام ، أن المانيا كانت أول دولة ، اخترعت المواد الكيميائية المنظفة . وذلك عقب وقوف رحى الحرب العالمية الأولى ، وهذا يطابق ما تقدم ايراده ». ثم عمَّ استعمالها صناعياً ولاسيما في مبادين المنسوجات في بلاد الولايات المتحدة الأمريكية وذلك منذ سنة ١٩٣٠ .

أما قبل الحرب العالمية الثانية فكان المخترع منها أصناف قليلة فاستفدت في خلال تلك الحرب لشدة الاقبال عليها من جانبي الأسطولين الحربي والتجاري الأمريكيين . وكان مستعملوها حينئذ يسمونها «صابون ماء البحر» إذ كانوا يتخذونها وسيلة للتنظيف في وحدات المغاسل المتنقلة ، التي كانت كثيراً ما تحل في مراكز المياه العسرة والأراضي الوعرة ، ولغيرها من أمثلة الأغراض الصناعية .

وأحدث أصناف المنظفات الصناعية الكيميائية يؤلف من أنواع شتى من المواد الكيميائية وتسمى (صناعية) لأنها اخترعت نتيجة لمباحث كيميائية عصرية . على حين أن صناعة الصابون قديمة العهد . والصابون نفسه تركيب صناعي كيميائي ينتج من تفاعل الصودا الكاوية مع الشحم .

وهذه المواد المنظفة تستطيع أيضاً تفكيك الشحم ، الذي يتعذر بلله بالماء بأية وسيلة أخرى ، فيتحول الشحم الى دقائق صغيرة يمكن تعليقها في الماء ثم جرفها كلية معه على حين أن الصابون العادي ينعقد حبيبات لا تذوب مع الكالسيوم وذلك في المياه العسرة ، كما إنه يُتلف بالمحاليل الحمضية التي قد تحتاج اليها المغسلات والتي تتطلبها أيضاً عمليات الغسل الصناعية . أما المواد الكيميائية المنظفة فكثير منها ، على عكس الصابون ، ذات تأثير نافع في المياه العسرة ، فيتيسر استعمالها في المحاليل التي ليست حامضة أو قلوية .

ويتاح صنع هذه المواد المنظفة أسوةً بالصابون ، إما حبيبات ، وإما رقائق ، وإما سوائل ، كما يتسنى جعل بعضها قوالب للتنظيف والتبرج عامة .

عبد الرحيم بدوي

باب المراسلة والمناظرة

النظائر والطاقة الذرية

كتب صديقي الأستاذ جريس الشرايحة مقالة في « المقتطف » عدد مارس ١٩٤٧ — بعنوان «النظائر وكيمياء النواة » . والتقيت بالاستاذ غير مرة قبل أن يكتب المقالة وبعد أن كتبها ، وتباحثنا في الموضوع ، ولكن كنا نفترق دون اتمام البحث . وخلاصة رأي الأستاذ ما يلي : ما دامت جميع نظائر العنصر تتفق في العدد الذري والطيف والصفات الكيميائية والاجماع ، فلماذا نرى اختلافاً في نتائج نظائر البورانيوم ، أي ان القنبلة الذرية تصنع من النظير (٢٣٥) لا من النظيرين (٢٣٨) و (٢٣٤).. ويعزز الأستاذ قوله بالمثال الآتي : وهو يمكن أن نحصل على ماء اذا مزجنا ذرتين من الهيدروجين رقم (١) ومن نظيريه الديتوريوم أو التريتوريوم مع ذرة اكسجين . ثم يسأل الأستاذ اذا كان هنالك نوعان من الكيمياء ، كيمياء تخص مركبات الذرة الخارجية ، وكيمياء تخص مركبات الذرة الداخلية .

هذا مجمل قول الأستاذ والأسئلة التي أوردها ، ومن أراد زيادة فليراجع مقاله .

لا أريد أن أدخل في تاريخ كشف النظائر ولكن هنالك أمس أخرى علي أن أبينها قبل الشروع في ايضاح المسألة التي نحن بصددها .

والحقيقة ان الوزن الذري لأي عنصر مّا أكبر من العدد الذري . ذلك لأن النواة لا تتركب من بروتونات وألكترونات فحسب — كما كان الرأي سائداً قبل عام ١٩٣٢ — بل هنالك جسيمات أخرى تتركب منها النواة غير ما ذكرنا . ومن هذه الجسيمات النيوترون (الحايد) ، وهذه الجسيمة لها وزن يقارب البروتون ولكنها خالية من كل شحنة كهربائية . هذا ما أردت أن أبينه قبل الشروع في الاجابة على أسئلة الأستاذ .

ان سؤاله فيما إذا كان هنالك كيمياء تتعلق بالذرة وأخرى تتعلق بالنواة أقول : إنه سؤال وجيه لمن أخلقت أمامه معضلات العلم . لقد أصبح معلوماً ان الكيمياء تخص مركبات

الذرة الخارجية أي ما يتعلق بالصفات الخارجية للذرة ، أما النواة وتركيباتها فهذه من اختصاص علم الطبيعة . لأن نواة الذرة تتركب من جسيمات هي في غاية الدقة وهي التي تعين صفة العنصر . فهذه الجسيمات يسري عليها قانون يشبه قانون الجاذبية وقواعد تشبه قواعد الكهرباء . أقول تشبهها لأن القوانين المتعلقة بهذه البحوث لها رموز وأعداد وحلول تخص نوعاً من الحساب خولها فقط لأن قانون الكتل الكبيرة والتيارات الكهربائية الكثيفة لا يسري عليها . اذاً فكل البحوث التي تخص تركيبات الذرة الداخلية هي من خصائص علم الطبيعة ، أما أهمية الكيمياء ، وخصوصاً الكيمياء الطبيعية لا تنكر في أبحاث النشاط الاشعاعي وتجارب تغيير العناصر وميزاتها .

فوجه الشبه الذي قدمه الأستاذ بين مزج ذرتين من الهيدروجين أو أحد نظائره مع ذرة أكسجين للحصول على ماء ، وبين طاقة نظائر البورانيوم المختلفة هو شبه وجه بعيد جداً . لأن مزج الأول هو من خصائص الكيمياء ويمكن فصلها عند الضرورة . ولكن استخراج الطاقة الكامنة من الذرة هي خصائص الطبيعة . لأن الأول هو مزج ذرة بأخرى . أما الثاني فهو شطرها

ولقد أصبح من الجلي ان الذرة لا تتركب من الكترونات وبروتانات فقط ، وإنما هنالك جسيمات أخرى كالنيوترون التي تزيد في كتلة الذرة لأن هذه الجسيمة تعادل البروتون وزناً ولكنها خالية من كل شحنة كهربية ، فخلوها من الشحنة الكهربية جعلها أفضل أداة لشطر الذرة . فلها أهمية كبرى في تغيير العناصر وزيادة النشاط الاشعاعي وهبوطه ، حسب السرعة التي تسير بها . فمثلاً اذا استقر نيوترون واحد في نواة احدى العناصر أحدث من ذلك العنصر نظيراً مستقراً وزاد ترتيبه في الجدول الدوري درجة واحدة ، لأن عدد الالكترونات التي في المحيط هي التي تعين العدد الذري للعنصر كما ان عدد البروتونات التي تحويها نواة الذرة وغيرها من الجسيمات هي التي تعين الوزن الذري للعنصر ، ونحصل على عدد النيوترونات التي تحويها نواة الذرة بواسطة طرح عدد البروتونات من الوزن الذري. لنأخذ مثلاً عنصر البورانيوم الذي عدده الذري ٩٢ والوزن الذري ٢٣٨ للنظير الأول ٩٢ الكترون في الخارج تقابل ٩٢ بروتون في الداخل

إذن : ٢٣٨ — ٩٢ = ١٤٦ نيوترون داخل نواة النظير الأول للبورانيوم

أما النظير الثاني وهو ٢٣٥ — ٩٢ = ١٤٣ « « « « « الثاني «

وهكذا . فالنظائر تختلف باختلاف عدد النيوترونات التي تحويها النواة . وأبسط مثال على ذلك هو الديتوريوم الذي نواته تحتوي على نيوترون واحد وبروتون واحد وهو المعروف بالهيدروجين الثقيل وان الماء المصنوع منه لا يستحسن شربه ولو ان الأستاذ سوّاه بالماء المعمول من الهيدروجين ذي الرقم (١)

رأينا ان من مركبات القوة الأساسية النيوترون ، ورأينا بعض أهميته في الأبحاث الذرية ولكن حتى أجيب على سؤال الأستاذ الرئيس وهو هل لنظائر اليورانيوم لها نفس الطاقة ، أشرت الى أهمية النيوترون حتى يتسنى فهم ما سيأتي .

١ — عندما يدخل النيوترون الى نواة العنصر يحذف بروتوناً من الذرة . وبما أن الوزن الذري يتبع عدد البروتونات وهو بدوره يقرر العدد الذري فهكذا عند دخول النيوترون وخروج البروتون يترل العنصر مرتبة واحدة في الجدول الدوري بينما كتلته تبقى كما هي نظراً لتعادل وزن النيوترون مع البروتون المحذوف .

٢ — إن دخول النيوترونات الى النواة أحياناً يبعث دقائق ألفا ، وهكذا فالعنصر الحاصل بعد هذا العمل يترل عدده الذري وحدتين أقل من العنصر الأصلي ، في الجدول الدوري وتترل كتلته ثلاث وحدات وذلك لأن دقائق ألفا هي ذرات هيليوم أي عدده الذري (٢) ووزنه الذري (٤) أي فيها بروتونين ونيوترون مساوي لكتلة البروتون . اذاً أصبحت الكتلة ثلاث وحدات والعدد وحدتين

٣ — اذا كان دخول النيوترون لم يحدث أي من الأحداث السابقة ، فالنيوترون يتحد مع النواة وهذا يحدث نظيراً أثقل للعنصر الأصلي .

واليك البيان بمعادلات كيميائية للحالات الثلاث السابقة ، في عنصر الألومنيوم

1 — $^{27}_{13}Al + ^{1}_{0}n \rightarrow ^{27}_{12}Mg + ^{1}_{1}H$

2 — $^{27}_{13}Al + ^{1}_{0}n \rightarrow ^{24}_{11}Na + ^{4}_{2}He$

3 — $^{27}_{13}Al + ^{1}_{0}n \rightarrow ^{28}_{13}Al$

وربّ سائل يقول كيف الحصول على مثل هذه النتائج والعنصر هو نفسه في الحالات الثلاث ، له نفس عدد الجزيئات والكمية ؟ والجواب هو ، أنه في الحالتين الأوليين يكون النيوترون سريعاً جدّاً وفي الحالة الثالثة يكون أقل سرعة أي أن سرعتها انتهت في ذلك الموضع فاستقرت هناك . أما إذا كانت سرعة النيوترون أكثر قليلاً فانه يصطدم في النواة مع البروتون اصطداماً مطاطيّاً وهذا النوع من الاصطدام يسبب هبوطاً في طاقة النيوترون ولهذا نجد في كثير من الحالات في شطر النواة استعمال الهيدروجين النقيل ، وذلك لقدرته على الانتشار أكثر من أي عنصر آخر ، كما أنّ فعل البروتونات مع أشعة بيتا لها نفس فعل النيوترونات أي

نيوترون = بروتون + جسيمات بيتا

ولقد سرّنا أن بعض العناصر اذا قذفت بنيوترونات سريعة جدّاً انطلق منها أشعة ألفا كما أنّ بعض العناصر المشعة نفسها تطلق هذه الأشعة . وأشعة ألفا تتفاوت طاقتها حسب العنصر . ولقد كانت هذه الأشعة قبلاً البناء الأساسي لدراسة الذرّة . ومن هذه الأشعة ودراستها انكشف لنا نوع جديد من البحث وهو درجات (استواءات) الطاقة . ولكن اذا اختلفت مقادير سرعة النيوترونات حصلنا على مقادير أعلى من الطاقة — في بعض الحالات — فمثلاً اذا اتحد نيوترون بنواة أحد العناصر فهذا الاتحاد يحدث طاقة عالية تقدر من ٧ — ٨ × ١٠ ألكترون — فولت . واذا حصلنا فعلاً على هذه الطاقة فانها تكون بشكل أشعة جيما .

ولقد دلت التجارب أنّ النيوترون لا يلقى صعوبة كبيرة في اختراق نواة اليورانيوم وذلك لتجردها من الشحنة الكهربائية ، ولنرى ذلك في نظائر اليورانيوم .

نعلم أنّ جميع نظائر اليورانيوم لها عدد ذري واحد وهو ٩٢ ، ونعلم أنّ النظائر تختلف باختلاف عدد النيوترونات التي تحويها النواة . ولنأخذ مثلاً النظير ٢٣٥ ، هذا يحوي ١٤٣ نيوترونا كما أنّ النظير ٢٣٨ يحوي ١٤٦ نيوترونا ، ونرى النظائر تتصرف تصرّفاً يختلف بعضها عن بعض ولهذا نحتاج الى قذائف من النيوترونات ذات سرعة فائقة لاستخراج الطاقة الكامنة في النظير ٢٣٨ والذي يحوي ١٤٦ نيوترونا نظراً لاستقرار نواته ،

بينما تحتاج في حالة النظير ٢٣٥ والذي يحوي ١٤٣ نيوتروناً أي مقذوفات من النيوترونات بطيئة . وهكذا اذا صنعت القنبلة الذرية من النظير ٢٣٨ احتجنا الى أن نركب سيكلترونا في القنبلة لقذفها بنيوترونات سريعة حتى يتمكن من استخراج الطاقة الكامنة فيها .

أما في حالة النظير ٢٣٥ فنحتاج الى نيوترونات بطيئة . وهذا فالقنبلة الذرية تتركب من كربون ويورانيوم ٢٣٥ يفصل بينهما معدن الكادميوم مع مقدار كبير من النيوترونات . وميزة عنصر الكادميوم هو امتصاص النيوترونات البطيئة . وليس عنصر الكادميوم وحده له هذه الميزة ، بل هنالك عناصر أخرى مثل البورونيوم والهفنيوم وخصوصاً الجودالنيوم . وهكذا في هندسة القنبلة الذرية يوضع رقاص ينطلق في وقت معين ويخرج معه أصابع الكادميوم الموجودة في القنبلة . عندئذ يحصل تفاعل النيوترونات مع نوى اليورانيوم ٢٣٥ فتخرج طاقته . لأنه كلما كانت النيوترونات أبطأ كان امتصاص النواة لها أسهل . وقد وجد البحث نوى عناصر أخرى تتفاعل مع النيوترونات البطيئة وتعطي طاقتها مثل البتوتنيوم ، والبلوتونيوم وبعض نظائر الثوريوم ، أما نظير اليورانيوم ٢٣٨ فهو أيضاً يمتص النيوترونات البطيئة ولكنه لا ينشطر بل يتكون نظيراً آخر وزنه الذري ٢٣٩ وقد دعي هذا النظير بلوتونيوم وهذا العنصر له نواة مستقرة ولكن اذا قذفت بنيوترونات سريعة جداً فالانشطار والطاقة حاصلة لا محالة . وهكذا الحال في العناصر ذوات النواة المستقرة فإنها اذا قذفت بنيوترونات سريعة فانها تعطي طاقتها . ومن هنا بدأ التفكير باستغلال الطاقة الذرية في الصناعة .

والآن أجمل القول :

١ — تختلف النظائر باختلاف عدد النيوترونات التي في نواتها

٢ — لا يوجد كيمياء ذرة وكيمياء نواة فالكيمياء تخص الحقل الخارجي للذرة بينما الطبيعة تخص مركبات النواة

٣ — ان استخراج الطاقة الكامنة في نظائر اليورانيوم ممكنة على شرط ان تستعمل قذائف من النيوترونات بسرعات متفاوتة حسب استقرار نواة العنصر أو النظير فمثلاً تحتاج الى نيوترونات ذات سرعة فائقة للحصول على الطاقة الكامنة في النظير ٢٣٨ بينما تحتاج الى نيوترونات بطيئة في حالة النظير ٢٣٥ نظراً لعدم استقرار نواته . فاذا دخل النيوترون الى النواة فطرها وخرجت طاقتها .

القدس فؤاد جميعان

تعليقات أدبية — ردّ على توضيح

قرأت في المقتطف وفي عدد يوليو ١٩٤٧ توضيحاً لشاعر الوادي — محمد الصاوي عمار — حول نقدي للقصيدتين (برلمان الطبيعة، وتلص في الظلام) وكان الشاعر في توضيحه يؤكد على درج همزة الوصل بعد (ال التعريف) مستشهداً بقوله تعالى « بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان » وقبل أن أردّ على قوله ينبغي أن نقول كلمة موجزة عن القرآن الكريم .

القرآن كتاب عربي مبين « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حكيم » نزل تأييداً لدعوة الرسول (ص) ودستوراً لأمته . ولقد سمح الرسول في بدء الاسلام أن يقرأه العرب على لحونهم بما فيها من فتح وإمالة ومدّ وقصر تيسيراً للقراءة وتسهيلاً للناس . وبعد اتساع الفتوح وانتشار العرب اضطربت اللائق ونشأت قراءات غير صحيحة فتجرّد قوم لضبط قراءته فنشأت القراءات السبع المعوّل عليها للقرّاء السبعة وهم « أبو عمرو بن العلاء، وعبد الله بن كثير ، ونافع بن نعيم ، وعبدالله بن عامر ، وعاصم ابن بهدلة الأسدي، وحمزة بن حبيب الزيات ، وعلي بن حمزة الكسائي » وتلي قراءات هؤلاء ثلاث قراءات صحيحة متواترة وهي قراءة أبي جعفر المدني ، وقراءة يعقوب بن اسحاق الحضرمي، وقراءة خلف بن هشام . ومع هذا وعند ما فشا اللحن وخيف على القرآن . ضبط أبو الأسود الدؤلي أواخر الكلم في المصاحف بالنقط بأمكنتها المعروفة الآن ، وكتبها الناس بمداد مخالف . وبعد تغاير أشكال الخط ونعابه أوضاع الحروف والتباس بعضها ببعض كالجيم بالحاء والدال بالذال أمر الحجاج نصر بن عاصم ويحيي بن يعمر تلميذي أبي الأسود فوضعا الإعجام بالمداد الذي تكتب فيه الحروف للكلمة ثم جاء بعد ذلك الخليل بن احمد فوضع الشكل على هذا النمط المعروف ، فحلّ محل نقط أبي الأسود . هذا ما أوجزناه عن كتاب تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات . ومنه نستنتج على أن القرآن لم ينزل محركاً .

وإذا ما رجعنا الى الآية فيسرني أن أخبر (شاعر الوادي) بأني دققتها في (سورة الممتحنة) من المصحف الشريف طبع مطبعة كريمي (بومبي) فوجدت كلمة (الاسم) ساكنة اللام وثابتة الف الهمزة ومكسورتها . فما هو السبب ؟ ان السبب بلا شك ينكشف من قاعدة التقاء الساكنين النحوية . فاذا قلنا (لم يكمل الامتحان) فالهمزة الأولى تدرج وحينئذ يلتقي لامان ساكنان فيكسر الأول ويثبت الثاني على السكون شرطاً ولا يمكن ان يسكن الأول ويكسر الثاني لأنه علاوة على انه ينبو عن الذوق فهو غير مسموع، وإذن فأصبح ثبوت الهمزة بعد (ال التعريف) واجباً وغيره خاطئاً وفي هذا فصل الخطاب . وأما قول شاعر الوادي بأن البيت الثاني فيه تصحيف فحرر المقتطف أدرى به لأن مسودته عنده

ولكني أستبعد التصحيف لأن زيادته كتمان . هذا ما أردنا عرضه للشاعر محمد السماوي عمار، وله منا التحيات.

نقد عروضي

من عادتي ان أقرأ قصائد الشاعر عدنان مردم بك لما تمتاز به من عاطفة جياشة، ومشاعر رقيقة ، وخيال وثاب ، يرود رحاب الفضاء كما رادته حمامته الطائشة في قصيدته المعنونة (الحمامة الطائشة) تلك القصيدة ذات الديباجة السهلة المنظومة على البحر الكامل والتي تكاد تكون مصرعة إذ أن أكثر عروضاتها وأضربها (فعلن) ولكن بالرغم من بنائها الكامل المرصوص وجدت فيها بيتها الآخير مضطرب الوزن وهذا نصه .

أني لأهوى كلّ طائشة ضلت وقد نزحت عن ابكها الجددا

لا شك أن من يزن هذا البيت يجد فيه زيادة هذا الجزء من العجز (ضلت و) كما يجد أن صدر البيت من الكامل وعجزه على حالته الحاضرة من البحر البسيط

ولكي يكون تام الوزن يجب ان يوضع على الوضع الآتي من النظم

أني لأهوى كلّ طائشة ضلّت ـ الى إيلٍ لها ـ الجددا

ووزنه مستفعلن مستفعلان فعلن مستفعلن مستفعلن فعلن

هذا والقصيدة موجودة في مقتطف يونيو لهذه السنة .

ولقد قرأت في مقتطف يوليو لهذه السنة أيضاً قصيدة رائعة بعنوان (فراق) والحق ان القصيدة عبارة عن أنفاس مصطلية بنار لوعة الفراق المحرقة ، لا بل هي دموع سخينة متناثرة على رمال صحراء الفراق المتوهجة ، جادت بها قريحة الشاعر المبدع (محمد فهمي) ولقد التقت نظري غفلة عروضية في هذا البيت وهو من مجزوء الرمل .

« من رأى ؟ ... هول هذا المنظر الداجي ... مطبقاً »

ان نقطة اضطراب الوزن هي في كلمتي (من رأى) إذ أن وزنهما (فاعلاً = فاعلن) غير موجود في حشو الرمل والمدة ليست للهمزة ، بل للألف اللينة الساكنة، ومهما يمدها الشاعر لا يمكن أن تكون (فاعلات) فعليه يجب أن يصحح البيت وليكن فرضاً على هذه الصورة

« من رأى ؟ .. هولاً لهذا المنظر الداجي .. مطبقاً »

ووزنه : — فاعلاتن فاعلاتن — فاعلاتن فاعلاتن

هذه غفلات وددنا التنبيه اليها — وياما أكثر ما تعرض للأديب — يحدونا الى ذلك قول الدكتور يعقوب صرّوف : (وأجل في العلم مناقشة حياة العلم مناقشته)

القرونة — الرائق

بشير السمر

باب الأخبار العلمية

د . د . ت . المخفف

لا يقتل السمك

أثبت تقنيات العلماء الأمريكيين المتخصصين في علم الحياة ، نتيجة تجاربهم الست عشرة الخاصة برش مياه بحيرات وادي تنيسي وبركه بسائل د . د . ت المعروف باسم إيروزول وذلك بالطائرات ابتغاء إبادة ما يوجد فيها من البعوض ، أن تلك المادة لم تقتل السمك ولا أنواع الحيوانات الصغيرة التي تعيش في الماء فيتغذى بها السمك ، بينما كادت تهلك البعوض بأسره . وقالوا إن المزيج الذي استعملوه لتلك الغاية كان بنسبة $\frac{1}{4}$ رطل انجليزي لكل ما كانت مساحته فداناً انجليزياً .

أنابيب من المعجائن الكيميائية [1]

تحل محل الشرايين

أعلن الدكتور ت . ا . هفتاجل الطبيب بنغربوسطن في تقرير قدمه الى كلية الجراحين الأمريكية أنه قد نجح في استعمال أنابيب من مادة البوسيت [2] المصنوعة من المعجائن الكيميائية ، طولها قدر عقدة أصبع ، وذلك بدل قطع ثليمة من الشريان الأبهر « الأورطي » في الحيوانات ، عن طريق تثبيت هاتيك الأنابيب في المواضع الخالية بواسطة غُرَز من خيط حريري مصفور صنع لذلك القصد خاصة . فتبين له عقب إتمام تلك الجراحة ، أن ذلك الشريان المتصل بالجزء البوسيتي ، قد قام بوظيفته خير قيام ، في نقل الدم ، كما يرام . مع كون الجراح المشار اليه لم يلجأ الى الاستعانة بالأدوية الضرورية لمثل هذه الحالة ، ومنها الهيارين [3] والديكومارين اجتناباً لتجمد الدم

(١) راجع مقتطف يوليو سنة ١٩٤٠ (٢) مادة البوسيت هي من مخترعات معمل هادبورن . ومنها تصنع أدوات شتى لسيارات وغيرها (٣) راجع مقتطف يناير ١٩٤٥ باب الاخبار العلمية

البحر الميت وكنوزه[1]

جاء في البرقيات الصحفية من لندن في الثاني والعشرين من شهر يوليو الماضي ما يأتي : —

قال مصدر في الحي المالي بلندن لوكالة الأنباء العربية إن عدداً من كبار المصريين في الاسكندرية ، اشتركوا في المفاوضات التي قيل انها جرت أخيراً لشراء امتياز البحر الميت الذي يمتلكه مستر ميتلند ادواردز. فتوخيت إفادة وصف هذا البحر ومنافعه الاقتصادية فيما يلي افادةً للقراء :

لا يحتاج المستحم ، من الاصدقاء في البحر الميت الى أية أداة كانت ، من أدوات الوقاية من الغرق . لأن ماء ذلك البحر العجيب (الذي تحيط به الأرض من كل جهة ويصب فيه نهر الأردن) محتو على كثير من الأملاح القائمة فيه . حتى أن من يسبح فيه يرى نفسه طافياً على الماء كأنه كيس منفوخ بالهواء . والراقم أنه من الصعب على الاطلاق ، الغطس في الماء غطساً كافياً . لأن ماءه يشتمل على نحو ٢٤ ٪ من الاملاح المختلفة . ويسمّى هذا البحر علمياً « بحيرة الاملاح » وهو واقع في وادٍ عميق بفلسطين وطوله ٤٦ ميلاً ، وعرضه يتفاوت بين ثمانية أميال وعشرة أميال . ولما كان ذلك البحر تحدق به الجبال ، فانه يتميز بميزة غريبة هي كون الجداول تصب فيه من الشرق والغرب والجنوب ، كما يصب فيه أيضاً من الشمال نهر الأردن المشهور جداً في الكتاب المقدس . وليس للبحر الميت منفذ . ومن المحال أن يتفرع منه أي نهر . وهذا أمرٌ بدهي ، لأنه منخفض عن سطح البحر الأبيض المتوسط نحو ١٣٠٠ قدم ، ويمتد عنه نحو ٥٠ ميلاً ، وأقصى عمقه ١٣٠٠ قدم .

وسبب تسميته بالبحر الميت ، كونه محاطاً من كل جهة بأراضٍ جدباء ، ولا تعيش فيه إلاّ قلائل من المخلوقات المائية ، وذلك لفرط ملوحة مائه . ومن الأقوال المأثورة بشأنه ، أنه واقع فوق أطلال مدينتي سدوم وعمورة المذكورتين بسفر التكوين من التوراة . وهما كانتا المدينتان اللتان دمرهما الله تعالى لتفاقم شرور سكانهما . ولكن العلماء يستبعدون ذلك القول . وفي البحر الميت ثروة معدنية وكيميائية لا تقدر بمال ، وقد كشفت عنها جماعة من الكيميائيين البريطانيين الذين نالوا منذ نحو عشرين سنة ، امتياز استغلال تلك الدفائن الثمينة من حكومة فلسطين . وقد قدرت محتوياته من البوتاسا النقية وأملاح البروم والجبس وكلورور المغنيزيوم وغيرها من المواد المفيدة للزراعة والصناعة ، بما

(١) راجع مقتطف ٢ كانون سنة ١٩٢٩ باب الاخبار العلمية .

يعادل ثلاثة أمثال دين الحكومة البريطانية للولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية الأولى ومما يروى في هذا الصدد أن الدكتور جورج كلود العلامة الفرنسي المشهور ، أبلغ حكومته أن البحر الميت ، يحتوي على ذهب يقوم بخمسين بليوناً من الدولارات وهذا عدا ثروته الكيميائية . وأن ثلث ذلك الذهب الابريز ، كما يعتقد الدكتور كلود ، يتاح استغلاله بالوسائل العلمية الحديثة في خلال ١٥ سنة تقريباً .

آلة كهربائية صغيرة للخياطة

اخترعت حديثاً في انكلترا آلة كهربائية للخياطة ، مصنوعة من الأليومينيوم ، تكاد تبلغ حجم آلة الكتابة «تايبرايتر» الصغيرة الممكن حملها من مكان الى آخر . وتقلها ١٥ رطلاً انكليزيًا . وتوضع في علبة من الأليومينيوم أيضاً ، تسهيلاً لنقلها حيث تريد صاحبتها . وعند ما تبلغ بها مكان العمل ، تفتح العلبة وتجعلها كمنضدة لحمل الآلة أيضاً في أثناء الخياطة . وتستعمل فيها كرقاصة بدلاً من (الحذافة) طارة الادارة . ويُطلق الضوء على ابرتها ، من أنبوب من الغازات الكيميائية ، يقوم بحمي الأهمة لكي تضيء منطقة العمل ، ويسيطر على سرعتها ذراع معدني يدور بالقدم .

الراديو المصور [1] في حجر الجراحة بالمستشفيات

تمت منذ بضعة أشهر في مستشفى جامعة جون هوبكنز ، تحت اشراف مندوبي شركة الراديو الأمريكية ، خمس جراحات ، قصد تجربة الراديو المصور بصفة كونه وسيلة من وسائل تعليم طلبة الطب ، حيث استعانوا على تنفيذ رغبتهم بآلتين حساستين جدًا من آلات التصوير التلفوتوغرافي . فنصبت إحداهما على مسند خفيف يعلو منضدة الجراحة علوًا رأسيًا قدره أربع أقدام ونصف قدم . ثم رُكّبت للصورة الثانية ذات العدسة الخاصة بالتلفزة في الزواق الملحق بحجرة الجراحة . وذلك بينما تمّ من قبل ضبط المصورة التي نصبت فوق منضدة الجراحة ، وفتحها فتحاً أوتوماتيكيًا . ثم وضع على المنضدة ميكروفون . فكان ينقل صوت الجراح عند قيامه بمباشرة الجراحة وشرحه لتفصيلاتها ، على حين نصبت عشرة أبواق لاذاعة هاتيك المعلومات الجراحية القيمة فتلقاها ٣٠٠ طبيب . وعلى هذا النمط أصبح متاحاً بالراديو المصور ، اجتناب القيود المادية الخاصة بمدرجات حجر الجراحات وهي التي تجعل مشاهدة الطلبة لدقائق الجراحات ضمن نطاق محدود .

عرض جندي

(١) راجع منتطف ابريل سنة ١٩٣٨

يكتشفون أمريكا الشمالية

قبل كولمبس بقرن ونصف قرن ؟

قام العالم الدنمركي بنشر مولر ببحوث في الشاطىء الغربي من جرينلند ، ونشر عن أبحاثه تقريراً جاء فيه : أنه لا يوجد أثر للمهاجرين القدماء الذين أتوا من اسكندناوه وحطوا رحالهم في ذلك الجزء من جرينلندا ولا يمكن تفسير ذلك الا بأنهم هاجروا الى قارة أمريكا الشمالية قبل رحلة كولمبس بمائة وخمسين عاماً على الأقل ، وبذلك يثبت العالم الدنمركي أن الجنس الأبيض عرف أمريكا قبل أن يكتشفها كولمبس برحلته المشهورة

ويقول هذا العالم ، انه قد حدثت اقامتان في جرينلندا وذلك في القرن العاشر حين هاجر اليها قوم من ايسلندا ، نزل بعضهم على الشاطىء الشرقي وأقام الآخرون في شاطئها الغربي .

وظل النازلون بالشاطىء الشرقي على صلة بأهل أوربا حتى منتصف القرن الخامس عشر تقريباً ، وتدل مخلفاتهم الأثرية على أنهم كانوا يعيشون عيشة صيد وبؤس . اذ تدل هياكلهم العظمية على آثار من سوء التغذية ، والمفهوم أن معظمهم قتلوا ضحايا الاسكيمو .

***

أما أهل الشاطىء الغربي من هذه الجزيرة فيبدو أنهم كانوا يعيشون في رغد وسلام ، ويظهر أنهم كانوا يختلطون بأهل الاسكيمو اختلاطاً كبيراً .

وليس هناك أثر يدل على أنهم كانوا يقتتلون ، أو أن مزارعهم كانت تذهب طعمة النيران ، ومع ذلك فان بعثة انقاذ ، زارت هذه المنطقة التي كانوا يعيشون بها عام ١٣٧٠ فلم تعثر على أثر لهم وكانت الماشية تضرب في الحقول فتأن الوحوش البرية ، وكانت منازل القوم سليمة لم يمسها ضرر ، أما أهلها فلم يعثر لاحد منهم على أثر .

فالى أين ذهب هؤلاء ؟ ما دام هؤلاء القوم قد نزحوا عن موطنهم بطريق البحر ولم يعودوا الى إيسلندا أو النرويج ، فلا محيص من ذهابهم الى أمريكا ، وفي أمريكا بالذات يجب أن يقوم البحث عن آثار إقامتهم ، وهل يا ترى نزلوا في نيوفوندلاند أو لبرادور أو منطقة البحيرات العظمى ، فلذلك أمر يتكفل الزمن ببيانه أما المقطوع به ، فان هؤلاء القوم الاسكندينافيين القدامى الذين كانوا يعيشون في الشاطىء الغربي من جرينلندا قد هاجروا الى الأرض الأمريكية عندما ساءت علاقتهم بالاسكيمو ، أو لسبب قريب من ذلك ، وهذا ما يغير احدى دعاوى التاريخ التي نعرفها وهي أن كولومبوس أول من زار امريكا من الجنس الابيض الأوربي ، فقد نزل هؤلاء البيض بأمريكا قبل رحلته اليها بمائة وخمسين عاماً .

الروماتزم وأسبابه

جاءت النتائج الباهرة التي حققها الطب الحديث في معالجة أمراض الروماتزم وآلام المفاصل والأمراض الأخرى الناتجة عن نقص التغذية صورة صحيحة لتقدم العالم العلمي الفائق . وحيث أن هذه الأمراض لا تؤدي بحياة المصابين بها إلا بنسبة ضئيلة جداً وهي ليست من الأمراض السريعة الانتشار فلا تسبب حدوث أوبئة على الاطلاق وحيث أنها ليست ذات تأثير فعّال في الحياة العامة غير أنها كثيراً ما تسبب المرض آلاماً مبرحة وانحطاطاً عاماً في جميع أجزاء جسمه كما تعاني أسرته قلقاً شديداً وتثير عدم النظام في المصنع الذي يعمل فيه .

وقد يجد الطبيب صعوبة كبيرة في تعريف الروماتزم . ولكنه تبين أخيراً أنه من الأصوب وصفه بأنه اضطراب في وظائف الجهاز العضلي أو العظمي يسبب آلاماً وارتخاء في الحركة . أما أسبابه فلا تزال لسوء الحظ غامضة .

وحاول أعضاء جمعية مكافحة الروماتزم تقسيم الاضطرابات الروماتزمية الى عدة أقسام واطلاق إسم معين على كل منها . ولكنهم قرروا أخيراً تقسيمها تقسيماً بسيطاً كما يلي :

أولا — التهاب « المفاصل » وهو الاضطراب الذي « يسبب » المفاصل عادةً .

ثانياً — « الروماتزم غير المفصلي » وهو الاضطراب الذي يصيب العضلات والأربطة وسائر أجزاء جهاز الحركة الدقيقة

الصلة بين الحرفة والروماتزم

ويلاحظ أن نوع الحرفة التي يزاولها الفرد صلة وثيقة بنوع الروماتزم الذي يتعرض له . فلو قسنا الحرف التي ينهض بها الذكور كالزراعة وأعمال المناجم والتعدين وأعمال البناء وصناعة الأثاث ومزاولة بعض الأشغال الخاصة والأعمال الكتابية وأعمال النقل وجدنا أنّ مرض التهاب المفاصل يشتد انتشاره بوجه خاص بين عمال المناجم . أما داء النقرس فيصيب عمال البناء .

وإذا قسنا أنواع الحرف التي تؤديها الاناث كالبائعات أو الموظفات في المحال التجارية والعاملات في المنازل والعاملات بالبومية والغسالات والكاتبات والخياطات والعاملات في المطاعم وجدنا أن داء التهاب المفاصل نوعاً آخر من أمراض المفاصل التي تصيب عادةً المتقدمين في السن (تصلب مفاصل العظام) ينتشر بين العاملات في المنازل بنسبة مئوية كبيرة والنساء عامة أكثر عرضة لمرض التهاب المفاصل من الرجال الذين كثيراً ما يكونون عرضة لمرض الروماتزم غير المفصلي

أسباب الروماتزم لم تزل غامضة

أما أسباب الروماتزم فلا تزال غير

معروفة . ومن العوامل الهامة التي يمكن أن تسبب هذا المرض العدوى والحساسية واضطرابات الغدد والوراثة . وقد اتضح بعد إجراء البحث الدقيق أن مرض الروماتزم الذي يجيء نتيجة لسبب من هذه الأسباب باستثناء الأخير منها — وهو الوراثة — مضمون علاجه .

ووجد في عيادة من العيادات الطبية في لندن بعض حالات التهاب المفاصل فظهر أن لاختلال المعيشة اتصالاً وثيقاً بها . فالأعمال المضنية مثلاً والمتاعب المالية والأمراض وموت أحد أعضاء الأسرة وانفجار القنابل في الاغارات الجوية في خلال الحرب العالمية الثانية وسوء حالة المعيشة — جميع تلك العوامل لها تأثير فعال في حدوث هذا المرض .

***

ومما يجدر بالذكر في هذا الصدد أن للعوامل الجوية كذلك شأناً كبيراً في الاصابة بالروماتزم . فقد يكثر انتشاره في المناطق الشمالية ولا سيما الأجواء الرطبة .

الكشف عن آثار هامة

استأنفت مصلحة الآثار حفائر الموسم الرابع بمنطقة كوم الحصن مركز كوم حماده بإشراف الأستاذ عبد الهادي حماده مدير قسم التفاتيش وإدارة الأستاذ شفيق فريد حكيم تير في القسم

وقد أجريت الحفر في ثلاث مناطق من الكوم فكشف في المنطقة الوسطى عن حوالي ٢٠٠ دفنة بعضها في الرمال أو في مقابر مبنية باللبن . والبعض الآخر داخل توابيت من الخشب أو من الجبس وجميعها يرجع الى العصر الواقع بين الدولتين الوسطى والحديثة (١٧٨٠ — ١٥٨٠ قبل الميلاد)

وعثر أيضاً على مجموعتين من المجمارين من بينها جمران من الذهب الخالص دقيق الصناعة واضح التفاصيل ولا شك انه يؤلف مع الجمران الفضي المكتشف عام ١٩٤٥ قطعتين فريدتين ، إذ لا يوجد لهما مثيل في المتحف المصري

أما المنطقة القبلية الشرقية فقد أسفر الحفر بها عن كشف أساسات أخرى تكمل المساكن التي عثر عليها في الموسم السابق وقد وجدت دفنات الى داخل جدران المساكن

وأما المنطقة الثالثة فتقع في الجهة الشرقية من الكوم ، وهي تقريباً في مستوى الأراضي الزراعية المجاورة لها وقد كشف بها عن حوالي ١٠٠ دفنة يرجع تاريخها الى عصر الأسرة الثامنة عشر ١٥٨٠ — ١٣٤٠ قبل الميلاد ، وعثر معها على عقود وأقراط من الذهب والعقيق

وستستأنف المصلحة الحفر في أجزاء أخرى في تلك الجبانة الشاسعة في الموسم القادم.

اكتشاف عقار جديد « بال »

أذاع مجلس البحث الطبي لبريطانيا نبأ اكتشاف دواء بريطاني هام سيكون من أعظم الاكتشافات الطبية العالمية شأناً .

ويعرف هذا العقار باسم « بال » وظهور هذا الدواء يعني أن الزرنيخ يمكن استغلاله الآن استغلالاً كاملاً كدواء من الأدوية . وقد عرف الأطباء منذ أعوام ان الزرنيخ أقوى في قتل بعض الجراثيم من أي مادة أخرى . كما عرفوا ان للزرنيخ قيمة عظيمة الشأن في علاج الأمراض الجلدية المزمنة والأمراض العصبية . ولكن استخدام الزرنيخ ظل محدداً بسبب تأثيراته أو اضراره الشديدة للانسجة البشرية

على ان اكتشاف هذا العقار الجديد يعني أن هذه التأثيرات الضارة يمكن التغلب عليها سريعاً وتفاديها في أكثر الاحيان

وأذاع مجلس البحث الطبي أخيراً نبأ النجاح الباهر في التغلب على ٤٠ حالة تسمم بريطانية بالزرنيخ

وقد بدأ البحث في اكتشاف هذا العقار في الاعوام الاولى من الحرب العالمية الثانية حينما كانت أخطر الأسلحة الكيماوية التي يخشى اضرارها هو مادة « لويزيت » ومنها يشتق اسم هذا الدواء ، إذ لو سقطت نقطة واحدة من هذه المادة على الجلد لاصابته بحروق شديدة ، ولو أدرك رشاشها الاعين لابتلي المصاب بالعمى ، كما لو تسرب بخار هذه المادة السائلة الى الرئتين لاحدث فيها التهاباً حاداً ربما يفضي الى الموت

وكانت القوات البريطانية مجهزة بدهان خاص يحمي الجلد من الحروق التي تحدثها هذه المادة اذا دهن به عقب الاصابة مباشرة ولكن ذلك لا يقي الاعين ولا يمنع تسرب البخار أو الغاز الى داخل البدن

ومن المعروف ان أنشط عامل في مادة اللويزيت هو الزرنيخ . ولذلك اتجه البحث نحو ايجاد عنصر مضاد لهذا العامل له قوة تعمو أثر الزرنيخ العميق في الانسجة البشرية .

ولتحقيق هذا الغرض تألفت جماعة للبحث في قسم الكيمياء وعلم الاحياء بجامعة اكسفورد وبرياسة البروفسور بيترز

وقد نجحت هذه الجماعة في كشف سائل يزيل مفعول الزرنيخ في الجسم وأطلق عليه الاسم السالف الذكر في مقدمة هذه الكلمة .

وقد دلت التجارب التي أجريت على الافراد المتطوعين ان هذا الدواء يشفي الجلد من الحروق اذا عولج به بعد ساعة من الاصابة وكذلك الامر فيما يتعلق بالعين بعد عشرين دقيقة . واليوم أي بعد مرور عامين على اكتشاف هذا الدواء دلت التجارب على ان له أثراً فعالاً ضد التسمم بأملاح الزئبق كما انه يستخدم في علاج بعض أمراض القلب والامراض الاخرى . وتجري الآن تجربة هذا العقار الهام ضد التسمم الناجم عن الرصاص والقصدير والذهب والمعادن الاخرى .

مكتبة المقتطف

١ — ألحان الحان

للاستاذ عبد الرحمن صدقي — ٤٢٤ صفحة من القطع الكبير ومجلاة بعدة صور بالالوان من ريشة الفنان بكار — دار المعارف بمصر

لقد تناول كثير من الكتّاب حياة أبي نواس بالبحث والدراسة ، ولكن ناحية من نواحي حياته — وهي أهمُّ ما في حياته — ظلت بعيدة عن الدرس الوافي وعن البحث المتعمق .

فقد كان أبو نواس شاعراً فناناً ، وكانت الروح الفنيّة في شعره هي التي دفعته الى الخروج على ما كان يتبعه من سبقه من الشعراء ، بل أمدّته في عصره . خرج على وصف الطلول ، ومال الى ناحية جديدة جعل منها مادّة للكثير من شعره . وكانت الروح الفنية فيه هي التي دفعته الى القول في هذه الناحية في حرية لم يبال معها روح العصر ، ولم يأبه لمركزه في قصر أمير المؤمنين ، وقد عاش أبو نواس في هذا المحيط ونقل في شعره ألوان هذه الحياة بكل إحساس وتجربة ، لذلك كتب لشعره في هذه الناحية الخلود .

على أنّ هذا الجانب ظلّ — كما قلت — في حاجة الى الدرس العميق حتى سدّ هذا النقص الأستاذ عبدالرحمن صدقي ، فكانت دراسته جديدة في بابها في الأدب العربي كما هي جديدة بين الدراسات التي تناولت حياة النواسي .

لقد تناول حياة هذا الشاعر في لهوه ، فدعاه هذا الى الكلام على الخمر التي جعل منها

القاهر عروس غزله ، وعرض صوراً جميلة لحانات الخمر ومجالس الشراب في ذلك العصر ، وما يستتبع ذلك من مفاتن ، فكان قديراً في العرض والتحليل ، ملمًّا كل الإلمام بالدقائق في هذا الموضوع حتى استطاع أن يجعل للخمر حياة تدرس كما تدرس حياة الرجل الذي تغزّل فيها ، ثم درس العصر الذي عاش فيه الرجل وما شاع في مجتمعه من إباحية كان لها أثر كبير في الأدب .

ومن أمتع فصول الكتاب تلك البحوث التي تناول فيها الكلام على خمريات النواسي وخمريات الخيام ، فالأول كان يعاقرها لذاتها والذّاتها . أما الثاني فكان يلجأ إليها لتسكين ثورة النفس عن طريق إشباع شهوات الحس ، وكذلك البحث في أوجه التناقض بين النواسي والمعرّي . إنّ هذا الكتاب يدلّ على روح الفن المتأصلة في مؤلفه .

٢ — كأس الحياة

مجموعة قصص للأستاذ ابراهيم المصري — ١٤٣ صفحة من القطع المتوسط
دار المعارف بمصر

للأستاذ ابراهيم المصري أسلوبه العذب وفنه القصصي الجميل ، وهذه المجموعة تضم أربع عشرة قصة من وضعه ، منها ما يمسّ الجانب الاجتماعي في حياتنا فيكشف عن علل في حاجة الى العلاج ينظر اليها بعين الفنان ، ومنها ما يتغلغل في صميم النفس الإنسانية فيكشف في البسيط منها والساذج عن جوانب سامية تثير الحسّ والشعور .

فقصة « بنت السلطان » على بساطتها صيغة المكرة ، وكذلك قصة « دولت هانم » وهما مما يثير الحسّ ، ويمثل هذا الاتجاه بعض أقاصيص هذه المجموعة مثل « القاتل » و « العمياء » و « الخنان » وما شاكلها .

* * *

أما الأقاصيص التي عنوانها « اعتراف » و « الأرملة اللعوب » و « سلوى » و « سميرة هانم » وغيرها فهي من الطراز الذي عالج فيه الجوانب الاجتماعية في المجتمع في تحليل دقيق

٣ — فلسفة الجمال

تأليف الأستاذ أ . ف . جاريت . وتعريب الأساتذة عبد الحميد يونس وزكي نجيب
وعثمان نويه — ١٤٧ صفحة من القطع المتوسط — دار الفكر العربي

أراد الأساتذة عبد الحميد يونس وزكي نجيب وعثمان نويه أن يخصوا هذا الجيل بالمتعة الإحساس بالجمال في النفوس لأن قوة النهضات لا تقوم إلا على أساس من هذا الاحساس وبخاصة في هذا الوقت الذي طغت قوى الشر في النفوس فأفسدت فيها جوانب الخير وكادت تطمس معالمها . فقاموا بنقل كتاب « فلسفة الجمال » الذي ألفه أستاذ فلسفة الجمال في أكسفورد وكمبردج ومنشيخن .

وقد تناول المؤلف في الفصل الأول تفسير الخلاف في أذواق الناس وحكمهم على الأشياء بالجمال والقبح . ثم ناقش في الفصل الثاني نظرية الجمال والحق وانتهى الى أن الجمال ليس هو الحق ، بل هو حقيقة كائنة ، وإننا في إحساسنا بالجمال لا نشعر بكشف حقائق غير معروفة قدر شعورنا بنفاذ بصيرتنا في الصور المألوف . كما ناقش في الفصل الثالث النظرية القائلة بأن الجمال هو الخير ، ودلل على انه ليس مفروضاً أن يكون كل ما يرضينا جميلاً . ثم تكلم في الفصول الثلاثة الأخرى عن حقيقة الجمال ومثاله وعن الجمال والتعبير .

وفي الحقيقة ان هذا الكتاب المبسط في فلسفة الجمال لمن أمتع الكتب التي تبلغ بالنفس الى الهدف الذي قصده المترجمون الأفاضل وهو اشاعة الإحساس بالجمال في النفوس .

٤ — بين العلم والأدب

للاستاذ فكري حافظ طوقان — ٣٠٨ صفحة من القطع الكبير
مكتبة فلسطين الحديثة

مؤلف هذا الكتاب معروف لقراء هذه المجلة منذ كان يوافيها ببحوثه التي تجمع بين دقة البحث العلمي ورقة الأسلوب الأدبي . وهذا الكتاب يجمع ما يقرب من الأربعين مقالة تناولت شتى فروع التفكير الأدبي والعلمي بالأسلوب الذي عرف في صاحبها . منها ما تناول مسائل في المجتمع كحاجتنا الى ما يحيي الخصائص العربية ، ومنها ما يتناول عالم الأرقام ، ومنها ما يتغلغل في عجائب الكون .

فالعالم يجد فيها لذة التفكير وعمقه ، كما يجد الأديب فيها لذة المزج بين الأدب والعلم وتبسيطهما . وقليل من المشتغلين بالمسائل العلمية من يوفق الى ذلك

٥ — كريم الدين البغدادي

الجزء الثالث من حلقة « أولادنا » — ١٠٨ صفحة من القطع المتوسط — دار المعارف بمصر

في مقتطف فبراير سنة ١٩٤٧ كتبت كلمة عن جهد دار المعارف في الناحية الثقافية للنشء ، وأشرت الى المهمة التي تنهض بها هذه الدار في الاشراف الفعلي على الثقافة الى جانب وزارة المعارف وتجاوزها حدود هذا الوطن الى أوطان العربية جمعاء وذلك بمناسبة صدور السلسلة التي أخرجتها بعنوان « روضة الطفل » ثم قلت ان هذه الدار آخذة بسبيل إصدار مجموعة أخرى في هذا المضمار بعنوان « أولادنا » . واليوم أعود فأكرر الاشادة بهذه الجهود الجبارة بمناسبة صدور الحلقة الثالثة من السلسلة الأخيرة التي يشرف عليها العربي الكبير الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك ، وقد صدر منها جزءان ، الأول « هرون هاه » والثاني « ملكة السحر » .

وتمتاز هذه القصص بسموّ الخيال وحلاوة التعبير مما سيكون له أثر كبير في تهذيب ملكات الأطفال ، كما تمتاز بأناقة الطبع التي تميزت بها مطبوعات هذه الدار

٦ — آثار أدبية من الحجاز

بعد أن فرغ الأديب الحجازي الأستاذ احمد عبد الغفور عطار من إصدار ديوانه « الهوى والشباب » في العام الماضي تفرّغ للنثر فأخرج في هذا العام مجموعة من الكتب . اثنان منها للأدب الخالص وهما « المقالات » في ٢٣٨ صفحة من القطع الكبير انطوت على عدة بحوث ونظرات في الأدب والحياة . و « أريد أن أرى الله » وهو مجموعة قصصية في ١٤٦ صفحة من القطع المتوسط ضمت سبع قصص منها اثنتان مترجمتان ، والخمس وضعها المؤلف ، ونعدّ هذه القصص هي باكورة القصة في الأدب الحجازي . ثم وضع في باب التراجم ثلاثة كتب أولها « ستر الجزيرة » ويقع في ثلاثة أجزاء بلغت صفحاتها ٧٧٧ صفحة من القطع الكبير تناول فيها حياة العامل العربي الكبير ابن سعود وأرّخ فيها لقيام

المملكة السعودية وما مرّ بحياة بطل الجزيرة خلال ذلك من الحوادث حتى دانت الجزيرة له وذلك في أسلوب قصصي شائق . وقد ضمت هذه الترجمة من الوثائق ما يزيد في قيمتها التاريخية .

أما الكتابان الآخران ، فأحدهما عن وليّ عهد المملكة السعودية ، نحو الأمير سعود ، والآخر عن وزير الدفاع نحوّ الأمير منصور ، ويقع الأول في ١٨٠ صفحة والثاني في ١٢٠ صفحة من القطع المتوسط . وقد أبان فيهما عن شخصية هذين الأميرين العظيمين اللذين ورثا عن أبيهما روح البطولة والإقدام .

٧ — ذكرى الامير شكيب أرسلان

٥٢٦ صفحة من القطع الكبير — طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه

كانت شخصية الأدب العربي في الأمير شكيب أرسلان لا تقل عن شخصية العروبة فيه ، فقد كان علماً من أعلامه وكان من قادة الرأي الذين خلدوا اسمهم في صفحات التاريخ خلوداً يغبط عليه . لذلك لم يكن عجباً أن يقام له في كل بلد عربي حفل يجتمع فيه قادة الرأي وزعماء الفكر والبيان لتأبين هذا الأمير — الأمير في نسبه وخلقه وبيانه وإباء نفسه واحتماله لكل مسترف العنف والاضطهاد في سبيل تحرير الشرق العربي .

وقد قام المجاهد العربي الأستاذ محمد علي الطاهر بالوفاء لذكرى هذا المجاهد الكبير فجمع في هذا الكتاب ما قيل في الفقيد من المراثي على المنابر وفوق صفحات الجرائد ، وطبعه طبعاً أنيقاً فكان صفيعاً حسناً منه للراحل الكريم في مثواه . وقد تناول الأستاذ الطاهر حياة الفقيد بدراسة وافية تبين عن سعة معلوماته بالراحل الكريم

حسن كامل الصيرفي

كتاب الجامع لاحكام القرآن

صدر الجزء السادس عشر من كتاب الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله أحمد الانصاري القرطبي وهو كسابقه من الأجزاء التي صدرت حاوية لتفاسير آيات الكتاب الكريم .

وهو يطلب من دار الكتب المصرية . وثمن النسخة الواحدة ٣٥ قرشاً يضاف إليها أجرة البريد .

من وراء الأفق

ديوان شعر للاستاذ محمد عبد الغني حسن
دار المعارف بمصر — صفحاته ١١٠ من الحجم المتوسط

الأستاذ محمد عبد الغني حسن باحث مرموق يركب العناء في سبيل التوفر على استقصاء جوانب موضوع معين أو نقد كتاب من الكتب التي تستضيفها المكتبة العربية في كل يوم . وهو في هذا المضمار ينتهج المنهج العلمي الصحيح فيرجع الى المظان يستقيها ، ويعول على العقل يزن به الحجج ويستخلص بمعونته النتائج السائبة .

وهو الى جانب هذا شاعر يتوخى استخدام اللفظ السهل والمعنى القريب ، فلا يعمد إلى التعقيد أو يحمل القارىء هبط النفوس وراء معنى مستسر أو مقصد خبيء .

وديوانه الأخير « من وراء الأفق » ديوان جرى فيه هذا المجرى السهل ، يصوغ عباراته وألفاظه صوغاً ميسراً ، ويستطيب أن يقول الشعر هيناً ليناً ، حتى ليسع العادي من القارئين أن يفهم مفردات قصائده ومجملها بغير حاجة الى استعارة المعجمات وإجهاد الفكر .

والشاعر — على نقيض كثيرين من أترابه — مفتون بالطبيعة ، يكاد ينشد كل شعره في تصوير جمالها وروائها . ولن تجد في الديوان على كثرة ما احتواه من قصائد ، قصيدة حب أو ترنيمة هوى مع أن قرائحه كافة انتظمت عقودها والشاعر لا يزال في مقتبل العمر يطلب العلم ويعرف « إلين » ويظفر برسم فتاة مرحة تعشق ظلال الصنوبر . ولذلك تجد الديوان خلواً من شعر العاطفة ، وهو في عرفي أكثر أنواع الشعر تعبيراً وإفصاحاً . ولست أدري هل تعمد الشاعر بعدما أضحى يحث الخطى الى الكهولة أن يدفن شعر العاطفة بين جوانحه ويطوي صفحاته في مكمن نفسه ، أم انه لم يجد بشعر العشق والهوى وهو شعر السليقة والسجية . ولعله قنع من شعر الحب بالعتاب والتحبب ، ومن ذلك قوله :

في ذمة الله ليلاتي التي سلفت وأخضبت بالهوى فيهن أوراقي
كم ليلات بتنا أي ليلة وأشرقت بهوانا أي اشراق

***

أخلفت بالعهد ميثاق الهوى زمناً لكنني في الهوى أحكمت ميثاقي

والاستاذ عبد الغني حسن في مجال الوصف جولات موفقة ، وإن كانت له جولات أخرى غلبت عليها الصنعة والكلفة. ومن أبياته الجميلة في وصف النيل قوله :

ينظم الله به الروض كما ينتظم الناظم عقداً من جمان
لا تقولوا هو من ماء الحيا إنه يا مصر من ماء الجنان
هو أنغام على وجه الثرى وأناشيد عذاب وأغاني

ومن نظمه التصويري الرائع قوله :

ذبلت الجدول يا إيلين في الغابة سالم
هو كالطفل على صدر الفتاة الطهر جاثم
يسرق الخطو كما يمشي إلى الريبة آثم
همسه فوق حصى الغابة بالفتنة ناغم
خافت الصوت كشيخ عازم التوبة نادم
وشعاع الشمس فو ق الغابة الخضراء باسم

وله في الوطنية بضع قصائد هيّع في واحدة منها جنازة الامتيازات الاجنبية التي وزحت مصر تحت عبئها ردحاً ، وحيّا في ثانية الزعيم سعد زغلول وهدّ في ثالثة على أيدي نسوة الشرق وقد ائتلف عقدهنّ في مؤتمر نسوي عام .

ولست أدري لِمَ اكتفى الأستاذ عبد الغني بأن يطوي ديوانه هذا على قصائده التي نظمها منذ خمسة عشر عاماً أو نحوها ، وآثر أن يدع قصائده الجديدة مطوية غير منشورة . فلا ريب أن الشاعر يزداد مع الأيام تمكناً وتتأصل فيه الشاعرية كلما اطّرد غُشْمه من المطالعات . وأذكر أني قرأت له شعراً حديث العهد يفوق كثيراً بعض ما ضُمِّن ديوانه « من وراء الافق » ، وكان يجدر بالشاعر أن يضيفه إلى ديوانه ليعززه ويفديه « بدمٍ جديد » .

وهذه الملاحظة أعرفها وجه خاص بعد ما قرأت ما كتبه الأستاذ سهيل ادريس من تقريظ لديوان عبد الغني حسن في مجلة « الأديب » البيروتية وقد جاء فيه « إننا لم نجد في هذا الديوان إلاّ شعراً باهتاً لا شخصية له ولا ميزات ، هو شعر لا تجول في ثناياه

الأحاسيس المرهفة، ولا تلتمع المعاني المبتكرة، وليس فيه إلاّ الوصف العادي الذي لا يضفي على الموصوف أي جمال، بل لا يكاد ينجح في أن يصف جماله الطبيعي » .

ولو علم الاستاذ ادريس ان مطلع شعر « من وراء الأفق » نظمه الاستاذ عبد الغني حسن وهو لا يزال طالباً في معاهد أوربا وأنه لهذا السبب حوى مثالب وافتقر إلى « الشخصية » لكان ليّناً في نقده رفيقاً في عرضه للديوان .

ربيع فلسطين

مجلة الأديب

يسرّ مجلة المقتطف أن تشيد بالمجهود الطيب الذي يبذله الاستاذ ألبير أديب باصداره مجلته « الأديب » في حاضرة لبنان، فهي مجلة أدبية علمية اجتماعية فنية تعنى بالبحوث التي تتصل بمعارف الفكر وتنشر الرفيع من الأدب من كل قطر عربيّ ومن مهاجر اللبنانيين في ربوع الكرة الأرضية .

ومن الموضوعات النفيسة التي ضمها عدد شهر اكتوبر (تشرين الأول) بين دفتيه مقال للاستاذ قدري قلعجي عن « المثقفين والمجتمع » ومقال شهي للأديب المغربي المعروف الدكتور أبو مدين الشافعي، وقصيدة شعرية رائعة للشاعر السوري الموهوب عمر أبو ريشة، وصفحة تعرض جانباً من عبقرية الألم في حياة الموسيقي الكبير يتيهوفن للأديب السوري أنطون حمصي، وقصة تغلب عليها النزعة الفلسفية عنوانها « طفل » للأديب المصري الأستاذ يوسف الشاروني، وقصة أخرى للقاصّ المصري المعروف الأستاذ أمين يوسف غراب، وبحث مترجم عن الايطالية بعنوان « التأليف الكبير » للأستاذ مصطفى آل عيال، وصفحة من الشعر الوصفي المنثور للأديبة الأردنية ثريا ملحس، وأشعار للاساتذة عبد اللطيف شرارة وعلي محمد هلق وناصر بن سليمان أبو حميد، وموضوعات طلية أخرى للأساتذة فؤاد أيوب وسعيد تقي الدين وقدري حافظ طوقان وجلال فاروق الشريف وأنطون مارين والآنسة نجوى قعوار عدا أبواب المجلة الشهرية وهي باب الأخبار العلمية وباب مكتبة الأديب وجولة الأديب في شهر وبرقيات أدبية وأنباء العالم في شهر .

« ومجلة الأديب » على حداثة عهدها بالظهور تعدّ في طليعة المجلات الأدبية في العالم الناطق بالضاد، ويستطيع الأدباء المصريون أن يقتنوها بالاتصال بوديع فلسطين في جريدة وثمن النسخة عشرة قروش مصرية .

فهرس الجزء الرابع

من المجلد الحادي عشر بعد المئة من المقتطف

٢٢٥ الكولبرا أو الهواء الأصفر : نقولا الحداد
٢٣٣ نبوءة من الكولبرا : تعليقات وزارة الصحة
٢٣٥ سيكولوجية النمو وعلاقتها بالتربية : محمود حامد شوكت
٢٤١ الانسان هذا اللغز الأعظم : أمين نعوم
٢٤٩ الطفل المبتسر : الدكتور عبده رزق
٢٥٣ الثقافة العربية في الجزائر تستعرض العرب : محمد الحاج الناصر الجزائري
٢٥٧ الباب الذي امتنع غلقه (قصة) : فؤاد عوض واصف
٢٦٨ أبو العلاء المعري ، فلسفته وأدبه وقوة ذاكرته : ادوار مرقص
٢٧٢ المجنونة الشريدة « الأشاعة » (قصيدة) : دكتور أحمد زكي أبو شادي
٢٧٢ كيف تكتب : مصطفى عبد اللطيف السحرتي
٢٣٤ علة الثقافة : وديع فلسطين
٢٧٩ أمراض العيون : الدكتور عبد المسيح جرجس
٢٩٢ التجديد والأدب العربي : محمد توفيق عز
٢٩٥ كيف يتكلم الموتى العلامة الروحي شو دزموند : ترجمة أحمد فهمي أبو الخير
٢٩٩ نظرية الدرة : شريف الشاشيبي
٣٠٢ عالم الدماغ — شعر علمي فلسفي : نقولا الحداد
٣٠٤ شوقي وحافظ : حسن كامل الصيرفي
٣١٤ هل يكفي الخروج من كتلة الاسترليني لتحقيق استقلال مصر المالي : أحمد عثمان بك
٣٢٣ صابون الحرب : عوض جندي

---

٣٢٨ المراسلة والمناظرة * التأثير والطاقة القدرية . فؤاد جبران . تعليقات أدبية ردعلى توضيح . نقد عروضي : رشيد أسعد
٣٣٠ أخبار علمية * د . د . ت لا يقتل السك . أنابيب من السجائر الكيميائية تحل محل الشرايين البحر الميت وكنوزه . آلة كهربائية صغيرة للخياطة . الراديو للصور في حجر الدراسة بالمستشفيات : عوض جندي . يكتشفون أميركا الشمالية قبل كولمبوس بقرن ونصف قرن . الروماتزم وأسبابه . الكشف عن آثار جامة . اكتشاف عقور جديد (بال)
٣٤٠ باب المكتبة * (١) ألحان الحان (٢) كاس الحياة (٣) نفسة الجمال (٤) بين العلم والادب . (٥) كريم الدين البغدادي (٦) آثار أدبية من الحجاز (٧) ذكرى الامير شكيب ارسلان : حسن كامل الصيرفي . الجزء العاشر عشر من كتاب الجامع لاحكام القرآن : القرطبي . من وراء الاثير : وديع فلسطين . مجلة الادب